خفقات عمر الرحيل

مواقف حيَّة من حياة

الشيخ الشهيد

يوسف السركجي

بقلم

الأسير/ أمجد السايح

2021

خفقات عمر الرحيل

مواقف حيَّة من حياة
الشيخ الشهيد
يوسف السركجي

بقلم الأسير
أمجـــد أمين الســـايح

تقديم

الأستاذ إسماعيل هنية
رئيس المكتب السياسي
لحركة حماس

الأستاذ حسام بدران
عضو المكتب السياسي
لحركة حماس

2021م - 1446هـ

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية
بطاقة فهرسة أثناء النشر
وزارة الثقافة - الإدارة العامة للمكتبات والمخطوطات

السركجي، أمجـد السـايح
خَـفَقاتٌ رغـمَ الرحـيل - مواقـف حيَّـة مـن حياة الشـيخ الشـهيد يوسـف السـركجي / أمجـد السـايح. - غـزة: مكتب إعلام الأسرى، 2021م.
(226) ص: 17.5X25 سم
رقم الإيداع: 2021/1465

إهداء

إلى روح النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم
سيد الأولين والآخرين..

إلى أرواح الشهداء الذين أبوا الخنوع، وثبتوا على طريق
الحق حتى بلغوا العُلا،

إلى روح أخي الشهيد بسام الذي شارك في هذه
الصفحات وفاضت روحه الطاهرة قبل أن تنشر،

إلى ذوي الشهداء والأسرى والجرحى الذين قدموا ولا
يزالون يقدمون في سبيل دينهم ووطنهم،

إلى رجال المقاومة الذين حفظوا لأمتهم المجد
ولوطنهم العز والفخار...

أهدي هذا العمل المتواضع.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

شكر وتقدير

بداية نحمد الله سبحانه على نعمته ومِنته في إتمام هذا الكتاب، ونتقدم بالشكر لكل من أسهم في إتمامه، وبخاصة الذين بذلوا جهودًا في النسخ والنقل وإخراج المواد من السجن وأبوا ذكر أسمائهم، وما ضرهم ألا يعرفهم الناس، فَربُّ الناس يَعلَمُهم..

كما أتقدم بالشكر والعرفان لذوي الشهيد الشيخ يوسف السركجي لما أبدوه من تعاون، وبخاصة زوجة الشيخ وأولاده، وكذلك الأخ أمير السركجي جزاهم الله كل خير..

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الفهرس

تقديم الأستاذ إسماعيل هنية "أبو العبد" 11
تقديم الأستاذ حسام بدران..... 15
المقدمة 19
أقسام الكتاب..... 24
قصيدة تفتّـــح الحيـــاة..... 25

الفصـــل الأول: المولد والنشأة..... 27
مولده وأسرته..... 29
نشاطه العلمي والدعوي والسياسي 29
أبحاثه ومؤلفاته 33
علاقاته العائلية والاجتماعية..... 35
الفصـــل الثاني: صفات الشيخ وشمائله 37
وفاؤه 40
وفاؤه لدماء الشهداء وذويهم 40
كرمه وسخاؤه..... 42

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

فراسته ومعرفته بمعادن الرجال..... 43
تواضعه وسلامة صدره..... 45
عدله وورعه..... 46
صبره وتحمله..... 50
مستجاب الدعوة 52
حزمه وعلو همته 55
لم أبك أحدًا كما بكيتهم..... 58
الفصـــل الثالث: الجـهاد والمقـاومـة 61
نشاطه في انتفاضة المساجد 1987..... 64
الإبعاد.. المحنة المنحة..... 66
مشاهد حية من مرج الزهور 69
مرحلة ما بعد الإبعاد..... 70
إيواؤه للشهيد محمود أبو هنود 71
إيواؤه للشهيد خليل الشريف..... 72
وحدة «شهداء من أجل الأسرى»..... 73
الاعتقال السياسي "خنجر الغدر المسموم" 74
مرحلة انتفاضة الأقصى..... 76
شهداء في فلك الشيخ..... 77
استشهاده 81
قصيدة مسك الختام..... 85

الفصـــل الرابع: شهادات تنبض بالحياة..... 89
مقدمة 91
كلمة لا بد منها للأخ المجاهد أمير السركجي 93
شهادة الشهيد المجاهد بسام السايح 95
شهادة الأخ الدكتور المجاهد محمود الزهار..... 99
شهادة الأخ الدكتور أحمد نوفل 101
شهادة الشيخ المجاهد أحمد الحاج علي 105
شهادة الشيخ المجاهد حسن يوسف 108
شهادة الشيخ المجاهد فتحي القرعاوي 112
شهادة الشيخ المجاهد جمال أبو الهيجا 120
شهادة الشيخ المجاهد محمد جمال النتشة 124
شهادة الأستاذ المجاهد حسام بدران..... 128
شهادة الأخ المجاهد رأفت ناصيف 135
شهادة الأخ المجاهد عثمان سعيد بلال 138
شهادة الأخ المجاهد معاذ سعيد بلال..... 140
شهادة الأخ المجاهد سليم حجة..... 144
شهادة الأخ المجاهد محمد صبحة 149
شهادة الأخ المجاهد معتصم سمارة 154
شهادة الأخ المجاهد رائد الحوتري..... 157
شهادة الأخ المجاهد إياد وديع أبو زهرة..... 159

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

خاتمة 161
قصيدة انتفاضة الأقصى 163
ملحق الوثائق والوصايا 165
الوصايا 167
وصيته لأمه وأبيه وإخوته وأخواته وزوجته وأولاده 167
رسالة منه إلى أهله وهو مبعد إلى (مرج الزهور) 174
وصيته لزوجته 176
وصيته لأولاده 180
وصيته لحركة حماس والقسام 184
ملحق قبسات من حياتهم 189
قبسات من حياة الشهداء 191
قبسات من حياة المجاهدين 202
قصيدة ثـــورة المســـاجد 210
ملحق الصور الفوتوغرافية 211
المراجع 225
الأسير أمجد السايح في سطور 226

تقديم الأستاذ إسماعيل هنية "أبو العبد"

بسم الله الرحمن الرحيم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه واستن بسنته إلى يوم الدين....

ربح البيع أبا طارق، ربح البيع أيها القائد العظيم.. أيها المجاهد المؤمن الحافظ لكتاب الله، رجل الشريعة والجهاد... وإنها جنات النعيم للمجاهدين الأوفياء، إنها الفردوس تتزين لعشاق الشهادة، من باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله لإعلاء كلمته وتحقيق غايته في الأرض والسعي للتمكين لهذا الدين وتحرير القدس والأقصى.

إنه لمن الفخر التقديم لكتاب حول مسيرة هذا المجاهد العظيم الذي قاد كتائب الشهيد عز الدين القسام في الضفة الغربية وتشهد له مخيماتها ومدنها وأزقتها والعمليات التي

وجههـا وخطـط لهـا وقادهـا بالعزيمـة والبطولـة والإبـاء فـكان -رحمـه الله- نبراسًـا في حياتـه وشـهادته، عـرف الحـق وسـار في طريقـه، يقتـدي بـه المشـتاقون إلـى النصر، يقتـدي به المشـتاقون إلـى الجنـة، المشـتاقون إلـى إرضـاء الله ويخشـاه أولئـك المتنكبـون للطريـق الضالـون الذيـن باعـوا أنفسـهم للشـيطان، وسـول لهـم احتـلال أرض فلسـطين ليتحقـق عقـاب الله لهـم على يـد المجاهدين ويكتب لنا نصرًا عظيمًا يشفي صدور قوم مؤمنين.

لقـد عرفنـا الشـهيد يوسـف السـركجي ابـن نابلس الأبيـة «جبل النـار المتقـدة»، أحـد الـرواد الأوائـل في العمـل الدعـوي والجهـادي خطيبًـا مفوهًـا، دارسًـا للعلـم الشـرعي، قائـدًا عسـكريًا، رأينـاه في الإبعـاد هادئًـا هـدوء المؤمنيـن الواثقيـن بـالله، حليمًـا متواضعًـا، يحمـل في صـدره إيمانًـا عظيمًـا وغضبًـا متقـدًا يفجـر ينبـوع ثـورة ومقاومـة تعـرف طريقهـا جيـدًا في مواجهـة الاحتـلال، وتضـرب النموذج الغني في كل المواضع والمجالات.

إنهـا مدرسـة المقاومـة في فلسـطين، مدرسـة الدعـوة، مدرسـة الإبعـاد، مدرسـة الحركـة الإسـلامية التـي أنبتـت سـنابل الخيـر والعطـاء في كل سـنبلة مائـة حبـة، تنثـر الخيـر أينمـا حلـت، وتحمل البركة والعطاء الوفير.

يوسـف السـركجي.. رجـل القـرآن والبندقيـة، رجـل ارتبـط الإيمان بالجهـاد في قلبـه فـكان نموذجًـا في ذاتـه، نموذجًـا في عطائـه وثباتـه وجهـاده واستشـهاده، ارتقـى حتـى الرمـق الأخيـر وهـو يقاتـل في سـبيل الله، لـم يعـرف الدعـة ولا الدنيـة، لـم يعـرف الهزيمـة والاستسـلام، لفـظ أنفسـاه الأخيـرة ويـده على الزنـاد

ليقول بمنتهى الوضوح: هذا هو الطريق، هذا طريق التحرير، هذا الطريق إلى فلسطين، هذا الطريق إلى الجنة، هذا الطريق إلى مرضاة الله، إن الله اشترى وأبا طارق قد باع، وقد ربح البيع أبا طارق، صدق الله فصدقه الله.

لقد حبى الله أبا طارق بالكثير الكثير، بدءًا من اسمه الذي وافق اسم نبي الله يوسف الصديق، نبي الثبات والصبر على الفتن المتعاقبة فتنة السجن وقد عاشه شهيدنا، وفتنة ذوي القربى وقد عاشها أبو طارق، وفتن الدنيا المتعاقبة التي صدها واحدة تلو الأخرى محافظًا على دينه وثباته وجهاده، فلا الدنيا غرته بلعاعة هنا أو هناك، ظل على طريق ذات الشوكة ليلقى الله مجاهدًا صابرًا محتسبًا...

نسأل الله أن يتقبل جهاده واستشهاده ويرزقه الفردوس الأعلى.

وأقول لأخي وحبيبي أبي طارق: نم قرير العين فإن مسيرة التحرير ماضية وإخوانك في ضفة العياش -الذين حملوا الراية من بعدك- يمضون على ذات الطريق ويقفون كالجبال الشم في وجه الأعاصير وتقلبات الزمن، وأمام المؤمرات العاتية من صفقة القرن إلى الضم إلى التطبيع، لا يترددون في اقتفاء الأثر ولا يتزحزحون عن ثوابت القضية، وهم اليوم أكبر من بطش المحتل وأعوانه، يعقدون العزم على صناعة النصر ودحر المحتل والصلاة في رحاب الأقصى.

هذا عهدنا لك أيها الشهيد الحبيب، ولكل شهداء فلسطين من الشيخ المؤسس احمد ياسين والجمالين ودروزة والعياش

وأبـو الهنـود والقواسـمي والطاهـر وأبـو حـلاوة وغيرهـم وغيرهـم من رجال نابلس وضفة الإباء.

وأسـال الله أن يجـزي خيـرًا الإخـوة القائميـن على هـذا الكتـاب وأن يجعلـه في ميـزان حسـناتهم وأن نقتفـي معًـا آثـار الشـهداء العظـام الذيـن صدقـوا وسـبقوا إلـى الجنـة بـإذن الله، وإنـا على عهـد الجهـاد والمقاومـة حتـى النصـر، آمليـن في رضـا الله جـل في علاه.

الأستاذ/ إسماعيل هنية «أبو العبد»
رئيس المكتب السياسي
لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»

تقديم الأستاذ حسام بدران

لـكل شـهيد سَـمْته الخـاص، وشـخصيته وأثـره كأنهمـا على ارتبـاط قدسـيّ لا نـكاد نفهـم أبعـاده، ولا نـدرك كنهـه، فلـكل منهـم خصوصيتـه وتميـزه الـذي يـدل عليـه دون سـواه: (البسـمة، الأثـر، البصمـة، نظـرة العينيـن، الكلمـات). في الأيـام الأخيـرة قبـل الرحيـل، تـرى كل شـيء عنـد الشـهداء مختلفًـا، كان الشـيخ يوسـف رجـل المرحلـة، قائـدًا فـذًّا متعـدد المزايـا متنـوع العطـاء، متواصـلًا في الإبـداع غيـر مبـالٍ بالمحـن والثمـن. كان مـن أولئـك القـادة الذين لا يكلون ولا يملون.

يصـل الليـل بالنهـار، متنقـلًا بيـن الدعـوة والوعـظ والخطابـة، والعمـل التنظيمـي والمتابعـات الإداريـة، والاهتمامـات الاجتماعيـة بإخوانه..

يحـل المشـكلات بلطـف وحنكـة، فهـو صاحـب علـم وفقـه، وله نظرة ثاقبة نحو المستقبل.

إنـه يحـب المجاهديـن ويعشـق رائحـة بنادقهـم، سـبّاق مبـادر محـب لإخوانـه لا يتكبـر عليهـم بـل ينـزل عنـد رأيهـم، ولذلـك كان محل إجماع لديهم لا يقدّمون أحدًا عليه.

كان موقعـه التنظيمـي وفقهـه الشـرعي وحضـوره الاجتماعـي

يكفيــه ليبقــى قائــدًا ورمــزًا دون أن يقحــم نفســه في عمــل المقاومــة المباشــر المتمثــل بكتائــب القســام؛ لكــن الرجــل صاحــب همــة معروفــة، وتجــرد معــروف، وتعلــق بــالله يلمســه كل مــن عايشه.

عــاش حيــاة المطــاردة وجــرب الســجن والإبعــاد مــن قبــل، ثــم ختم ذلك كله بالشهادة في سبيل الله مقبلًا غير مدبر.

وهــذه الصفحــات التــي يخطهــا القائــد المجاهــد أمجــد الســايح هــي بعــض حــق الشــيخ علينــا. وأمجــد هــو تلميــذ الشــيخ والحبيب المقــرب إليــه، وهــو خيــر مــن يكتــب هــذه الخفقــات لكــي لا يكــون الرحيــل غيابًــا ولا انفصــالًا، بــل هــو رحيــل بطعــم البقــاء (أَحْيَــاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

وفي أمجــد بعــض صفــات الشــيخ فهــو المهنــدس الخلــوق الهــادئ المبــادر الرقيــق مــع إخوانــه، الجســور على عــدوه، العامــل بصمت والمتحرك بهدوء.

وهــو أحــد القيــادات الميدانيــة الفاعلــة في المقاومــة، وأحــد رجــالات القســام الذيــن أدوا أدوارًا مهمــة، وبخاصــة في انتفاضــة الأقصى.

ولــولا المطــاردة والإصابــة والســجن لمــا عــرف النــاس مــا قدمــه أمجد لحركته وشعبه.

وأســأل الله تبــارك وتعالــى أن ينفــع بــه وبعلمــه وبجهــاده، عســى أن يكــون اللقــاء بــه قريبًــا بيــن شــعبه وإخوانــه خــارج ســجون الاحتــلال، حيــث يقضــي حكمًــا بالســجن لمــدة عشــرين

عامًا. وكلنا في انتظار اللقاء الأعظم والأجمل هناك (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) مع الشيخ يوسف وإخوانه الشهداء الذين سبقونا إلى الله عز وجل.

وأنا بحكم معرفتي وخبرتي وصلتي به، وبحكم موقعي التنظيمي في تلك الفترة، فإنني أشهد أن للرجل آثارًا طيبة في ميادين مختلفة لا يعملها الكثير، وحسبه أن الله يعلم ذلك كله، وهو سبحانه الذي يُعطي الجزاء على قدر العمل، بل يبارك فيه.

«خفقات رغم الرحيل»؛ هي صفحات محدودة، كلماتها معدودة، وعباراتها سهلة ومباشرة، لكنها تلخص لنا الحكاية، كل الحكاية... وتسوق الرواية كاملة كما كانت على الأرض. هي حكاية فلسطين، القضية العادلة التي تستحق أن تُبذل من أجلها كل النفوس والأرواح.

هي مسيرة المقاومة بعمقها وعنفوانها ونقائها وتضحيات رجالها وصدق مشروعها وثبات أمرها ووضوح بوصلتها.

هي أهازيج الثورة والثوار، ترانيم الجهاد والنضال والكفاح الممتد عبر الأجيال، رغم الألم والمعاناة، وكل أنواع العذاب.

هي صوت حماس الهدّار، وسيوف المجاهدين التي لا تعود إلى أغمادها أبدًا.

هي بنادق القسام التي لا تهدأ ولا تتعب ولا تتردد ولا تتراجع.

هذه «الخفقات» هي علامات وإشارات... وأوصاف ورسومات...

عن السجن والجرح والتضحيات،

عن المقاومة والمطاردة والبطولات،

عن الإبعاد والشهادة والحياة بعد الممات.

فالشـيخ يوسـف عـرف السـجن والإبعـاد والمقاومـة والمطـاردة ثـم الشـهادة. وأمجـد -كاتـب هـذه «الخفقـات»- تنقـل بين السـجن والجــرح والمقاومــة والمطــاردة. وكل الأســماء الــواردة في هــذه «الخفقات»، خاضت وعاشت هذه المراحل كلها أو جلّها.

وختامًـا: أسـتذكر أنـه في أواسـط التسـعينيات وقبيـل دخـول السـلطة الفلسـطينية إلـى نابلـس، اعتُقلـت أنـا والشـيخ يوسـف في ليلـة واحـدة ودخلنـا التحقيـق، ثـم مـرض الشـيخ وأُبعـد إلـى غــزة أيامًـا معـدودات قبـل أن يعـود إلـى الضفـة ثانيـةً، بينمـا قضيـت أنـا حينهـا مـا يقـارب ثـلاث سـنوات في الاعتقـال الإداري في سـجون الاحتـلال، فأرسـلت إليـه ذات يـوم رسـالة فيهـا عتـاب بسـبب انقطـاع التواصـل -وهـذه عـادة الأسـير حيـن يشـعر بالنسـيان- فـرد علـيّ قائـلًا: ألا يكفيـك أن يأتـي يـوم القيامـة فأقول: (أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا)

بلى... يكفيني.. يكفيني يا شيخ الشهداء...

حسام بدران

عضو المكتب السياسي

لحركة المقاومة الإسلامية - حماس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، قال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ) البقرة (154)

ليس من السهل على الإنسان أن يتقن وصف حياة مَن صنعوا التاريخ، وأثَّروا في أجيال ثم أجيال، أولئك الذين عاشوا حياتهم عظماء، ورحلوا شهداء، مقبلين غير مدبرين. فأي قلم كاتب يمكن أن يُحسن التعبير، وأي ريشة فنان يمكن أن تحسن التصوير، إن الكتابة عن العظماء لها وقع خاص في النفوس، وتأثيرها واضح لا يمكن تجاهله، لا سيما إن كانت الكتابة عن رجل بمكانة الشيخ الشهيد يوسف السركجي -رحمه الله- الذي عاش حياته مبدعًا متفانيًا في صناعة الحياة، وبعد رحيله بقيت كلماته وأفعاله وذكرياته حيَّةً تعيش بين الأحياء، وتنثر عطرها ليملأ الآفاق وينعم الجميع بروائحها الزكية.

مرات عدة حملت القلم محاولًا أن أخطّ طرفًا من سيرته رحمه الله، فكانت إحداها عام 2008م في (سجن جلبوع المركزي) المعزول عن العالم الخارجي، إلا أن ظلم السجان وتنكيله أحبط المحاولة بعد أن صادر كل الأوراق. وبعد ثلاث سنوات كانت هناك محاولات أخرى في السجن نفسه برفقة المجاهد حسام بدران الذي كان يودُّ أن يكتب سيرة الشهيد تحت عنوان «الشيخ يوسف كما عرفته»، إلا أن خروجه من

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

السـجن في صفقـة وفـاء الأحـرار أجّـل المحاولـة حتـى كتـب لـي القـدر بعـد عـدة سـنوات أن ألتقـي في السـجن ابـن شـقيقة الشـيخ -رحمـه الله- الأخ المجاهـد أميـر السـركجي، وطـرح علـيّ الفكـرة مـن جديـد فأثـار كوامـن الماضـي القريـب، وذكريـات شـيخنا الشهيد الذي كانت حياته كلها لله، ومماته في سبيل الله.

سـنون عـدة مضـت على رحيلـه، ولا تزال عباراتـه ومواقفـه نديّة حية تُذكي في القلوب نبضَ الحياة.

سـنون عـدة مضـت على رحيلـه، ولا تزال سـيرته عطـرة زكيـة تنشر المسك في المجالس والخلوات.

سـنون عـدة مضت ولـم يَحْـظَ ذوو الشـهيد ببحـث يوثـق حيـاة هـذا الرجل العلـم رغـم كثـرة مُريديـه وتلامذتـه وإخوانـه الذيـن عاصروه. لقـد غُيّـب الجيـل الجديـد عـن كثيـر مـن بـركات الشـيخ وأخلاقـه، فقـد كان -رحمـه الله- مدرسـة في فكـره وجهـاده، في جـده وهزلـه وحتـى في أكلـه وشـربه؛ لقد كان -رحمـه الله- قـدوة في المسـجد والجامعة وفي المنزل والشـارع وفي السـجن والحرية، وفي كل أماكـن وجوده؛ فقـد كان الشـيخ المربـي والأسـتاذ المرشـد والأب الحاني والابن البار والزوج الحنون والأخ الكريم.

لقـد مضـى مـا يقـارب العقديـن مـن الزمـن، ولا يـزال القلـب يخفـق بالذكريات.. ذكريـات إخوانـه وأحبابـه، تلـك الذكريـات التـي لا تزال حبيسـة القلـوب والوجـدان وربما تتقلـص مـع مـرور الزمـن بالرحيل والنسيان.

مواقفـه كثيـرة وآثـاره واضحـة، وكلماتـه مدوّيـة، ولـم يخـرج

منها إلى النور إلا القليل، فأي بحث يمكن أن يضم بين دفتيه سيرة هذا الشهيد البار؟ وأي كتاب يمكن أن يوفيه حقه ويظهر تفاصيل أعماله وإخلاصه وصدقه ولا نزكي على الله أحدًا؟ لقد اهتم الشيخ -رحمه الله- بكل شيء من حياته، وتعب واجتهد حتى في دقائق الأمور، وألحّ على الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل منه أعماله وعباداته وصلواته ودعواته حتى اختاره الله من بين الملايين. لقد أضحى الشيخ يوسف شهيدًا لأنه كان في كل تفاصيل حياته شهيدًا يمشي على الأرض، فكيف لنا أن نختصر حياة هذا الشهيد في صفحات، أو أن نقتصر سيرته العطرة حتى في عدة مجلدات؟! ولكنه جهد المقلّ، ونعتمد في ذلك بعد عون الله سبحانه على توجيهات شيخنا الشهيد نفسه، فطالما حثَّ المجاهدين على توثيق ما استطاعوا من كلماتهم وصورهم وكتاباتهم ووصاياهم لتكون ذكرى حية لذويهم وإخوانهم وأبنائهم ودروسًا تتربى عليها الأجيال[1].

كما كان يقول - رحمه الله:

«اكتبوا ذكرياتكم، سجلوا وصاياكم، تصوروا، ووثقوا، ليس من أجلكم وإنما من أجل دعوتكم التي تضحون بأعماركم وأرواحكم من أجلها، لكي تتربى عليها الأجيال ويعرف الجميع من هم أسلافهم - من هم أبطال فلسطين ومجاهدو حماس[2]. إن تسجيلاتكم وصوركم لا تتعارض مع الإخلاص لله سبحانه وتعالى، بل هي بحد ذاتها دعوة لله وجهاد في سبيله

(1) نلاحظ ذلك من وصاياه رحمه الله، لاحظ ملحق الوصايا.
(2) نقلًا عن الشهيد نصر الدين عصيدة رحمه الله.

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

وستبقى لكم صدقة جارية حتى بعد استشهادكم»[1].

عندما بدأنا كتابة سيرة الشهيد الشيخ يوسف -رحمه الله- في هذه الصفحات لم نكن نكتب عن راحل أو غائب، بل كنا نخط حياة من عاش ولا يزال يعيش بيننا في هذه اللحظات.

هذا الشعور كان يتملكنا في كل سطر نكتبه فيه أو قصة نرويها عنه، كأنها اليوم أو البارحة، مع أن أحداثها وقعت قبل ما يقارب عشرين عامًا.

أليست هذه صورة من صور الحياة للشهيد فينا؟ أليس هذا دليلًا على أنه لا يزال يعيش بيننا؟

وهذا هو دأب الشهداء في كل زمان وفي كل حين تصديقًا لقوله تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون)[2].

ولله در صاحب الظلال حين قال: «إن هناك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء، فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يُقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتًا؛ إنهم أحياء، إنهم قتلوا في ظاهر الأمر،

(1) نقلًا عن الشهيد محمد الحنبلي والشهيد كريم مفارجة رحمهما الله.
(2) آل عمران (169-170).

وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموتة الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع؛ وهؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم. وتأثُّر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم لا يزالون عنصرًا فعالًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها. هذه هي صفة الحياة الأولى، أما الصفة الثانية فهم أحياء عند ربهم... وحسبنا إخبار الله تعالى بالخبر الصادق أنهم أحياء ولكن لا تشعرون، لم ينقطعوا عن حياة الجماعة المسلمة من بعدهم ولا عن أحداثها، فهم متأثرون بها ومؤثرون فيها، والتأثير والتأثر أهم خصائص الحياة. إنه تعديل كامل لمفهوم الموت -متى كان في سبيل الله- وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي نفوس الذين يخلفونهم من ورائهم»[1].

والله نسأل أن يتم هذا العمل على خير وأن يقبله منا خالصًا لوجهه الكريم.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (143+518)

خفقات رفع الرحيك خفقات رفع الرحيك خفقات رفع الرحيك خفقات رفع الرحيك

أقسام الكتاب

يتكـون الكتـاب مـن أربعـة فصـول، أمـا الفصـل الأول فيعطـي لمحـة عامـة عـن حيـاة الشـيخ ومولـده ونشـأته وأسـرته ومؤهلاتـه وأهـم أبحاثـه ونشـاطاته، بينمـا احتـوى الفصـل الثانـي على أهـم سـمات الشـيخ -رحمـه الله- وشـمائله، أمـا الفصـل الثالـث فيضـم في جنباته فترات اعتقال الشيخ وإبعاده وجهاده واستشهاده.

وأخيـرًا يتنـاول الفصـل الرابـع عـددًا مـن الشـهادات الحيـة مـن إخـوان الشـيخ وأهلـه وأحبائـه، إضافـة إلـى عـدد مـن الملاحـق للتعريـف بإخـوان الشـيخ وقبسـات مـن حيـاة الشـهداء، وبعـض كتابات الشيخ ورسائله لأهله، وكذلك وصيته التي خطها بيده.

سـائلين المولـى عـز وجـل أن يتـم هـذ العمـل بأحسـن حـال وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

تفتّــح الحيــاة

للشاعر/ أحمد التلفيتي

يــا نــداءً في جبــال النّــارِ كبَّــر
يــا قميــصَ البِشــر غطّانــا وبشَّــرْ

إنّــه مَــنْ وجهُــهُ مشــكاةُ نــورٍ
صَــدّ خــدًّا عــن دنايــا العيــشِ صَغَّــرْ

مُــذ أذانِ يــوم مولــدِه اِفتتاحًــا
صــار مئذنــة ومحرابًــا مُطَهّــرْ

قلبُــهُ فيهــا تعَلّــقَ مــن نهــادٍ
فهــي بالســركجي هــذا اليــوم تُنصَــرْ

يــا جبــال النّــارِ في الغــازي لهيــبٌ
ولنــا بَــردُ ســلام بــل وأكثَــرْ

صَحبــه يــا أرفَــعَ الأصحــابِ قــدرًا
في مفاهيــم الرّجــالِ نقــاءُ جوهــرْ

شــيخه العــزام[1] أنعِــمْ بالرجــالِ
أو يكــون الحامــد[2] الشــيخ المــؤزّرْ

(1) الشيخ عبد الله عزام.
(2) الشيخ حامد البيتاوي.

خفقاتٌ رغمَ الرحيل خفقاتٌ رغمَ الرحيل خفقاتٌ رغمَ الرحيل خفقاتٌ رغمَ الرحيل

أو لأحمـــد قـــد تتلمـــذ أو ســـعيد[1]
منهـــمُ وردُ الزّنابـــق فيـــه أزهـــرْ

يوســـف الصّدّيـــق في نابلـــسَ رمـــزُ
للحيـــاةِ ويوســـفُ للعـــزَّ مَصـــدَرْ

في مآثـــرهِ روايـــاتُ حِســـانُ
في صحـــافِ السّـــابقين لـــه تُسَـــطَّرْ

أُمـــه يـــا جنَّـــةَ في ناظريـــهِ
ينحنـــي ليقبّـــل القـــدم المغبّـــرْ

يوســـفُ السّـــركجي أنـــتَ عزيـــز ديـــنٍ
حافظًـــا مســـتأمنًا للحـــقّ أظهـــرْ

إنَّ مـــن رام المعالـــي كان حقًّـــا
أن يقـــوم الليـــلَ في كـــدٍّ ويســـهرْ

فيـــك تّغفـــو كلُّ قافيـــةٍ بشـــعرٍ
فيـــك وزنُ الشَّـــعرِ بالإجـــلالِ أبحـــرْ

(1) الشيخان أحمد الحاج، وسعيد بلال.

خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل

الفصل الأول

المولد والنشأة

مولده وأسرته

هو يوسف خالد عبد المجيد السركجي من مواليد مدينة نابلس لأسرة كريمة عرفت بتدينها الفطري فأصل والده الحاج خالد السركجي من المدينة نفسها، أما والدته فهي مقدسية الأصل من عائلة أبو صُلْب، كانت تسكن في البلدة القديمة قرب المسجد الأقصى، وكان الشيخ يوسف -رحمه الله- الأكبر بين إخوانه، وله من الإخوة ثلاثة ومن الأخوات خمس.

ولد الشيخ يوسف بتاريخ: 1961/05/30 م في مدينة نابلس وكبر وترعرع فيها، وقد شهد منذ طفولته حرب 1967م التي احتل فيها العدو الصهيوني الضفة الغربية وقطاع غزة وأراضي عربية؛ وقد شكلت هذه الحادثة علامة فارقة في ذاكرة ذلك الفتى الذي لم يكن قد تجاوز الست سنوات من عمره. درس الشيخ يوسف المرحلة الأساسية في مدارس المدينة وتنقل بين مدرسة وأخرى، وكان متفوقًا في دراسته محبوبًا بين زملائه، صاحب نكتة وخلق حسن. ثم أكمل دراسته الثانوية في مدرسة قدري طوقان الثانوية وكان له في هذه الفترة آثار دعوية واضحة بين أقرانه الطلاب رغم حداثة سنه.

نشاطه العلمي والدعوي والسياسي

أنهى الشيخ يوسف دراسة التوجيهي الفرع العلمي نهاية سبعينيات القرن الماضي، وحصل على معدل يؤهله لدخول كلية العلوم في جامعة النجاح الوطنية. وكانت رغبة والده أن

يـدرس الأحيـاء في الجامعـة إلا أن الشـيخ يوسـف آثـر دراسـة الشـريعة. وبعـد أن أقنـع والديـه بأهميـة دراسـة العلـوم الشـرعية ونـال رضاهمـا انتقـل إلـى عمَّـان لدراسـة الشـريعة الإسـلامية في الجامعة الأردنية[1].

وكان الشـيخ يتمتـع بطاقـة جبـارة وذاكـرة قويـة أهلتـه للتميـز هنـاك. والجديـر بالذكـر هنـا أن الشـيخ قـال لإخوانـه بعـد أن أنهـى دراسته في أكثر من مناسبة:

«لـو اسـتقبلت مـن أمـري مـا اسـتدبرت مـا درسـت إلا علـم النفـس، ولتلقيـت العلـوم الشـرعية بجهـد فـردي» ثـم أكمـل قائـلًا: «فكمـا أن على النجـار أن يعـرف طبيعـة وصفات وأصناف الأخشـاب لأنهـا المـادة التـي يتعامـل معهـا، فعلـى الداعيـة معرفـة طبيعـة نفوس البشر وخفاياها كي يحسن التعامل معها.» [2]

تتلمـذ الشـيخ يوسـف أثنـاء دراسـته في عمَّـان على يـد ثلـة مـن المشـايخ والعلمـاء، وتأثـر بهـم، منهـم الدكتـور عبـد الله عـزام -رحمـه الله- والدكتـور أحمـد نوفـل والدكتـور فضـل عبـاس والدكتـور محمـد عويضـة والدكتـور عبـد القـادر أبـو فـارس وغيرهم؛ وقـد صقلـت شـخصيته أثنـاء دراسـته هنـاك فوهـب لـه الله سـبحانه مواهـب عـدة وأكرمـه بمهـارات متعـددة، وكان رجـلًا في كل الميادين.

فكمـا كان رائـدًا في العمـل المقـاوم والجهـادي كان مميـزًا أيضًـا في العمـل السياسـي والتنظيمـي والدعـوي، ويشـهد لـه بذلـك

(1) زوجة الشهيد.
(2) المؤلف.

معظم الإخوة الذين عاصروه وعملوا في فلكه. فما إن التحق بالجامعة الأردنية حتى كان له حضور واسع في صفوف الإخوان في الجامعة، وكانت له نشاطات بارزة في مساكن الطلاب الجامعية، وقد ذكر الشيخ فتحي القرعاوي والشيخ جمال النتشة كيف كان الشيخ يوسف -رحمه الله- رائدًا في العمل التنظيمي في الجامعة الأردنية، وكيف أصبح -في فترة قصيرة- من قيادات طلاب الإخوان المسلمين فيها.

عاد الشيخ يوسف إلى مدينة نابلس سنة 1983م بعد تخرجه في الجامعة الأردنية، وأخذ موقعه في العمل الدعوي والتنظيمي فكان من أبرز القيادات الشبابية للحركة الإسلامية وله بصمته الخاصة؛ فعمل إمامًا وخطيبًا في مسجد عصيرة القبلية وهي قرية صغيرة تقع جنوب مدينة نابلس، وسكن في غرفة في مسجد القرية. وقد حظي الشيخ بمحبة واحترام أهل القرية شيبًا وشبابًا؛ ففي الوقت الذي كان الشيخ يصاحب الشباب ويعطف على الأطفال، كان يتودد إلى كبار السن ويخدمهم، وبخاصة أنه كان في أيام الشتاء يوقد معهم (الكانون) ويضعه في المسجد بين صلاتي المغرب والعشاء، ويلتف المصلون حوله بعد الصلاة ويتسامرون بما يدخل البهجة إلى قلوبهم، إذ أنه لم يعهد المصلون في تلك الفترة إمامًا بهذه الشخصية وهذا التميز.

وفي عام 1987م عاد الشيخ يوسف للعمل في مساجد المدينة وعُيِّن إمامًا وخطيبًا لمسجد الحاجة عفيفة، وهو مسجد صغير وسط المدينة، وفي تلك الأثناء كانت الانتفاضة

الأولـى عـام 1987 (انتفاضـة المسـاجد) قـد اشـتعلت فأخـذ الشـيخ -رحمه الله- دوره الرائد في قيادتها.

تنقـل الشـيخ بعـد هـذه الفتـرة إمامًـا وخطيبًـا لأكثـر من مسـجد في المدينـة، منهـا مسـجد خالـد بـن الوليـد ثـم مسـجد السـلام وسـط المدينـة، وقـد تأثـر في هـذه الفتـرة بعـدد مـن مشـايخ ورمـوز المدينـة والحركـة الإسـلامية، وعلى رأسـهم الشـيخ أحمـد الحـاج علـي حفظـه الله، والشـيخ حامـد البيتـاوي -رحمـه الله- وكذلـك الأسـتاذ نبيـل البشـتاوي حفظـه الله، والشـيخ سـعيد بـلال -رحمـه الله- وكان لهـم كبيـر الأثـر عليـه -رحمـه الله- فلطالمـا دعا لهم وحدَّث إخوانه عن مناقبهم.

وفي مرحلـة تسـعينيات القـرن الماضـي تـدرج الشـيخ يوسـف في العمـل الإداري وارتقـى في السـلم التنظيمـي حتـى أصبـح المسـئول الأول عـن العمـل التربـوي والدعـوي على مسـتوى المدينة وأحد أبرز قيادات الإخوان المسلمين في فلسطين[1].

كمـا أنـه -رحمـه الله- كان المسـئول عـن القيـادات الطلابيـة في المدارس والجامعات، وكان يحتك بشـكل مباشـر بتلك الشـريحة ويتـرك أثـره الطيـب فيهـم. وفي هـذه الفتـرة تقـدم لإكمـال دراسـته العليـا في جامعـة النجـاح الوطنيـة، وحصـل على درجـة الماجستير في الشريعة الإسلامية، وذلك في عام 1997م.

ويُذكـر أن الشـيخ -رحمـه الله- عمـل جنبًـا إلـى جنـب مـع إخوانـه الشـهداء الشـيخ جمـال منصـور والشـيخ جمـال سـليم والشـيخ صـلاح دروزة في العمـل السياسـي والجماهيـري؛ وقـد ذكـر

(1) الأخ معاذ بلال.

الأخ حسام بدران كيف شكَّل هؤلاء الإخوة رحمهم الله أيقونة العمل السياسي والتنظيمي ليس على مستوى المدينة فحسب بل على مستوى الوطن في نهاية القرن الماضي.

أبحاثه ومؤلفاته

لا شك أن انشغال الشيخ يوسف -رحمه الله- بالعمل الإداري والتنظيمي، ونشاطه البارز في ميادين الجهاد والمقاومة التي كانت تستحوذ على جل وقته قد أثر بشكل مباشر في نشاطه في البحث والتأليف، مع أنه كان -رحمه الله- عالمًا من علماء الأمة الإسلامية وعضوًا فعالًا في رابطة علماء فلسطين، ومتابعًا نشطًا للمستجدات التعليمية والسياسية، ولسان حاله كحال الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله- عندما سئل لماذا لا تكتب وتنشر المؤلفات فأجاب: إنما أؤلف الرجال؛ ومع ذلك، وبالرغم من كثرة انشغالاته إلا أن له العديد من الأبحاث والدراسات غير المنشورة والتي كتبها أثناء دراسته الجامعية[1]، وأثناء وجوده في السجن والإبعاد، وأهمها تفسير سورة الكهف، التي عكف على تفسيرها عدة أشهر متواصلة في سجن الجنيد نهاية التسعينيات، مستفيدًا من الحلقات البحثية والتعليمية التي كان ينظمها لإخوانه الأسرى[2]. وقد ذكر الأخ المجاهد فراس فيضي أثناء زيارته للشيخ يوسف وإخوانه في سجن الجنيد كيف كان الشيخ -رحمه الله- يخرج معه الأوراق البحثية ليقوم بطباعتها خارج السجن ليعيدها في الزيارة

(1) ذوو الشهيد وآخرون.
(2) أحمد صقر ومحمد صبحة وآخرون.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

التاليـة، ويؤكـد فـراس كيـف كان الشـيخ دقيـق الملاحظـة يهتـم بالتفاصيـل كعادتـه أثنـاء تنقيـح الأوراق، حتـى إنـه كان يعيدهـا أكثـر مـن مـرة لتعديلهـا حتـى تكـون على أحسـن صـورة. ومـن أبحاثـه المهمـة كذلـك دراسـته التـي نـال بهـا درجـة الماجسـتير مـن جامعـة النجـاح الوطنيـة عـام 1997م بعنـوان: «حكـم الشـريعة الإسـلامية في الخُلـوُ والمفتاحيـة» وقـد أصـل الشـيخ -رحمـه الله- الحكـم الشـرعي للخلـو والمفتاحيـة في عصرنـا الحاضـر. وقـد أشـرف على البحـث الدكتـور جمـال زيـد الكيلانـي، وضمـت الرسـالة أربعـة فصـول، احتـوى الفصـل الأول منهـا الدراسـة التمهيديـة التي شـملت أنـواع البيـوع، والعـرف، وأنـواع الأمـوال والإجـارة وموجـزًا عـن الفسـاد والبطـلان في العقـود؛ أمـا الفصـل الثانـي فقـد احتـوى على المفتاحيـة ومـا يتعلـق بهـا، مثـل سـبب ظهورهـا والألفـاظ المرادفـة للخلـو والمفتاحيـة، كمـا احتـوى دراسـة في علـم الأدلـة التـي اعتمـد عليهـا القائلـون بجـواز المفتاحيـة أو عـدم الجـواز؛ بينمـا احتـوى الفصـل الثالـث على مفهـوم الخُلـوُ وأحكامـه ونشـوء ظاهـرة الخُلـوُ وظهورهـا وعلاقتـه بغيـره مـن المسـائل؛ أمـا الفصـل الرابـع والأخيـر فقـد تحـدث عـن الخُلـوُ في العصـر الحديـث واحتوى على ملخـص الرسـالة وأهـم نتائجهـا التـي أشـار مـن خلالهـا إلـى جـواز الخُلـوُ في الشـريعة الإسـلامية ضمـن الضوابـط الشـرعية، وقـد نالـت الدراسـة استحسـان ثلـة مـن علمـاء وأسـاتذة الشـريعة يـوم المناقشـة، وقـد شـارك الشـيخ -رحمـه الله- في عـدد مـن المحاضـرات والمؤتمـرات الإسـلامية في الضفـة الغربيـة كمـا أن لـه مشاركات في عدد من الصحف والمجلات الإسلامية المختلفة[1].

(1) ذوو الشهيد وآخرون.

علاقاته العائلية والاجتماعية

تـزوج الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- بعـد عودتـه مـن دراسـته في الأردن زوجتـه الفاضلـة أم طـارق مـن مدينـة طولكـرم، سـكن نابلـس بالقـرب مـن «متنـزه العائـلات» ولـه أربعـة مـن الأولاد طارق، ومعـاذ، وشـهد، وصفـاء حفظهـم الله، وكمـا كان راقيًـا في التعامـل مـع إخوانـه كان أكثـر رقيًـا في بيتـه مـع أهلـه وأولاده، فقـد كان -رحمـه الله- يسـاعد في الأعمـال المنزليـة ولا سـيما أن زوجتـه كانـت موظفـة، كما أنـه كان يعتني بـأولاده وخدمتهم وتدريسـهم. وتذكـر زوجتـه الفاضلـة كيـف أنـه كان زوجًـا مثاليًـا وأبًـا صالحًـا وقـدوة حسـنة للجميـع فقـد كان شـديد الاهتمـام بتربيـة أولاده ومتابعتهـم حتـى أثنـاء وجـوده داخـل المعتقـل وفي أثنـاء مطاردتـه مـن قبـل الاحتـلال إذ كان يتواصـل معهـم بالمراسـلة فهنـاك عـدد مـن رسـائله التـي هربهـا مـن السـجون في هـذا الإطـار. كمـا أكـدت زوجتـه أنـه كان يرسـل إليهـم الهدايا مـع إخوانه سـواء في فتـرة السـجن أو أثنـاء المطـاردة ليشـد مـن أزرهـم ويرفـع معنوياتهم.

وأكـد ابنـه طـارق أنـه كان حازمًـا في تربيـة أولاده عطوفًـا حنونًا عليهـم، وأنـه كان يرشـدهم ويتابعهـم ويحثهـم على المطالعـة ومتابعـة البرامـج الهادفـة، ويشـجعهم على الصـلاة والطاعـة والأذكار حتـى وهـو داخـل السـجون عبر رسـائله؛ وأنه كان يسـتخدم المكافـأة لتحفيزهـم، ويجمعهـم على حلقـات الذكـر والدعـاء وموائـد القـرآن ويحثهـم على حفـظ وصايـا الإمـام الشـهيد حسـن البنـا، وأنـه كان يصلـي خلـف أحـد أبنائـه في قيـام الليـل تشـجيعًا

لهم.

وتذكُـر ابنتـه الصغـرى صفـاء التـي وُلـدت وهـو مبعـد في مـرج الزهـور كيـف كان والدهـا حنونًـا عليهـم يلبـي كل طلباتهـم؛ وتذكُر أيضًـا أنـه خـرج في إحـدى الليالـي مـن المنـزل ليشـتري لهـا لعبـة كانـت قـد شـاهدتها في محـل مجـاور بعـد أن ألحـت عليـه تلـك الليلة في طلبها، لكي يجبر خاطرها.

أمـا علاقتـه بوالديـه فكانـت قمـة في البـر وخفـض الجنـاح، فما عُـرف عنـه إلا طاعتهمـا والتذلـل لهمـا وتقبيـل أيديهمـا بشـكل دائـم أمـام الكبيـر والصغيـر تعبيـرًا عـن حبـه لهمـا وبـرِّه بهمـا. وكثيـرًا مـا كان يمشـي في الأسـواق بجانـب والدتـه يحمـل لهـا المشـتريات، ويسـير معهـا بتـودد؛ وعندمـا كانـت تريد شـراء سـلعة ما، كان لا يتدخل إلا بإذنها ولا يرفع صوته في حضرتها.

كمـا تميـز الشـيخ -رحمـه الله- بسـعة علاقاتـه الاجتماعيـة فقـد كان محبًـا للجميـع يهتـم بـكل مـن حولـه، فقـد أحـب إخوتـه وأخواتـه حبًـا كبيـرًا وتـودد إليهـم. ويذكـر ابن أختـه أمير السـركجي كيـف كانـت والدتـه تحدثـه عـن أخيهـا الشـيخ وعـن مناقبـه ومواقفـه التـي لا تنسـى معهـم؛ فقد كان يصل الرحم ولا ينسـاهم في الأعيـاد والمناسـبات، دائـم الزيـارة لهـم يسـأل عـن أحوالهـم ويلبي احتياجاتهم.

الفصل الثاني

صفات الشيخ وشمائله

لقد تميزت شخصية الشيخ الشهيد يوسف السركجي بصفات كريمة، وتحلى بأخلاق عظيمة، أثرت في كل من حوله، فقد كان -رحمه الله- عالمًا عابدًا مجاهدًا قدوة في أخلاقه وأعماله.

اتّسم الشيخ -رحمه الله- بهدوئه وسلامة صدره، كانت كلماته قليلة وصوته هادئًا، فإذا سئل مسألة قال للسائل: هل تريد الجواب مختصرًا أم مفصلًا، فإذا كان مختصرًا أعطاه جوابًا شافيًا بكلمات قليلة، وإذا أراده مفصلًا فصَّله له وسرد أقوال العلماء في تلك المسألة وفصَّلها تفصيلًا وفي نهاية كلامه يقول رأيه الشخصي فيه مرجحًا أحد الأقوال.

فقد كان -رحمه الله- بسمو أخلاقه وعلو همته وحبه لإخوانه وبره بوالديه، وكرمه وتواضعه، من خيار الناس وصدق فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا».[1] وقد عُرف -رحمه الله- بشدة خشيته لله وحبه له سبحانه، وتحري السنة النبوية في كل عباداته وأعماله والتأسي بأخلاقه عليه الصلاة والسلام.

يقول الأسير المجاهد معاذ بلال: أما عن خلقه فقد كان -رحمه الله- ممن وصفهم الشهيد الإمام حسن البنا مصحفًا يمشي على الأرض، وأبرز صفة أخلاقية ميَّزته التواضع وما يندرج تحت هذا العنوان من لين ودماثة وحياء وابتسامة دائمة لا تفارق محياه وسخاء وعطاء بلا حدود.

(1) متفق عليه.

فكفكات رفع الرحيل فكفكات رفع الرحيل فكفكات رفع الرحيل فكفكات رفع الرحيل فكفكات رفع الرحيل

وفاؤه

مـن أكثـر الصفـات التـي كان الجميع يلمسـها في الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- وألقـت بظلالهـا على مـن حولـه وأثـرت فيهـم صفـة الوفـاء بـكل أشـكالها، فهنـاك صـور كثيـرة مـن أفعالـه تؤكـد هـذا الخلـق عنـده إذ إنـه طبقهـا -رحمـه الله- وعبّـر عنهـا بأسـاليبه المختلفـة، وسـعى لهـا بـكل جوارحـه حتـى أصبحـت واقعًـا يعيشـه يوميًـا ودون تكلـف متمثـلًا تلـك الحكمـة التـي تقـول: الحـر من راعى وداد لحظة وانتمى لمن أفاده لفظة.

فقـد كان -رحمـه الله- وفيًـا لـكل مـن حولـه، للصغيـر والكبيـر، للقريـب والبعيـد، ولـكل مـن قـدم لـه معروفًـا مهمـا كان صغيـرًا ولـكل مـن كان لـه فضـل عليـه أو على وطنـه وشـعبه..وفيًا لوالديه وأهلـه وأولاده، وكان وفيًـا لإخوتـه وأخواتـه وكل أقاربـه، ولمشـايخه وإخوانه وأساتذته، وللشهداء وذويهم، وكذلك لدينه ودعوته.

وفاؤه لدماء الشهداء وذويهم

هنـاك مواقـف كثيـرة تؤكـد وفـاء الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- لأهالـي الشـهداء وأبنائهـم، فـكان حيـن يـرى أطفـال الشـهداء ينحنـي بقامتـه الطويلـة أمـام الطفـل ويلاطفـه ويقبـل يديـه ويمسح على رأسه ويقدم له الحلوى ويدعو له ولوالده الشهيد.

ومـن هـذه الصـور زيارتـه لأهالـي الشـهداء وتحسسـه لأحوالهـم وتقديـم المسـاعدة لهـم، وحثـه إخوانـه على أهميـة الوفـاء للشـهداء وذويهـم وضـرورة زيارتهـم المنتظمـة وتقديـم المسـاعدة المادية والمعنوية لهم.

في سجن الجنيد ورغم اعتقاله والمحنة التي كان يعيشها الأسرى هناك، عمل الشيخ على تنظيم ورشة عمل لصناعة عدة مجسمات لقبة الصخرة وإرسالها كهدية رمزية من الأسرى إلى ذوي شهداء عمليات «شهداء من أجل الأسرى» وهم الشهيد خليل الشريف من نابلس والشهيد يوسف شولي والشهيد معاوية جرارعة والشهيد توفيق ياسين والشهيد بشار صوالحة وجميعهم من عصيرة الشمالية - شمال مدينة نابلس. كما أنه كان -من خلال مسئوليته الخارجية عن الكتلة الإسلامية في كل مناسبة مثل الأعياد- يزور من يمكن زيارته من أهالي الشهداء ويقدم الحلوى والهدايا الرمزية لهم وبشكل منتظم كنشاط اجتماعي. وكان يتابع هذه النشاطات بشكل مباشر في كثير من الأحيان، كما أنه بصفته التنظيمية كمسئول عن العمل الإداري والحركي في المحافظة كان يتابع المساجد أيضًا لإقامة هذه النشاطات في كل المناطق.

أذكر أننا في أحد الأعياد وبعد الانتهاء من زيارة أهالي الشهداء والمعتقلين ذهبنا لزيارة الشيخ يوسف -رحمه الله- وأخذنا معنا هدية من تلك الهدايا التي خصصت لأهالي الشهداء والمعتقلين، وبعد الزيارة سألَنا عن مصدر الهدية فأجبناه، فقال: أما أنا فلست من ذوي الأسرى والشهداء، وعليه فأنا لا أستحق هذه الهدية، وسأدفع ثمنها لصندوق الأسرى والشهداء وفاءً لدماء الشهداء وذويهم، وأكرَمَنا في زيارتنا تلك وشكرَنا عليها، وعلمَنا درسًا لن ننساه ما حيينا[1].

(1) المؤلف.

خففات رفع الرحيل خففات رفع الرحيل خففات رفع الرحيل خففات رفع الرحيل خففات رفع الرحيل

كرمه وسخاؤه

كان -رحمـه الله- كريمًـا سـخيًا يؤثـر إخوانـه على نفسـه، ومواقفـه التـي تؤكـد هـذه الصفـات كثيـرة، فقـد حـدّث عنـه إخوانـه محمـد صبحـة ورأفـت ناصيـف ورائـد الحوتـري عندمـا كان معتقـلًا في سـجن الجنيـد أنـه كان أكـرم الرجـال، ومحبًـا لإخوانـه خدومًـا لهـم، فلطالمـا أعـد الطعـام والشـراب على حسـابه الشـخصي وقدمـه لإخوانـه بطيـب نفـس، وبخاصـة أيـام الزيـارات، فقـد كان يشـتري المشـروبات ويوزعهـا على الأهالـي الزائريـن بنفسـه، وكان يُكـرم كل مـن يـزوره بسـخاء. أمـا في حياتـه خـارج السـجون فقـد كانـت هـذه الصـورة تظهـر بوضـوح عندمـا كان يزوره أحدٌ في منزله.

أصابـت ضائقـة ماليـة شـركة يمتلكهـا بعـض الإخـوة، وعلـم الشـيخ بظروفهـم الصعبـة وكان حينهـا لا يمتلـك إلا ألـف دينـار، فوضعهـا في مغلـف وأرسـلها لأولئـك الإخـوة تعبيـرًا منـه عـن تعاطفـه معهـم قائـلًا: لـو كنـت أمتلـك أكثـر مـن ذلـك مـا منعتـه عنكم[1].

وعندمـا كنـا طلابًـا في جامعـة النجـاح كان الشـيخ كثيـرًا مـا يأتـي لزيارتنـا خـلال النشـاطات الطلابيـة حامـلًا معـه كثيـرًا مـن الأطعمـة والمشـروبات ليوزعهـا على كل العامليـن، مـا تـرك أثـرًا طيبًـا في قلـوب هـؤلاء الشـباب انعكـس إيجابيًـا على النشـاط في تلك الأثناء.

(1) المؤلف.

فراسته ومعرفته بمعادن الرجال

كان الشيخ -رحمه الله- ملهمًا من الله سبحانه، يتمتع بفراسة ثاقبة ويعرف معادن الرجال، وقد رويت عشرات القصص عنه في هذا الجانب.

فقد حدَّث عنه الشهيد فهيم دوابشة عندما كنا معتقلين في سجن الجنيد في أواخر التسعينيات أكثر من قصة تؤكد هذه السمة، فقد أخبر عنه أنه قال عن الشهداء مهند الطاهر وطاهر جرارعة ونصر الدين عصيدة أنهم عندما يخرجون من السجن سيقودون الأعمال الجهادية مباشرة، في حين أنه قال عن بعض الإخوة من أقرانهم هناك أنهم سيبتعدون عن العمل الجهادي، وقد حصل ما قاله بالضبط... فقد انخرط الإخوة الذين ذكرهم بالعمل الجهادي وقضوا شهداء رحمهم الله. أما الآخرون الذين ذكرهم فقد تزوجوا وأنجبوا وابتعدوا عن الأعمال الجهادية بل الدعوية كذلك.

كما ذكر الأخ المجاهد عثمان بلال كيف تفرس به منذ صغره واهتم به وكان يدعوه إلى أنشطة واجتماعات خاصة، كان فيها عثمان الأصغر سنًا، ما أثر كثيرًا فيه.

وقد روى أكثر من أخ كيف تفرس الشيخ -رحمه الله- بالشهيد خليل الشريف والمجاهد معاذ بلال قبل انخراطهما الكامل في الأعمال الجهادية ولم يخيّب الله سبحانه ظنه في هؤلاء الرجال.

كان الشهيد محمد الحنبلي -رحمه الله- قبل مطاردة الاحتلال له يقوم بمساعدة المجاهدين ويعمل معهم باسم

حركـي «المحـروق»؛ لأنـه كان ينفـذ مهماتـه بحرقـة واهتمـام وكان يتواصـل مـع الشـيخ يوسـف -رحمه الله- بهـذا الاسـم دون أن يعرف الشـيخ حقيقـة مـن يتواصـل معـه، وهـذا مـن متطلبـات المرحلـة، إلا أن الشـيخ لفـرط ذكائـه وفطنتـه قـد عرفـه وبعـث لـه برسـالة بعد أن قرر أن يقابله جاء فيها:

«بعـد حمـد الله والثنـاء عليـه والدعاء لمحمـد بالقبـول والثبات، أسـأل الله سـبحانه أن يجعلـك محمـودًا في الدنيـا والآخـرة»، ثـم قـال: «كـن محمـدًا حتـى ألقـاك يـوم كـذا في سـاعة كـذا...» وعندمـا قـرأ محمـد الرسـالة ابتسـم وقـال في نفسـه: كيـف لنـا أن نتخفى عنك يا شيخنا وأنت (والدنا).

أمـا إخـوان الشـيخ ورفقـاء دربـه فمعظمهـم الآن شـهداء، لا سـيما الشـيخان جمـال منصـور وجمـال سـليم، فقـد كانـا مـن أعـز إخوانـه على قلبـه، ولطالمـا حـدَّث عنهمـا وعـن خصالهمـا ومناقبهمـا بعـد استشـهادهما، لقـد أحبهمـا حبًـا شـديدًا، وحـزن لفراقهما وتفطر قلبه لرحيلهما.

وقـد ذكـر الأخ محمـد صبحـة كيـف كانـت مفاجأتـه، وذهولـه مـن فراسـة الشـيخ بعـد آخـر زيـارة لـه في منزلـه عـام 2001، حيـن نـاداه الشـيخ حيـن خروجـه مـن بـاب المنـزل بعـد انتهـاء الزيـارة قائـلًا: محمـد لا تفجـع إخوانـك بـك، إذ لـم يكـن الشـيخ يعلـم حينهـا أن محمـدًا خـارجٌ لتنفيـذ عمليـة جهاديـة والتـي أدت إلـى اعتقاله.

تواضعه وسلامة صدره

كان الشيخ -رحمه الله- رغم علمه الغزير وموقعه القيادي في الحركة متواضعًا سمحًا محببًا لإخوانه؛ وكثيرة هي المواقف التي تؤكد أصالة هذه الخصال في نفس الشيخ والتي كان يجسدها بتلقائية، فقد ذكر عدد من الإخوة كيف كان يأتي للعمل والأنشطة الطلابية في جامعة النجاح، وهو ذو المنصب القيادي الرفيع ويطلب من العاملين هناك أن يكلفوه القيام بأعمال كالطلاب الآخرين متذرعًا أنه لا يزال طالبًا في الماجستير بالجامعة، كما أنه كان يقوم بأعمال التنظيف والترتيب للرفوف في معارض الكتب[1]. كما أنه -رحمه الله- من شدة تواضعه، كثيرًا ما كان يُقبل أيدي إخوانه العاملين والمجاهدين، ويقول: شرف لي أن أُقبل هذه الأيادي التي تجاهد في سبيل الله وتخدم دعوته.

وفي فترة مطاردة الاحتلال له، كان الشيخ هو الذي يعد الطعام ويغسل الأواني وينظف مكان الإيواء رغم قيادته للعمل الجهادي بأسره، وكان يقول: (إن خدمة المجاهدين شرف عظيم أتقرب به إلى الله سبحانه).

يقول الشهيد مهند الطاهر -رحمه الله- الذي رافق الشيخ أيام مطاردة الاحتلال له: (لقد صحبت الشيخ أيامًا وليالي، فوالله ما سمعته يومًا نال من عرض أحد أو لمز أحدًا، وما كان يذكر إخوانه إلا بخير وإن ساءه شيء من أحدهم كان يبادر بنصحه، فهو محب لإخوانه وسترٌ لهم)، وقد صدق فيه قوله

(1) محمد الحنبلي ومحمد صبحة ومعاذ بلال.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

صلى الله عليه وسلم عندما قيل له: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فقال: كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ، قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُه، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ.

عدله وورعه

كان -رحمه الله- شديد الخشية لله سبحانه وتعالى... ملتزمًا حدوده تقيًا ورعًا -ولا نزكي على الله أحدًا- ويظهر ذلك جليًا في كل تصرفاته فقد كان يكره الظلم ويتحرى العدل في كل صغيرة وكبيرة.

حدَّث عنه الشهيد محمد الحنبلي أنهم خلال عملهم الطلابي والنقابي في جامعة النجاح كانوا يتعرضون لضغوط لإنهاء بعض النشاطات، وكانت هذه الضغوط يمارسها في بعض الأحيان بعض المسئولين في الحركة تماشيًا ومجاملة لبعض الوساطات والشخصيات في مدينة نابلس، ما يؤثر سلبًا في نفوس الشباب العاملين في الجامعة ويشعرهم بالانكسار، لكن الشيخ -رحمه الله- كان يقف إلى جانب هؤلاء الشباب قائلًا إنه لا يجوز تعريضهم إلى هذه الضغوط ما داموا على الحق مجاملة وطمعًا في جلب موقف من بعض الوجهاء، مستشهدًا بقوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى-أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) كيف أنه سبحانه وتعالى عاتب رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم لإعراضه عن الصحابي عبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه- عندما كان يدعو بعض وجهاء قريش للإسلام، فقد أعرض

صلى الله عليه وسلم عن الصحابي الضرير ابن أم مكتوم عندما جاء يسأله عن مسألة ما طمعًا في إسلام بعض الوجهاء، فنزلت هذه الآيات تعاتب الرسول مع أنه صلى الله عليه وسلم ما أراد إلا خيرًا.

كان -رحمه الله- يدور مع الحق حيث دار، يرجع عن خطئه إذا أخطأ ولا يعود إليه، وكثيرًا ما كان يقضي بين إخوانه بالعدل حين اختلافهم وبخاصة في السجون وكان الجميع يرضون بحكمه.

وقد أخبر الشهيدُ أنور حمران من قيادات الجهاد الإسلامي في السجون أن الشيخ يوسف هو الذي كان يقضي بين الأسرى لحل خلافاتهم في السجون وأن كثيرًا من الشباب كانوا لا يرضون إلا بالشيخ يوسف حكمًا، وما ذلك إلا لورعه وعدله.

أذكر خلال مرافقتي له في فترة مطاردته أنه كان يهتم بمكان وضع المصاحف رغم ضيق المكان الذي لجأنا إليه، ويتحرى السنة في نومه، كما أنه كان يرفض الأكل على أوراق الصحف العربية، لاحتوائها على كلمات وآيات قرآنية، وكان -رحمه الله- كثير الذكر والاستغفار، كثير القيام، قليل الكلام إلا فيما يفيد، خدومًا لإخوانه شديد المتابعة لمسئولياته.

يذكر أن الشيخ -رحمه الله- لم يُصدر فتوى بتوجيه البنادق لقوات الأجهزة الأمنية في السلطة الفلسطينية رغم ملاحقتهم للمجاهدين في بداية انتفاضة الأقصى عام 2001، وقال بشكل واضح إنه لا يجوز قتل أحد من قوات أجهزة السلطة الفلسطينية رغم هذه الظروف. وقد سأله الشهيد نسيم أبو

الـروس: ألا تعتبـر ذلـك دفاعًـا عـن النفس؟ فقـال في هـذه الظروف لا يجـوز رغـم أن الشـيخ -رحمـه الله- قـد عانـى كثيـرًا في سـجون السـلطة الفلسـطينية إلا أنـه في تلـك المرحلـة لـم يصـدر فتـوى بقتالهــم وإنمــا العمــل على الإفــلات منهــم ومراوغتهــم، فــإن حصل قتل حينها يدخل في إطار القتل الخطأ[1].

وكان -رحمـه الله- كثيـرًا مـا يدعـو إخوانـه لتجديـد النيـة في كل عمـل، صغيـرًا كان أم كبيـرًا، وقـال: إن النيـة قـد تتشـوش وتتغير خـلال العمـل وحتـى نأخـذ الأجـر كامـلًا وييسـر الله لنـا العمـل يجب تجديد النية دائمًا[2].

كمـا أنــه كان يدعــو إخوانــه إلــى الإكثــار مــن النوافـل والأذكار عندمـا ينهـون مهامهـم الجهاديـة قائـلًا لهـم: لا تركنـوا للراحـة، أكثـروا مـن الاسـتغفار والأذكار لأن الله سـبحانه وتعالى قـال مخاطبًا الرسول صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ».

نعـم لقـد كان الشـيخ -رحمـه الله- ورعًـا يخـاف الله عـز وجـل، عادلًا بين إخوانه منصفًا حتى مع خصومه وفي أحلك الظروف.

فقـد شـاع ذات مـرة خبـر في وسـائل الإعـلام عـن إسـاءة تعـرض لهـا الشـيخ مـن سـجاني السـلطة الفلسـطينية في سـجن الجنيـد أثنــاء وجــوده هنــاك أواخــر تســعينيات القــرن الماضــي، ومــع أن الشـيخ -رحمـه الله- كان قـد تعـرض لتعذيـب قـاسٍ مـن أجهـزة أمـن السـلطة، إلا أنـه في تلـك الفتـرة لـم يتعـرض مـن السـجانين إلـى مـا أشـيع مـن تلـك الإسـاءة بالتحديـد، وإنمـا كانـت معاناتـه

(1) نقلًا عن الشهيد علي الحضري، والشهيد نسيم أبو الروس، والشهيد طاهر جرارعة.
(2) الشهيد مهند الطاهر وآخرون.

في فترة سابقة من جهاز آخر؛ لذلك لم يقرّ بهذه الإساءة، واعتبر أن سكوته عن هذه الشائعة هو حياد عن العدل ووقوع في الظلم. وتلا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[1].

وجاء تفسير قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ) أي لا يدخلنكم في الحرام، أي في ترك العدل وإيثار العدوان على الحق لأن الله سبحانه أمر بالعدل مع العدو والصديق، ولا يدفعنكم بغض قوم لتتخطوا الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم، قال صلى الله عليه وسلم: (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).[2]

وقد تعدى فهم الشيخ لهذه الآية إلى أنه لا يجوز السكوت عن ظلم لم يتعرض له بقصد الانتقام من خصومه واتهامهم بذلك لإدخال الهم والغم إلى نفوسهم. ومع أنهم سلطة واحدة ونظام واحد إلا أنه كان يفرق بين السجان في السجن، وبين ابن الأجهزة الأمنية في التحقيق، نعم رفض الإقرار بذلك الظلم، بل قام بإصدار بيان في الصحف ينفي به هذه الشائعة.

وقد قامت إدارة السجن بمراجعة الشيخ بتلك الحادثة، وطلبوا منه تحديد موقفه، إلا أن مفاجأتهم كانت كبيرة عندما علموا ما نشره في وسائل الإعلام[3].

(1) سورة المائدة آية (8).
(2) القرطبي ص 422+478.
(3) نقلًا عن الأخ رأفت ناصيف.

خفقات رفح الرحيل خفقات رفح الرحيل خفقات رفح الرحيل خفقات رفح الرحيل خفقات رفح الرحيل

صبره وتحمله

قـال تعالـى: (إِنَّمَـا يُـوَفَّى الصَّابِـرُونَ أَجْرَهُـم بِغَـيْرِ حِسَـابٍ) لا شـك أن حيـاة الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- كانـت مليئـة بالمحـن والابتـلاءات، ومـا ذلـك إلا لأنـه اختـار حيـاة الربـاط والجهـاد وسـلك طريـق ذات الشـوكة. وهـذا هـو دأب الصالحيـن المجاهديـن على مـر الزمـان لذلـك نجـد أن الشـيخ -رحمـه الله- وطَّـن نفسـه على الصبـر وتحمـل الصعـاب منـذ صغـره، وظهـر ذلـك جليًـا في خطبـه ومواعظـه وتوجيهاتـه لإخوانـه خـلال الأنشـطة الدعويـة أيـام الرخاء.

ذكـر كثيـر مـن الإخـوة الذيـن عايشـوا الشـيخ كيـف كان يربـي نفسـه وإخوانـه على الصبـر وتحمـل الصعـاب مـن خـلال الرحـلات الجبليـة والمخيمـات الصيفيـة، وكيـف كان يمنـع عنهـم الطعـام والشـراب لفتـرات طويلـة، ثـم يقـف ويعظهـم ويتلـو آيـات الصبـر ويذكرهم أن هناك أيامًا تنتظرهم بحاجة إلى رجال أشداء.

لقـد كان الشـيخ -رحمـه الله- قليـل التذمـر صبورًا لا يشـكو همه وألمـه إلا إلـى الله سـبحانه وتعالـى، فقـد ابتُلـيَ الشـيخ بعـدة اعتقـالات في عهـد الاحتـلال، وأصابتـه عـدة أمـراض في مطلـع التسـعينيات أثنـاء التحقيـق، وكاد يلقـى الله شـهيدًا، ولـم يبـح بسـره للاحتـلال، ثـم ابتلـي بالإبعـاد إلـى مـرج الزهـور وبقـي صابـرًا محتسـبًا. وبعدهـا بعـدة سـنوات ابتلـي الشـيخ مـن جديـد في سـجون السـلطة الفلسـطينية، وتعـرض لتحقيـق قـاسٍ في سـجن أريحـا، وأصيـب بعـدة أمـراض كادت تـودي بحياتـه، وبقـي صابـرًا محتسـبًا لعـدة سـنوات يكابـد الظلـم والقهر مـع إخوانـه المعتقلين

في سجن الجنيد. ثم خرج الشيخ من سجن الجنيد ليبدأ رحلة جديدة من التحدي أثناء مطاردة الاحتلال له، لقد عاش الشيخ ظروفًا صعبة خلال هذه الفترة وعانى كثيرًا من بعض الأمراض.

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ يصبر على الابتلاءات والأمراض كان يصبر على الطاعات وترك المعاصي، وظهر ذلك جليًا أثناء اعتقالاته، فقد أكد كثير من الإخوة أنه كان صوامًا قوامًا، يعظ إخوانه ويذكرهم بأهمية الصبر على الطاعات، ومجاهدة النفس وكبحها عن ارتكاب المعاصي والآثام، وكان دائمًا قدوتهم في ذلك.

أذكر أنه خلال فترة المطاردة كان يحث إخوانه على إلزام أنفسهم مداومة الأذكار بعد الصلاة وكثرة التسبيح والاستغفار، كما أنه قال في أكثر من مناسبة: هناك إخوان لكم يحبون أن تتحرر فلسطين ويحبون المجاهدين ويحبون أن يجاهدوا الاحتلال لكنهم لا يريدون أن يدفعوا الثمن، لا يريدون أن يُعتقلوا أو يُصابوا بأذىً، وهذا لا يصح، فمن أراد أن يجاهد فعليه أن يوطن نفسه لتحمل العواقب وأن يدفع الثمن، الجهاد في سبيل الله لا يقدر عليه إلا الرجال.

رحمك الله يا شيخنا، لقد جاهدت وصبرت وتحملت ونلت ما أردت.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

مستجاب الدعوة

قـال تعالـى: (وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِى عَـنِّى فَـإِنِّى قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[1]

كان الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- يكثـر مـن الدعـاء في خلواتـه وصلواتـه، ولطالمـا حـثّ إخوانـه وأحبابـه على التـزام هـذه العبـادة العظيمـة، بـل كان يدعوهـم إلـى تخصيـص وقـت في كل يـوم للدعـاء.. ولقـد سـمعته مـرارًا حيـن كان يقـول: يـا إخوانـي.. مـن لـه حاجـة عنـد الله فليذهـب الآن ويطلـب منـه، فـالله كريـم لا يخيّـب أحـدًا. ولا أنسـى ذلـك الموقـف حيـن استشـرته وهـو في سـجن الجنيـد في أمـر مـا، فقـال لي بعـد أن أشـار عليَّ بأسـلوبه البسـيط وكلماتـه الدافئـة: هـل اسـتخرت الله سـبحانه؟ اذهـب يـا أخـي واسـتخر الله سـبحانه واطلـب منـه أن يهديـك إلـى مـا فيـه الخيـر، ثـم قـال: لا تنسـني يـا أخـي مـن دعواتـك، لأن الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم يقـول: «دعـوة المـرء المسـلم لأخيـه بظهـر الغيـب مستجابة»[2]

وقـد قـدر لـي أن أتشـرف بصحبـة الشـيخ بضعـة أيـام وهـو مطـارد قبـل استشـهاده، وقـد كان يكثـر من الدعـاء في قيـام الليل، ويدعـو لكثيـر مـن إخوانـه بالاسـم، وقـد اسـتيقظت في إحـدى الليالـي وهـو سـاجد يبكـي ويدعـو الله عـز وجـل قائـلًا: «اللهـم ارزقنـي الشـهادة في سـبيلك، اللهـم حـرّم جسـدي على الاعتقـال يـا رب العالميـن... اللهـم ارزقنـي حبـك، وحـب مـن يحبـك، وحـب

(1) سورة البقرة آية (186).
(2) رواه مسلم.

كل عمل يقربني إلى حبك يا رب العالمين... اللهم اجعل حبك في قلبي أحب إلى من الماء البارد وقت الظمأ...» وازداد صوت بكائه حتى ملأ المكان، ثم أكثر من الدعاء لوالديه وأهله وأولاده.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كان من دعاء داود عليه السلام: (اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد[1].

كما أنه -رحمه الله- كان يكثر من الأدعية المأثورة عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكثيرًا ما كان يدعو قائلًا: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[2].

أما في دعاء القنوت فقد كان يبدؤه بقوله: اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت يا ربنا من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد...

وكان -رحمه الله- يحب الخير للجميع، فلطالما جمع إخوانه على أذكار الصباح والمساء يعلمهم المأثور من الدعاء ثم يدعو للجميع ويطيل الدعاء، كأنه لا ينسى أحدًا، وقد سئل في أحد الأيام» يا شيخنا هل الدعاء يغيّر القدر؟ فأجاب -بعد أن شرح

(1) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(2) متفق عليه.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

معنـى القضـاء والقـدر- أن الدعـاء يُغيـر القـدر إذا أخـذت كافـة الأسباب لأن الدعاء بحد ذاته هو قدر من الله سبحانه[1].

يذكـر الذيـن صحبـوا الشـيخ -رحمـه الله- في سـجن الجنيـد (أحـد سـجون السـلطة الفلسـطينية) أنـه قـام بالدعـاء على أحـد السـجانين الظالميـن، والـذي كان قـد تمـادى في التنكيـل بالأسـرى بحقـد، أن يتمنـى المـوت ولا يجـده، وبعـد عـدة أيـام أصـاب ذلـك الظالـم مـرض مؤلـم وغـاب عـدة أيـام عـن السـجن، وبعـد فتـرة عاد إلى الشيخ قائلًا: أعلم أن ما أصابني بسبب دعائك عليّ.

كمـا أكـد ذلـك الأخ أن أحـد نشـطاء التنظيمـات الفلسـطينية جـاء إلـى الشـيخ وطلـب منـه أن يدعـو لـه بالشـهادة، وفعـلًا دعـا له الشيخ بما أراد واستشهد ذلك الشاب عام 2001.

وأذكـر أننـا كنـا إذا هممنـا بأمـر نذهـب إلـى الشـيخ ونطلـب منه الدعـاء أن ييسـر الله أمرنـا، وطالمـا وجدنـا بركـة دعائـه في تلـك الأعمال.

والجديـر بالذكـر أن كثيـرًا مـن الإخـوة الذيـن رافقـوا الشـيخ في العمـل الجهـادي كانـوا يطلبـون منـه أن يدعـو الله لهـم بـأن يتقبلهـم في الشـهداء، وقـد اسـتجاب الله الدعـاء، ومـن هـؤلاء الشـهيد مهنـد الطاهـر، والشـهيد نسـيم أبـو الـروس، والشـهيد طاهر جرارعة وغيرهم.

وإن نسـيت فلـن أنسـى إحـدى الليالـي البـاردة مـن شـهر كانـون الثانـي 2002 حيـن قـام الشـيخ يدعـو للمجاهديـن بالنصـر والقبول،

(1) (منهم الأخ إياد أبو زهرة كما ذكر بعض الإخوة).

وأخـذ يدعـو بلهفـة لإخوانـه ووالديـه وأهلـه وأحبابـه حيـن قـال: «اللهـم اغفـر لـي ولوالـدي ولأهلـي وأولادي وإخوانـي وأخواتـي ولمن أوصيته بالدعاء ولمن أوصاني بالدعاء ولمن يدعو لي»[1].

رحمـك الله يـا شـيخنا وأسـكنك فسـيح جناتـه، فكـم مـن إخـوة أوصـوك بالدعـاء، وكـم مـن إخـوة أوصيتهـم بالدعـاء ولا يزالـون يدعون لك.

حزمه وعلو همته

عُـرف الشـيخ بهدوئـه وحكمتـه، وشـهد لـه بذلـك كل مـن عرفـه، إلا أنـه كان حازمًـا بـلا تهـاون، وبخاصـة عنـد قيـادة العمـل العسـكري... فهـذا الميـدان لا يحتمـل المسـايرة، فالخطأ الأول فيـه هـو الخطأ الأخيـر. كثيـرة هـي المواقـف التـي كان الشـيخ يتشـدد فيهـا ولا يقبـل فيهـا القسـمة على اثنيـن -كمـا كان يقـول- ومهما كان الأمـر بسـيطًا كان يتعامـل معـه بجـد وحـزم، فميـدان الجهـاد لا صغيـرة فيـه.. فـأي خطأ صغيـر وتجـاوز لا يُعطَـى لـه بـال يمكـن أن يـودي بحيـاة مجاهـد أو يسـبب اعتقالـه أو قتـل أنـاس لا ذنـب لهـم... حـدَّث عنـه إخوانـه كيـف كان يفـي بالمواعيـد بشـكل دقيـق، وكان يلغـي لقـاءات بسـبب التأخيـر ويؤجـل -أعمـالًا- ويحاسب من قصر، ويتابع حتى اللحظة الأخيرة.

كذلـك كان في كل ميادين أعمالـه ونشـاطاته الدعويـة منهـا والسياسـية، إلا أنـه كان في العمـل العسـكري أكثـر جدّيـةً وحزمًـا. وقـد روي عنـه أنـه أمـر بتغييـر مـكان كانـت تقـام فيـه نشـاطات

(1) المؤلف.

ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل

جهاديـة، لأنـه قـد يشـكل ضـررًا على السـكان، وأمـر إخوانـه بنقلـه إلـى مـكان أكثـر أمنًـا قائـلًا لإخوانـه: هـل هنـاك احتماليـة حـدوث طـارئ قـد يـؤدي إلـى وقـوع أذىً على الآخريـن... فأجابـوه باحتمالية ليست بالكبيرة، فقال: إذًا غيروا المكان لأن هذا لا يجوز شرعًا[1].

كمـا اتسـم -رحمـه الله- بعلـو همتـه، فقـد كان حريصًـا في طفولتـه وخـلال فتـرة دراسـته في المدرسـة على الحصـول على درجـات عاليـة، وكذلـك في الجامعـة؛ أمـا في ميادين العمـل والدعـوة والجهـاد في سـبيل الله فـكان يتحـرى تحمـل أصعـب المهـام وأسـمى الأعمـال، ولـم يـرضَ لنفسـه الاكتفـاء بالعمـل الإداري والدعـوي بـل سـعى بـكل جهـده للانخـراط في العمـل الجهـادي، ولـم يـزل يطلـب الشـهادة حتـى نالهـا -رحمـه الله- تعالى.

وقـد ذكـر الشـهيد محمـد الحنبلـي أن الشـيخ -خـلال فتـرة المطـاردة- لـم يكتـفِ بـإدارة العمـل الجهـادي ومتابعتـه مـن مخبئـه، بـل كان يسـعى دائمًـا لتعلـم مهـارات التصنيـع والتدريـب على الأسـلحة المختلفـة، وكان يصـر في بعـض الأحيـان على النـزول إلـى الميـدان لكـن إخوانـه كانـوا يمنعونـه مـن ذلـك لخوفهم عليه.

وخـلال فتـرة المطـاردة عـام 2001 كانـت معانـاة الشـيخ أكثـر مـن غيـره لأنـه شـخصية معروفـة للعـوام، وكذلـك لبعـض الأمـراض التـي يعانـي منهـا، فكانـت تؤثـر بشـكل سـلبي في حياتـه الجهادية.

(1) نقلًا عن الشهيد نسيم أبو الروس والشهيد محمد الحنبلي رحمهما الله.

وقد نظرت إليه يومًا ونحن في أحد الملاجئ وقد بدا عليه التعب والإرهاق لأن تلك الظروف لا تتناسب مع وضعه الصحي... وهنا تذكرت حال الشيخ قبل هذه الظروف كيف كان يلبس أجمل الثياب ويخطب في المساجد ويؤم الناس في الصلاة، وكيف كان يتولى قيادة العمل التنظيمي والإداري والسياسي مع أخويه الشهيد جمال سليم والشهيد جمال منصور.

وقد تساءلت في نفسي إن كان مناسبًا أن يكون الشيخ في هذا المكان أم أن المصلحة تقتضي أن يكون الشيخ في ميدان السياسة والعمل التنظيمي، وسألته قائلًا: يا شيخنا أستحلفك بالله لو قدر لك أن تخطط لمستقبل الحركة ويكون القرار لك لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، هل كنت تضع يوسف السركجي ليخدم دعوته في المجال العسكري أي القتال والجهاد المباشر، فأجاب بوضوح بعد أن عدّل جلسته وزفر زفرة حارة:

لو قدر لي ذلك وكان القرار لي في تحديد تخصصات المجاهدين والمجالات الأنسب لعملهم لما كنت أضع نفسي في هذا المجال، فأنا أعلم الناس بقدراتي ومهاراتي وكذلك تقصيراتي، هذا على المستوى التنظيمي...

أما على المستوى الشخصي فقد قضيت عمري وأنا أربي نفسي وأربي الأجيال على حب الجهاد المباشر والشهادة في سبيل الله، وكنت دائمًا أدعو الله سبحانه في خلواتي وسجودي أن يرزقني الشهادة وأن يهيئ لي طريق الجهاد ويسهله لي.

ومـا كنـت لأضـع نفسـي للعمـل في هـذا المجـال مـن تلقاء نفسـي (وأخـون الأمانـة) ولكنـي كنـت أدعـو الله أن يهيـئ لـي الأمـر بمـا يشـاء وكيـف يشـاء.. لطالمـا حلمـت أن أكـون مقاتـلًا في سـبيله، وأن تغبّـر قدمـاي في خدمـة دينـه، وأريـق دمائـي رخيصـة لأجلـه سبحانه.

وقبـل سـنوات كنـت أُلـحُ بالدعـاء حتـى طـرق بابـي الشـهيد محمـود أبـو هنـود يطلـب الإيـواء والمسـاعدة... فأصبـح العمـل عليّ هنا فرضًا والتقصير فيه خيانة للأمانة.

لقـد طـرق العمـل العسـكري بابـي، بعـد أن طرقـتُ بـاب الرحمن، وكنـت مسـرورًا جـدًا لأن الله سـبحانه اسـتجاب دعائـي وأكرمنـي بـأن أكـون مجاهـدًا في سـبيله، وأكرمنـي لأسـلك طريـق ذات الشـوكة وهـذا فضـل مـن الله[1]. فإنـه مـن الجنـون بمـكان أن أُربـي الأجيـال على حـب الجهـاد والقتـال وأنسـى نفسـي... أدلهـم على طريـق الخيـر وطريـق السـبق ولا أسـلكه وأحـرم نفسـي هـذا الخيـر، وأرضـى بالـدون... ثـم قـال مازحًـا، أنتـم تريـدون أن ندلكـم على طريـق الخيـر لتعيشـوا في هـذا النعيـم، وتتركونـا نكابـد الأعمـال الأخرى، لا والله لن أرضى بالدون أبدًا.

لم أبك أحدًا كما بكيتهم

لـم يكـن يـوم 2001/07/31م يومًـا عابـرًا في التاريـخ، ولـم يكـن يومًـا عاديًـا بالنسـبة إلـى الشـيخ يوسـف ولا للشـعب الفلسـطيني أجمـع، إنـه يـوم الاغتيـال الآثـم الـذي طـال أشـهر قيـادات الشـعب

(1) المؤلف.

الفلسطيني الشيخين الشهيدين جمال سليم وجمال منصور، وعددًا آخر من الشهداء وهم فهيم دوابشة، ومحمد البيشاوي، وعثمان قطناني، وعمر منصور والطفلان بلال وأشرف عبد المنعم أبو خضر.

لقد توسعت دائرة الصراع في تلك الفترة وأصبح كل أبناء الشعب الفلسطيني في دائرة الاستهداف، السياسي والعسكري، الصغير والكبير، الرجل والمرأة، لقد استهدفت آلة القتل الإسرائيلية أهم القيادات السياسية لحركة حماس، وذلك لضرب البنية التنظيمية للحركة والروح المعنوية للشعب الفلسطيني.

وهذا ما أقره وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي آنذاك (عوزي لاندو) حين قال: «إن كلًا من جمال منصور وجمال سليم يمثلان مرجعية أيديولوجية لحركة حماس ومصدرًا تحريضيًا كبيرًا على العمل المسلح».

كما أن وزير الحرب الإسرائيلي بن إليعازر قال في اليوم التالي للمجزرة: إن من أهم إنجازات عملية التصفية التي استهدفت قادة حماس أنها مسَّت بشكل مباشر الروح المعنوية للجمهور الفلسطيني[1].

ولكن كعادة الشهداء... فإن قتلهم حياة.. وفي غيابهم أمل رغم الألم، ومن دمهم تشرق الأنوار... لقد أدرك الشيخ يوسف حجم المصيبة، فقد ربطته بهم علاقة قوية ومسيرة طويلة من الجهاد والتضحيات من أجل تحقيق أهداف الأمة، وقد عانوا في سجون الاحتلال وأقبية التعذيب، ثم الإبعاد، ثم في

(1) العقل المفكر.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

سـجون السـلطة.. لقـد صاحبهـم في محطـات كثيـرة داخـل السـجون وخارجهـا، وعمـل معهـم جنبًـا إلـى جنـب؛ «لـم أبـك أحـدًا كما بكيتهم» قالها الشيخ بعد استشهادهم بفترة قصيرة[1].

بكيتهـم بـكاء الأخ أخـاه.. بكيتهـم بـكاء الأب ابنـه، والابـن أبـاه.. بكيتهـم بـكاء المريـد شـيخه، والشـيخ تلميـذه.. بكيتهـم حرقـة على أبنائهـم وأزواجهـم.. بكيتهم حرقة على حركتهـم وإخوانهم.. بكيتهـم حرقـة على شـعبهم وأمتهـم.. بكيتهـم مثـل أهلهـم وأكثـر، لكنـي والله فرحـت بهـم، وفرحـت لهـم، فقـد فـازوا، ولا نزكـي على الله أحـدًا، سـيبعث الله مـن خلفهـم مـن يكمـل رسـالتهم، فـلا تجزعـوا يـا إخوتـي ولا تهنـوا ولا تحزنـوا، فلـن تمـوت حركـة قادتهـا شـهداء.. نعـم نحـزن على إخواننـا، نبكـي عليهـم بأعيننـا لكـن قلوبنـا عامـرة بالثقـة بـالله سـبحانه... فقـد مـات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تمت دعوته[2].

لقـد كان للشـيخ يوسـف -رحمـه الله- أثـرٌ واضـحٌ في رفـع الـروح المعنويـة لإخوانـه المجاهديـن بعـد هـذه المصيبـة الكبيـرة، مذكرًا إياهـم بقولـه صلـى الله عليـه وسـلم: «اللهـم أجرنـا في مصيبتنـا واخلفنـا خيـرًا منهـا»، وقـد ألـزم الشـيخ عـددًا مـن المجاهديـن المطاردين بعـدم حضـور موكب التشـييع والانجـرار خلـف العواطف، لأن ذلـك يعرضهـم للخطـر، وطالبهـم بـأن يكرّسـوا طاقاتهـم في العمـل الجهـادي والدعـاء للشـهداء.. رحـم الله شـهداءنا وأسـكنهم فسيح جناته.

(1) نقلًا عن الشهيد نصر عصيدة والشهيد كريم مفارجة رحمهما الله.
(2) نقلًا عن الشهيد محمد الحنبلي والشهيد نصر الدين عصيدة رحمهما الله تعالى.

الفصل الثالث

الجهاد والمقاومة

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)[1]

نداء رباني يهتف في أعماق النفس الإنسانية العاقلة المبصرة فيهز أركانها ويسري صداه في عروقها فينهض المرء واقفًا ويتساءل كيف أتجاهل هذا النداء السامي وأرضى بهذه الحياة الفانية ومتاعها الزائل..

أنترك هذه العبادة العظيمة! هذا الجهاد المقدس ضد من اغتصب أرضنا واحتل قدسنا ونهب خيراتنا، ونركن إلى هذه الدنيا؟!!

لطالما فهمنا هذه المعاني من الشيخ يوسف -رحمه الله- في كثير من المواقف والمناسبات، في خطبه ومواعظه، في دروسه ومحاضراته...

كنا نرى حب الجهاد والشهادة في سبيل الله يجري في أوصاله، نشعر بذلك عبر أنفاسه، في بريق عينيه وانفعالاته، في حركاته وسكناته، فقد كان -رحمه الله- يعيش الجهاد حقًا ويرنو إلى الشهادة صدقًا، وكان يؤكد دائمًا أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فقد قال -رحمه الله- خلال جلسة حوار مع بعض الإخوة في بداية انتفاضة الأقصى عام 2000م: «أرى أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، ولا يكون ذلك إلا

(1) التوبة (38)

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

إذا كان منتهـى أهـداف كافـة المؤسسـات الدعويـة والاجتماعيـة تصـب في الجهـاد بشـكل أو بآخـر. فـلا يجـوز أن نكتفـي بالشـيخ الحافـظ لكتـاب الله والمهنـدس المبـدع والأخـت المربيـة، دون أن ينتـج عـن ذلـك مجاهـدون يقاتلـون في سـبيل الله، وإنَّ أخشـى مـا أخشـاه أن يتسـتر البعـض خلـف أعمالهـم وجهودهـم الإداريـة والدعويـة ليعفـوا أنفسـهم مـن سـلوك طريـق ذات الشـوكة وهـو الجهـاد في سـبيل الله، فنحـن في النهايـة أبنـاء حركـة مقاومـة ومجاهدة وقد عاهدنا الله سبحانه على الوفاء لديننا ودعوتنا[1].

لقـد عمـل الشـيخ -رحمـه الله- بـكل طاقتـه لإحيـاء الجهـاد في قلـوب إخوانـه، وعبَّـد هـذا الطريـق بدمـه وأشـلائه. وفي هـذا الفصـل سـنلقي الضـوء على بعـض مـن إنجـازات الشـيخ ومواقفـه في هـذا الميـدان، سـائلين المولـى أن يتقبلنـا ويجمعنـا بـه في كنـف النبييـن والصديقيـن والشـهداء والصالحيـن إنـه سـميع مجيب.

نشاطه في انتفاضة المساجد 1987

كانـت شـخصية الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- بعـد عودتـه مـن دراسـته في الجامعـة الأردنيـة إلـى نابلـس أواسـط الثمانينيـات مؤهلـة علميًـا وفكريًـا ودعويًـا، لنيـل مكانـة متقدمـة في قيـادة شـباب الحركـة الإسـلامية إلـى جانـب أقرانـه أمثـال الشـهيدين جمـال سـليم وجمـال منصـور، وهـو الـذي كان يتـوق في تلـك الفترة إلى مقارعة الاحتلال ومقاومته.

(1) نقلًا عن عدد من إخوان الشيخ.

يقول الأسير المجاهد معاذ بلال عن تلك الفترة: «لم يقتصر نشاط الشيخ يوسف بعد عودته من دراسته في الأردن على نشاطه الدعوي والحركي أو الجانب النظري للجهاد، بل انتقل إلى الإعداد العملي، وباشر فعلًا مع عدد من إخوانه التدريب على صناعة قنابل المولوتوف والمواد القتالية، كما قام بتكليف الإخوة الناشئين بمهمات تدريبية لإعدادهم جسديًا ونفسيًا وروحيًا للجهاد. ومع انطلاق شرارة الانتفاضة الشعبية الكبرى عام 1987م وانخراط الحركة الإسلامية فيها باسم (حركة المقاومة الإسلامية - حماس) وإعلانها النفير العام، انطلق الشيخ بكل عنفوانه لقيادة ثورة المساجد إلى جانب إخوانه، مدشنًا حلمه القديم في الثورة والجهاد، ليصبح أحد أبرز قادة حماس التي كانت قد انبثقت للتو من رحم جماعة الإخوان المسلمين، وواصلت طريقها في هذا المنعطف التاريخي الأصيل للشعب الفلسطيني.. وتعددت نشاطات الشيخ -رحمه الله- في هذه الفترة، فقد كان يتابع المصابين ويدعم المحتاجين ويشارك في الإضرابات والتصعيد ضد الاحتلال ويتصدر المسيرات إضافة إلى ما يوازي ذلك من النشاطات التربوية والتعبوية، وقد ذكر كثير من الإخوة كيف كان الشيخ يوصيهم بتجديد النية وبالوضوء وصلاة ركعتين قبل النزول للتصعيد ومواجهة الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة وكان -رحمه الله- يتقدمهم في كثير من الأحيان ويرجم جنود الاحتلال بعنفوان وقوة.

ويضيف الأسير المجاهد معاذ بلال أنه إلى جانب انخراط الشيخ يوسف في أحداث وفعاليات الانتفاضة فقد حافظ على

اهتمامـه بالجانـب التربـوي للشـباب، فـكان يقـف على رأس جهـاز الدعــوة في المدينــة، وكنــت أحــد تلاميــذه في (دورة إعــداد النقيــب) عــام 1991م والتــي كانــت مــن أهــم المحطـات التربويــة والدعويــة التــي اكتســبت أهميتهــا مــن أنهــا كانــت في أوج المواجهـة مـع الاحتـلال، وقـد اختـار الشـيخ وقـت مـا بعـد صـلاة الفجـر مـن يـوم الجمعـة ولمـدة عـدة أشـهر في مسـجد الروضـة في مدينـة نابلـس، وقـد حاضـر في هـذه الـدورة الشـيخ الشـهيد جمـال منصـور والشـيخ الشـهيد جمـال سـليم، واختتمهـا الشـيخ يوسف أخيرًا بأخذ البيعة على الدعوة والجهاد.

ومـع ازديـاد لهيـب الانتفاضـة المباركـة، وازديـاد عـدد الجرحـى والشـهداء زاد تنكيـل الاحتـلال بالشـعب الفلسـطيني وارتفـع عـدد المعتقليــن في ســجونه، واعتقــل الشــيخ يوســف خــلال هــذه الفتـرة عـدة مـرات، وقـد عانـى في هـذه الاعتقـالات معانـاة كبيـرة لكنه كان رمزًا للصمود والتحدي.

الإبعاد.. المحنة المنحة

أضحـت حمـاس بعـد انطلاقتهـا بعـدة سـنوات رقمًـا صعبًـا، بـل الرقــم الأصعــب في معادلــة الصــراع والجهــاد ضــد الاحتــلال الإســرائيلي، كيــف لا وقــد أثبتــت للجميــع حفاظهــا على الثوابــت الفلسطينية وأنها الحامي الأول لخيار المقاومة.

سلســلة مــن العمليــات الجهاديــة قامــت بهــا الحركــة ضــد المحتـل الغاصـب أرّقـت مضاجـع المحتليـن وشـكلت الخطـر الأكبـر والتحــدي الأصعــب لمشــروع أوســلو الــذي كان يطبــخ لتصفيــة

القضيـة الفلسـطينية، إذ قـام مجاهـدو حمـاس نهايـة عـام 1992م باختطـاف الجنـدي الإسـرائيلي (نسـيم طوليدانـو) وقتلـه، فجـنّ جنـون رابيـن الـذي كان رئيسًـا للـوزراء في تلـك الفتـرة، وقـرر ذلـك الجـزار أن يوجـه لحركـة حمـاس ضربـة قاصمـة ومفاجئـة، عبـر إقدامـه بتاريـخ 1992/12/15م على إبعـاد أكثـر مـن 400 مجاهـد مـن حركتـي حمـاس والجهـاد الإسـلامي إلـى جنـوب لبنـان، اختارتهـم حكومـة الاحتـلال بعنايـة باعتبارهـم (أخطـر القيـادات) وكان معظمهـم مـن قيـادات الصـف الأول والثانـي في السـجون التـي امتـلأت في تلـك الفتـرة بالمجاهديـن الأبطـال. كمـا أقـدم الاحتـلال على اعتقـال عـدد آخـر مـن الضفـة وغـزة، وبخطـوة مفاجئـة، جمعهـم الاحتـلال في قافلـة مـن الحافـلات وهـم مقيـدو الأيـدي ومعصوبـو الأعيـن، وسـارت بهـم إلـى المجهـول... إلـى مـرج الزهور.. هناك في جنوب لبنان..

إلا أن قـدر الله سـبحانه جعـل مـن «مـرج الزهـور» منـارة للعلـم والتخطيـط وتوّلـدت في الضفـة وغـزة قيـادات جديـدة وطاقـات متجـددة مـن الصفيـن الثالـث والرابـع واسـتمرت جـذوة المقاومـة رغـم غطرسـة رابيـن وجنـوده، وظهـرت الصـورة على حقيقتهـا حيـن فشـل الاحتـلال مـرة أخـرى في مخططاتـه، وتحولـت المحنـة إلى منحة ربانية وتحول الكرب إلى صورة مشرقة تزين التاريخ.

كان الشـيخ الشـهيد يوسـف أحـد أبـرز الرمـوز المبعديـن إلـى «مـرج الزهـور» مـع إخوانـه الشـهيدين جمـال سـليم وجمـال منصور والشيخ حامد البيتاوي وثلة من القيادات والرموز.

وقـد عانـى أشـد المعانـاة في بدايـات الإبعـاد كسـائر المرضـى

هنـاك، إلا أن لطـف الله ومعيتـه هوّنـت عليهـم مـا هـم فيـه مـن الضيق والحرمان وكشفت عنهم ما أصابهم.

لقـد كان يـوم 1992/12/15م نقطـة تحـول في تاريـخ الصـراع، ويومًـا لـه مـا بعـده في تاريـخ القضيـة الفلسـطينية، فقـد رفـض المبعـدون الدخـول إلـى لبنـان، وظلـوا صامديـن على الحـدود وأقامـوا مخيمهـم هنـاك... مخيـم مـرج الزهـور، الـذي تفـكك بعـد عام واحد، وقد رجع المبعدون منصورين.

لقـد كانـت تجربـة الإبعـاد إلـى مـرج الزهـور بالنسـبة للشـيخ يوسـف -رحمـه الله- تجربـة غنيـة ومؤثـرة، وفرصـة للتواصـل مـع قيـادات حركـة المقاومـة الإسـلامية في الداخـل والخـارج، وتبـادل الأخبـار والخبـرات؛ لقـد كان الإبعـاد بمنزلـة مؤتمـر عـام للحركـة ولمدة عام كامل.

وبعـد عـودة الشـيخ مـن مـرج الزهـور، اعتقلـه جنـود الاحتـلال الإسـرائيلي مـرة أخـرى وخضـع لتحقيـق قـاسٍ بسـبب اعتقـاد الاحتـلال أنـه قـد تـدرب على عـدة أسـلحة خـلال وجـوده في مـرج الزهـور، إلا أن الشـيخ بقـي صامـدًا ولـم يعتـرف بهـذه الاتهامـات حتى فقد إحدى كليتيه.

ثـم أبعـد لفتـرة قصيـرة إلـى قطـاع غـزة، ثـم عـاد إلـى مدينـة نابلـس ليواصـل عملـه الجهـادي والدعـوي ليبـدأ مرحلـة مهمـة من مراحل حياته الجهادية.

مشاهد حية من مرج الزهور

زار وفد ألماني مخيم الإبعاد، وعندما أخذ بالتعرف إليهم وجدهم هذا طبيب وهذا مهندس وهذا دكتور جامعة، فلما أراد أن يغادر قال على لسان أحد مرافقيه أبعدتكم (إسرائيل) لأنكم زبدة لا لأنكم إرهابيون.

روى الشيخ حامد البيتاوي -رحمه الله- قبل وفاته أن صحفيًا بريطانيًا اعتنق الإسلام بعدما عاش فترة في مرج الزهور، ورأى المجاهدين هناك عن قرب، وعبَّر عن مدى إعجابه بأخلاق المبعدين، وأعلن إسلامه بعد عودته إلى وطنه. وبعد أيام من صمود المجاهدين في مرج الزهور قاموا بترتيب أوضاعهم الداخلية، وشكلوا اللجان التنفيذية، ومن أهم هذه اللجان اللجنة الطبية التي تضم عددًا من الأطباء.. واللجنة الإعلامية، واللجنة الرياضية، ولجنة تحفيظ القرآن الكريم وغيرها، وقد شارك الشيخ -رحمه الله- في عدد من هذه اللجان مثل لجنة التحفيظ وكذلك لجنة الأوقاف.

ذكر عدد من المبعدين قيام الإخوة هناك بعدة نشاطات ومسيرات نحو الحدود، كان من أهمها مسيرة الآلاف، التي أصيب فيها أعداد من المجاهدين برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي وعملائه، ولقد كان للشيخ الشهيد أبو طارق دور فيها.

مرحلة ما بعد الإبعاد

تعتبـر فتـرة منتصـف تسـعينيات القـرن الماضـي مـن أكثـر مراحـل الشـعب الفلسـطيني وقضيتـه حساسـية، وبخاصـة بعـد دخـول (اتفـاق أوسـلو) حيـز التنفيذ، ووقـوف الفصائل الفلسـطينية موقفًـا رافضًـا لـه، لا سـيما حركـة حمـاس، في وقـت كانـت القضيـة الفلسـطينية تمـر بمفتـرق طـرق، الأمـر الـذي ضاعـف التحديـات أمام حركات المقاومة لإفشال هذا المشروع.

رجـع الشـيخ يوسـف وإخوانـه مـن الإبعـاد رافعيـن شـعار «المقاومـة هـي الحـل»، مـا زاد مـن معاناتهـم فتعرضـوا للاعتقـال لـدى أجهـزة السـلطة الفلسـطينية بعـد عمليـات الثـأر للشـهيد يحيى عياش سنة 1996م.

كان نشـاط الشـيخ في دعـم العمـل المقـاوم واضحًـا في تلـك الفتـرة، وقـد أشـار عـدد مـن الإخـوة إلـى اغتنـام الشـيخ كل الفـرص للتعبئـة للجهـاد في سـبيل الله؛ ففـي الوقـت الـذي كان فيـه الشـيخ يؤكـد هـذه المعانـي في خطبـه وعلى المـلأ، كان يدعـم المجاهدين بالمال والمشورة في السر.

وقـد ذكـر الشـهيد فهيـم دوابشـة كيـف توجـه إلـى الشـيخ يوسـف في تلـك الفتـرة وطلـب منـه مبلغًـا كبيـرًا مـن المـال دون أن يذكـر السـبب، فقد كان الشـهيد فهيم -رحمـه الله- في ضائقة، بعـد أن تصـرف بمبلـغ كبيـر يعـود للكتلـة الإسـلامية في جامعـة النجـاح لشـراء عتـاد عسـكري لـلأخ المجاهـد عبـد الناصـر عيسـى والأخ المجاهـد عثمـان بـلال ومجموعاتهمـا، وقـد اعتقـل الإخـوة قبـل سـداد المبلـغ، وأصبـح الأخ فهيـم في حيـرة مـن أمـره، كيـف

سيأتي بذلك المبلغ الكبير دون أن يكشف عن نفسه، فاستعان بالله وتوجه إلى الشيخ يوسف -رحمه الله- وقال له: يا شيخنا أعطني ذلك المبلغ، فقال له الشيخ: إن المبلغ كبير ويصعب توفيره دون معرفة السبب. فأكد له الأخ فهيم -رحمه الله- أن المبلغ لأمر عام لا يستطيع البوح به، ثم قال: يا شيخ إن وفرت لي ذلك المبلغ ستجد أثره يوم تلقى ربك سبحانه وتعالى نورًا وأجرًا، فتلألأ الدمع في عيني الشيخ وهز برأسه، فقد علم بفطنته أن هذا المبلغ سيصرف في سبيل الله، فوفر له المبلغ في اليوم نفسه، وقال له مبتسمًا: هاك المبلغ وحفظك الله من كل سوء، فأخذ منه المبلغ وأعاده إلى صندوق الكتلة الإسلامية ولم يعلم الشيخ بسر ذلك المبلغ إلا في آخر أيامه.

كان الشيخ -رحمه الله- قبلة للمجاهدين يدعمهم ولا يرد أحدًا، وقد رُويت عنه قصص كثيرة في هذا المضمار، والجدير ذكره هنا أن المجاهدين في هذه المرحلة قد نفذوا عدة عمليات بطولية أسفرت عن قتل وجرح العشرات من أفراد العدو الإسرائيلي، أشهرها عمليتي الاستشهاديين سفيان جبارين ولبيب عازم -رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

إيواؤه للشهيد محمود أبو هنود

حدثنا الشيخ يوسف -رحمه الله- أيام المطاردة بعد عام 2000م عن أول لقاء له مع الشهيد محمود أبو هنود، وكان يروي القصة مسرورًا قائلًا: كنت ألحّ على الله سبحانه وتعالى أن يكرمني ويختارني لأكون مجاهدًا مقاتلًا في الصفوف الأولى

رغـم الظـروف التنظيميـة التـي لطالمـا أبعدتنـي عـن اقتحـام الصفـوف. وذات ليلـة كنـت جالسًـا في البيـت فـإذا طـارق يطـرق البـاب... فتحـت البـاب فـإذا هـو محمـود قـد جاءنـي لإيوائـه فقـد كان صديقـي أيـام الإبعـاد، وكانـت فرحتـي كبيـرة جـدًا وفرحتـي باسـتجابة دعائـي أكبـر... كان هـذا أول لقـاء لـي معـه، ومـن هنـا كانت انطلاقتي لمرحلة جديدة من العمل الجهادي.

يقـول الأخ معـاذ بـلال منـذ العـام 1995م بـدأ نشـاط الشـيخ بشـكل مباشـر في العمـل العسـكري، وقـد احتضـن صديقـه القديـم ورفيـق دربـه في الإبعـاد الأخ الشـهيد محمـود أبـو هنـود الـذي شـكل في تلـك المرحلـة خليـة عسـكرية قسـامية مـن أبنـاء بلدتـه عصيـرة الشـمالية، وبـدأ تنفيـذ عمليـات مقاومـة ضـد أهـداف الاحتلال.

إيواؤه للشهيد خليل الشريف

كان الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- شـديد الإعجـاب بشـخصية الشـهيد خليـل الشـريف، وهـذا مـا أكـده الشـهيد مهنـد الطاهـر حيـن قـال: سـئل الشـيخ يوسـف في آخـر أيامـه في هـذه الدنيـا عـن أكثـر الشـخصيات العسـكرية التـي عايشـها الشـيخ خـلال مسـيرته الجهاديـة إقناعًـا وإبداعًـا فقـال: عايشـت العديـد مـن إخوانـي العظمـاء الذيـن أذاقـوا اليهـود المعتديـن مـا يسـتحقون.. كلهـم إبـداع وتفـانٍ وتضحيـة وكل منهـم قـد تميـز بجانـب أو بآخـر... ولكنـي أرى أن الشـهيد خليـل الشـريف قـد تميـز بقيادتـه العسـكرية. وعندمـا سـئل الشـيخ: مـا رأيـك في نزولـه في عمليـة

عسكرية استشهادية رغم أنه القائد: قال: لو استشارني والأمر بيدي لربما منعته لكنه مشروعه الخاص وهو أدرى به ولا بأس في ذلك.

كان الشهيد خليل الشريف -رحمه الله- أحد القادة الفتحاويين في جامعة بيرزيت؛ قام عام 1995م بتنفيذ عمليات إطلاق نار على المستوطنين برفقة المجاهد الشهيد أمجد الحناوي وأعلنا انضمامهما لكتائب الشهيد عز الدين القسام.

يصف الأخ معاذ بلال كيف أن الشيخ يوسف أشرف على النشاط العسكري في المدينة في تلك الفترة وفتح بابه للشهيد خليل الشريف وجمع بينه وبين الشهيد أبو هنود في بيته - هذان القائدان اللذان قادا العمل الجهادي في تلك الفترة.

وحدة «شهداء من أجل الأسرى»

يصف الأخ معاذ -بعد خروجه من السجن عام 1997م- لقاءه بالشيخ يوسف بعد تشكيل خلية من الأخوين الشهيد نسيم أبو الروس وجاسر سمارة، وكيف قام بالربط بشكل مباشر بينه وبين الأخ خليل الشريف في بيته، وأعلنا هناك تشكيل وحدة (شهداء من أجل الأسرى)، وقد أيَّد الشيخ هذا الاتفاق.

وهنا يؤكد الأخ معاذ أن الشيخ يوسف كان قد عارض موقف الحركة بتعليق العمليات العسكرية عام 1997م، كما عارضه الشيخ د. عبد العزيز الرنتيسي وثلة من خيار رجال الحركة الذين أصروا على إلغائه.

وقـد نفـذت عمليـات القـدس عـام 1997م بدعـم ورعايـة مـن الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- الـذي كانـت كنيتـه في تلـك المرحلـة (أبـو خالـد)، علمًـا أن هـذه الوحـدة ضمـت أيضًـا الأسـير المجاهـد عمـار الزبـن والشـهداء يوسـف شـولي ومعاويـة جرارعـة وبشـار صوالحة وتوفيق ياسين.

بعـد هـذه المرحلـة اعتقـل الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- وعـدد مـن القيـادات العسـكرية والسياسـية لـدى أجهـزة السـلطة لمـدة طويلة، ما عُرف لاحقًا باعتقال الجنيد.

وقـد تعـرض الشـيخ وإخوانـه لتحقيـق وتعذيـب قـاسٍ؛ وقـد سـجل الشـيخ صمـودًا عظيمًـا، ويذكـر أن الشـيخ كان قـد نظـم عـددًا مـن المجموعـات والخلايـا التـي اسـتنزفت بسـبب هـذا الاعتقال الجائر.

الاعتقال السياسي "خنجر الغدر المسموم"

يعتبـر الاعتقـال السياسـي وقبلـه التنسـيق الأمنـي خنجـرًا مسـمومًا غـرز في خاصـرة الشـعب الفلسـطيني طيلـة ثلاثيـن عامًـا منـذ بدايـة مشـروع التسـوية في تسـعينيات القرن الماضـي وكأس علقـم شـرب منهـا كل شـريف قـاوم الاحتـلال أو سـاند المقاومـة مـن أبنـاء الشـعب الفلسـطيني الحـر وعلى رأسـهم مجاهـدو حركـة المقاومـة الإسـلامية حمـاس الذيـن دفعـوا الثمـن الأكبـر، وذلـك مـن أجـل تصفيتهـم ومشـروعهم المقـاوم... يقـول الشـهيد جمـال منصـور ملخصًـا مشـهد الاعتقـال السياسـي في مقابلـة خـلال اعتقالـه في سـجن الجنيـد بنابلـس أجراهـا معـه موقـع (صابـرون)

نشرت بعد استشهاده:[1] الاعتقال السياسي تعبير عن الحالة السياسية التي نعيشها وحالة الإرباك للسلطة الفلسطينية التي دخلت مشروع التسوية وتحاول إلغاء الآخر بالتعذيب والاعتقال تماشيًا مع مطالب الاحتلال، ونحن في حماس كنا نعرف أننا سندفع الثمن بسبب برنامجنا المقاوم، وها نحن ندفع الثمن الأكبر. وفي هذه الأيام تأكد للجميع أن نهج المفاوضات وصل إلى طريق مسدود، وأن نهج حماس ورؤيتها هو النهج الصائب، لقد اختارت حماس لنفسها أن تعض على جراحها، وتصبر على آلامها وظلم ذوي القربى حتى لا تغرق الساحة الفلسطينية في صراع داخلي. وسيأتي ذلك اليوم الذي سيفهم فيه الشارع الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي أن حماس حركة مسئولة، تتصرف مع الأمور وفق رؤية أوسع من دائرة ردود الأفعال على ممارسات السلطة حتى لو كان ثمنها تضحيات وآلام؛ فالمعتقلون السياسيون في هذه الأيام يعيشون حالة مؤلمة تمامًا وهي أصعب بكثير من الماضي، والخطر واقع عليهم بالاغتيال والتصفية.. الاحتلال في الخارج يرتكب المجازر في حق شعبنا ونحن لا نزال داخل السجون، وإن مكاننا الحقيقي ليس هنا، مكاننا الحقيقي خارج السجون في ساحات المقاومة بين أبناء شعبنا وأمتنا... رحمك الله يا أبا بكر، لقد قرأت المشهد وأبدعت في وصفه، فما زال الاعتقال السياسي ينهش في جسد أمتنا وشعبنا إلى يومنا هذا.

(1) موقع صابرون بتصرف نشرت بتاريخ 2001/8/16م.

خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل

مرحلة انتفاضة الأقصى

في بداية عام 2000 وصلت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية إلى طريق مسدود، ودخل مشروع التسوية في عنق الزجاجة كما كان يصفه الشهيد جمال منصور منذ بداية التسعينيات، وانتهت مفاوضات كامب ديفيد الثانية دون اتفاق، ورجع المفاوضون دون حل مثقلين بالإحباط والفشل.

في هذه الأثناء كان الشيخ يوسف وإخوانه قيد الاعتقال في سجون أجهزة السلطة، وبخاصة سجن الجنيد الذي كان يضم عددًا من القيادات العسكرية[1] والسياسية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي، الذين كانوا يتابعون الأخبار عن كثب، علموا حقيقة المرحلة وأخذوا بشحذ الهمم من جديد. ودخل الجزار شارون باحات المسجد الأقصى المبارك، وأضرمت شرارة انتفاضة الأقصى المباركة، وانتفض شعبنا في وجه المحتل الغاصب.

تسابقت الفصائل في المقاومة ردًا على جرائم الاحتلال الذي ملأ فلسطين دمارًا، ولا يزال الإخوة معتقلين في سجن الجنيد تحت القصف والتهديد.

بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من الصمود في سجون الأجهزة الأمنية، خرج الشيخ يوسف وإخوانه من سجن الجنيد وسط أزيز الرصاص ودوي الانفجارات. لقد كانت حياتهم في خطر، وبخاصة بعد اغتيال الشهيد إبراهيم بني عودة بعدما سُمح له بالخروج عدة ساعات لظرف ألمَّ به، فاغتيل -رحمه

(1) منهم الشهداء الشيخ جمال منصور ومهند الطاهر ونصر عصيدة، وإبراهيم بني عودة ونعمان طحاينة وأنور حمران وإياد الحردان.

الله- بعد فترة قصيرة من خروجه... خرج الشيخ من السجن ليقود مرحلة جديدة من مراحل الجهاد، وقام بتنظيم صفوف كتائب القسام بمشاركة إخوانه المجاهدين[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى الدور المركزي للشهيد صلاح دروزة، وكذلك الأخ المجاهد حسام بدران، والدعم اللامتناهي من الشهيدين جمال منصور وجمال سليم، ودور الإخوة في جنين وطولكرم وقلقيلية في بناء العمل العسكري المشترك في شمال الضفة. وقد شكلت هذه الجهود المشتركة أيقونة المقاومة في انتفاضة الأقصى، وقد فصل الأخ المجاهد سليم حجة طبيعة هذه المرحلة في كتابه «درب الأشواك».

شهداء في فلك الشيخ

تميزت أجواء المقاومة في مرحلة انتفاضة الأقصى عن غيرها من المراحل بسمات وميزات خاصة، فقد تكثف فيها حجم العمل الجهادي وامتازت نوعيته، وتسابق الاستشهاديون إلى العلياء.. وتخضب الثرى الفلسطيني بالدم الطهور من شمال البلاد إلى جنوبها، وذاق الأعداء مرارة الانكسار وكثر بين صفوفهم القتل والدمار.

في بداية الانتفاضة تحرر العشرات من أبناء وقادة كتائب القسام من كافة المحافظات، واستقر معظمهم في مدينة نابلس لطبيعتها الجغرافية وكثافة سكانها وكبر مساحتها وابتعادها عن السياج الفاصل، ما شكل مأوىً أكثر أمنًا من

(1) انظر كتاب «درب الأشواك».

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

المناطق الأخرى.

لا شك أن الشيخ يوسف كان أحد أبرز أولئك القيادات، فقد خرج -رحمه الله- من السجن، وما لبث أن أخذ دوره في تنظيم صفوف هؤلاء المجاهدين، الذين بلغ عددهم نحو عشرين مجاهدًا، منهم من كان الشيخ يوسف قد عمل معه قبل اعتقاله، ومنهم من عايشه واقترب منه في سجن الجنيد، ما شكل تركيبة فريدة يصعب وصفها تجاوز بها الإخوة المجاهدون الصبغة التنظيمية و (هرم الرتب)، فقد انصهرت علاقتهم الهرمية بشكل اندمج فيها موقف الجندي وموقف القائد إلا ما اقتضته الضرورة في اللحظات الحاسمة وأوقات المواجهة المباشرة مع الاحتلال.

لقد تم تقسيم هؤلاء المجاهدين إلى مجموعات لكل منها مهماتها الخاصة، مع إتاحة المجال للتنسيق الميداني المباشر بين هذه المجموعات في حالة فريدة لم يسبق لها مثيل بهذا الحجم. وقد ساعد في ذلك أن معظم هؤلاء الإخوة كانوا مطاردين للاحتلال، وكان على رأسهم الشيخ يوسف -رحمه الله- فقد كانوا يعرفون بعضهم بعضًا جيدًا خلال السجن وخارجه، حيث أضاف الشيخ يوسف لهذه التشكيلة رونقها الخاص.[1]

من هؤلاء المجاهدين القادة الشهيد محمود أبو هنود الذي كان يلقب بـ (الحاج) وكان معه عدد من المجاهدين الأبطال، وكذلك الشهيد مهند الطاهر الذي كان يلقب بـ (ساري)

(1) «درب الاشواك» وكتاب «كتيبة الشمال والشهيد محمد الحنبلي».

والشـهيد طاهـر جرارعـة الملقـب بـ (إبراهيم) والشـهيد نصـر الدين عصيـدة الملقـب بـ (النمـر) ومجموعـات الشـهيد أيمـن حـلاوة الملقـب بـ (الختيـار) وكذلـك مجموعـات المجاهـد سـليم حجـة. كمـا عمـل هـؤلاء العظـام مـع الشـهداء: (الشـهيد نسـيم أبـو الـروس، والشـهيد جاسـر سـمارة، والشـهيد كريـم مفارجة، والشـهيد هانـي رواجبـة، والشـهيد إيـاد حمادنـة والشـهيد محمـد الحنبلـي، والشـهيد سـامي زيـدان، والشـهيد جميـل جـود الله، والشـهيد علـي عـلان، والشـهيد قيـس عـدوان، والشـهيد علـي الحضيـري، والشـهيد بـلال الأقـرع، والشـهيد نشـأت جبـارة) وغيرهـم مـن المجاهديـن والشـهداء العظـام، الذيـن إن غفـل النـاس عـن ذكرهـم فإن رب الأرباب لا ينساهم...

وفي الوقـت الـذي نُظـم فيـه هـؤلاء إلـى مجموعـات لـكل منهـا خطهـا التنظيمـي السـري الخـاص، كان الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- يتابـع كل هـذه المجموعـات بشـكل مباشـر، ويناقـش معهـم التفاصيـل، ولا شـك أنـه كان صاحـب الكلمـة الأخيـرة، والـذي يُظهـر لـه الجميـع السـمع والطاعـة، وقـد كان لقبـه في تلـك المرحلـة (والدنا)[1].

ويمكننـا القـول إن عـددًا مـن العمليـات الجهاديـة التـي نفذهـا هـؤلاء العظـام تابعهـا الشـيخ يوسـف عـن كثـب، وناقـش تفاصيلها وأبـدى نصائحـه وتوجيهاتـه. ولا يمكـن وصـف التأثيـر الكبيـر للشـيخ يوسـف على إخوانـه في رفـع هممهـم وصقـل عزائمهـم وتعبيـد دروبهـم ودعـم خطواتهـم، فقـد كانـت هذه الإضـاءات تتم بأسـلوبٍ

(1) انظر كتاب «درب الاشواك».

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

رقيـقٍ وراقٍ خـلال الأيـام والليالـي التـي كان يعايشـهم فيهـا دون إشـعارهم بسـطوة القائـد على جنـوده، والرئيـس على مرئوسـيه؛ فـإذا ألمَّـت بأحدهـم ضائقـة أو حيـرة وتلـكأ في حسـم أمـره رجـع إلـى الشـيخ وبـات معـه ليلتـه تلـك، ومـا هـي إلا سـاعات حتـى يخـرج مـن عنـده مطمئـن القلـب، حاسـم الـرأي، هـادئ البـال. وكثيرًا مـا طلـب الشـهداء مهنـد الطاهـر ومحمـود أبـو هنـود وطاهـر جرارعـة وغيرهـم الدعـاء مـن الشـيخ قبـل كل مهمـة جهاديـة بعد إعـداد العـدة وحسـم الأمـر، فيلهـج الشـيخ لهـم بالدعـاء حتـى انتهـاء مهمتهـم. ونقـل الأخ محمـد الحنبلـي كلامًـا قريبًـا مـن ذلـك، وعنـد نجـاح مهمـة جهاديـة يذهـب هـؤلاء الشـهداء لتهنئة الشـيخ يوسـف -كلمـا حانـت لهـم الفرصـة- حامديـن الله عـز وجـل صاحـب الفضـل والمنـة. وعنـد استشـهاد أحـد الإخـوة كان المجاهـدون يتواصلـون مـع الشـيخ يهنئونـه باستشـهاده طالبيـن الدعاء لهم بالقبول.

لقـد كان -رحمـه الله- مهـوى أفئـدة هـؤلاء الشـهداء، يذهبـون إليـه لاستشـارته في أعمالهـم الجهاديـة، ويطلبـون توجيهاتـه ويعـودون إليـه في فرحهـم وحزنهـم. لقـد بكـى إخوانَـه الراحليـن شوقًا إليهم، وبكاه إخوانه حبًا له، ولفراغٍ كبيرٍ تركه وراءه.

استشهاده

قال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ)

في الوقت الذي بدأ فيه (جرزيم) يتنفس أنسام الصباح، نهض جبل (عيبال) فزعًا على أصوات المدافع والرصاص؛ تنفس الصبح مكتئبًا، وأخذت الشمس تبسط ظفائرها الشاحبة على روابي وسهول فلسطين الحزينة الموشحة بالمداد.. لقد فجعت الأرض اليوم بمصاب جلل، وخيم على الحياة بأسرها حزنٌ وألم... قُرعت طبول الشهادة، وترجل الفرسان وأزفت ساعة الرحيل، وتزينت السماء في استقبال الشهداء، وهاتف يسري في الأوصال يتلو قوله تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)

في صباح ذلك اليوم الموافق 2002/01/22 دقّ هاتفي النقال على غير عادته، فإذا بصوت المجاهد محمد الحنبلي -رحمه الله- يقول بحزن شديد يا أخي لقد تيتمنا، لقد رحل (والدنا)، لم أستوعب ما قاله في البداية، ولم أدرك قصده إلا بعد أن فتحت التلفاز، ورأيت عبر شاشته حجم الكارثة، أدركت حينها أننا في مصاب عظيم، لقد اغتالت الأيدي الغادرة الشيخ القائد يوسف السركجي وثلاثة من إخوانه في كتائب القسام (نسيم أبو الروس وجاسر سمارة وكريم مفارجة) الذين كانوا برفقته

في شـقة سـكنية على سـفوح جبـل عيبـال، فدمعـت العيـون وخفقت القلوب ولهجت الألسن بذكر الله.

لحظـات صعبـة مـرت على مجاهـدي الكتائـب، وخيـم حـزن كبيـر على جميـع أبنـاء شـعبنا الصابـر عنـد سـماعهم بالخبـر، فقـد كان المصـاب جلـلًا، كيـف لا وقـد استشـهد أحـد أهـم رجـال المقاومـة في فلسـطين، في وقـت كنـا في أمـس الحاجـة إليـه، واستشـهد معـه ثلـة مـن خيـرة مجاهـدي كتائـب القسـام في تلـك الفترة، الذين أذاقوا العدو كأس المرَّ والهوان.

في تلـك الفتـرة عشـنا أيامًـا صعبـة وسـكننا الحـزن، ذلـك الحـزن الممـزوج برضـىً سَـرَى في أوصالنـا رضـىً بقضـاء الله وقـدره قـد أكرمنـا الله بـه، فطريـق الجهـاد طريـق واضـح ونهايتـه واضحـة «إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله».

لـم يكـن حزننـا على الشـيخ حـزن فـراق المحـب لأخيـه، ولا المريـد لشـيخه ولا الجنـدي لقائـده، بـل حزنًـا أعظـم مـن ذلـك بكثيـر.. إنـه حـزن الخسـارة التـي يصعـب جبرهـا، ولكـن في الوقـت نفسـه انتابنـا شـعور الرضـى ممزوجًـا بالغبطـة فقـد نـال مـا تمنى، عاش مجاهدًا صابرًا إلى أن ترجل مقبلًا غير مدبر.

لا شـك أن المجاهديـن اكتـووا برحيـل قـادة عظـام أمثـال الشـيخ جمـال سـليم والشـيخ جمـال منصـور والشـيخ صـلاح دروزة، الذيـن تركـوا خلفهـم فراغًـا كبيـرًا في صفـوف هـذه الحركـة المباركـة، إلا أن رحيـل الشـيخ يوسـف في تلـك الفتـرة بالـذات خلَّـف صَدعًـا يصعـب جبـره، وألمًـا يصعـب لأمـه، وفراغًـا يتعـذر ملـؤه؛ لقـد كان -رحمه الله- مدرسة في العطاء في كافة المجالات..

«لقد خلع قلبي من مكانه، وأصبحتُ يتيمًا حقًا» هكذا وصف الشهيد مهند الطاهر شعوره في تلك الأيام، وأضاف: لقد كان الشيخ يوسف سندنا بعد الله سبحانه، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها، أما الشهيد محمد الحنبلي فقال: لقد ذُهلت من هول الخبر، ولم أصدق ما سمعت وإنا لله وإنا إليه راجعون، كما قال الشهيد نصر عصيدة: لقد وقع عليَّ الخبر كالصاعقة، فقائدُ بحجم شيخنا الشهيد صعبُ التعويض لكنه قدر الله سبحانه والحمد لله على كل حال، أما الشهيد عماد الدين دروزة فلم يستطع تمالك نفسه من شدة البكاء، إلا أنه بقي صامدًا محتسبًا قائلًا: إن الملتقى في جنات الخلد يا أبا طارق.. اللهم اجمعنا بهم في مستقر رحمتك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا[1].

وقد وصف المجاهد سليم حجة -والذي كان معتقلًا في تلك الأثناء في سجون السلطة الفلسطينية- صعوبة وقع الخبر عليه عندما أخبره أحد الضباط أن الشيخ يوسف وثلاثة من المطلوبين معه قد اغتيلوا في مدينة نابلس: لقد كان المصاب جللًا، لقد رحل قادة المجاهدين في مدينة نابلس، رفقاء السلاح وأحبة القلب رحمهم الله جميعًا.

نعم.. هكذا كان المشهد، ولسان حال المجاهدين يقول:

أودعكم بدمعات العيون ... أودعكم وأنتم لي عيونِي
أودعكم وفي قلبي لهيب ... تجود به من الشوق شجونِي
أراكم ذاهبين ولن تعودوا ... أكاد أصيح إخواني خذونِي

(1) نقلًا عن الشهيد محمد الحنبلي.

فلست أطيق عيشا ما تراكم ... بـه عيني وقـد فارقتمـونِي
ألا يـا إخـــوة في الله كنتم ... على المـأسـاة لـي خير معينِ
وكنتم في طريق الشـوك ورداً ... يفوح شذاه عطراً من غصونِي
لإن لم نلتقي في الأرض يوماً ... وفـــرق بيننا كـــأس المـنـونِ
فموعدنا غـــداً في دار خلد ... بها يحي الحنون مع الحنونِ

ولكـن بالرغـم مـن حجـم الكارثـة، وبالرغـم مـن الـدور المركـزي الـذي كان يمثلـه الشـيخ في قيـادة كتائـب القسـام، إلا أن الإخـوة المجاهديـن تمكنـوا مـن احتـواء الموقـف، وأعـادوا ترتيـب الصفـوف واسـتعدوا لجـولات جديـدة، وقامـوا بتنفيـذ عـدة عمليـات جهادية ردًا على تلـك المجـزرة، فلقـد تعاهـد الشـهداء مهنـد الطاهـر وطاهـر جرارعـة وقيـس عـدوان ونصـر الديـن عصيـدة ومحمـد الحنبلـي وكذلـك الشـهداء علـي عـلان وعلـي الحضيـري وعمـاد دروزة ومعهـم كل المجاهديـن على إكمـال المسـيرة ومواصلـة المثاومـة، فقـد نفـذت في هـذه الفتـرة عـدة عمليـات بطوليـة كان مـن أشـهرها: عمليـة القـدس البطوليـة التـي نفذهـا الشـهيد محمـد هـزاع الغـول وأسـفرت عـن مصـرع مـا يزيـد عـن خمسـة وعشـرين صهيونيًـا، وكذلـك عمليـة البـارك الشـهيرة والتـي نفذهـا الشـهيد عبـد الباسـط عـودة وأسـفرت عـن مقتـل وجـرح العشـرات من الصهاينة.

لقـد رحـل الشـيخ الشـهيد يوسـف وإخوانـه، لكـن دمائهـم انفجـرت بركانًـا في وجـه المحتـل.. لقـد غـاب عنـا ذلـك القائـد العظيـم لكـن شـمس جهـاده مـا زالـت سـاطعة تنيـر درب المقاومـة في كل وقت وحين.

مسك الختام

للشاعر/ أحمد التلفيتي

فــاحَ في نابُلــسَ مســكٌ مِــن هُمــامِ
وَدَّعَ الدّنيــا بعــزٍّ واحتــرامِ

باســمًا يمضــي لجنّــاتٍ شــهيدًا
لاحقًــا أصحابــه أعلى مقــامِ

في حيــاةٍ كان معطــاءً بشوشًــا
في ممــاتِ لــمْ يَســلِّمُ للّئــامِ

يوســفُ الســركجيُ في نابلــسَ حــيُ
لا يمــوتُ الحــرّ في عُــرفِ العِظــامِ

قــد قضــى في عيشــه ليثًــا هصــورًا
في زئيــرِ الأسْــدِ مَــوتُ للنّعــامِ

أو ســراجًا للهــدى مشــكاة نــورٍ
مِــن سَــناها لــم تقــمْ دارُ الظّــلامِ

يــا نــداء اللهِ بَعْــدَ العمــر يســري
مرحبًــا قــد طــال شــوقي للمَــرامِ

طَوَّقــت قــواتُ صهيــونٍ جبــالًا
شــامخاتٍ لا تبالــي بالغمــامِ

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

يــا نســيمًا في رُبانــا نَسْــمُ بُشْــرَى
في العِــدا الإعصــار في أَوْجِ احتــرامِ

جَاســرَ القلــبِ الجســورِ مضــى لخلــدٍ
ســوف تبقــى للوغَــى خيــرَ الأســامي

والكريــمُ القــدرِ بالفعــل التزامًــا
للبــلادِ العهــدُ في أوفــى التــزامِ

يــا شــتاءً دِفــؤُهُ نــارُ تَلظَّــىْ
بالعِــدا شــبّت لهيبًــا باضطــرامِ

باشــتباكٍ مقبليــنَ قَضَــوا جميعًــا
خيــر أصحــابٍ لهــم أرقــى وســامِ

هــذه نابلــسُ تخــرج عــن أبيهــا
في وادعِ الرّكــب تخطــو بانتظــامِ

خَطْوُهــا خَطْــوُ الكتائــب في ثبــاتٍ
كل نابلــسٍ غــدت جمــرَ انتقــامِ

بايعَتهــم أن تصــونَ لهــم عهــودًا
أو شــظايا في انثنــاءات الحِــزامِ

لــم يكــن في القــدس إلا رأسُ غيــثٍ
حَــوَّل الغــولُ الغــزاةَ إلــى ركامِ

يــا شِــرارَ الخلــقِ يــا صهيــون أنّــى
أن تطيــبَ العَيْــنُ في ســهوِ المنــامِ

هــذه دربُ الرّجــالِ الصْــدقُ فيهــا
يــا حمــاسَ الحــقِّ يــا خيــرَ الأنــامِ

خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل

إنّ للقسّـــام جنـــدًا أيّ جنـــدٍ
يطلبـون المـوتَ في جنـيِ السّـلامِ

فالســلامُ على الشــهيد بــكلّ حيــنٍ
محســنًا بالفعــل لا حَسْــبَ الــكلامِ

لاحقًــا عيّــاش والهنّــود شــوقًا
مــع صــلاحٍ والجماليــنِ الكــرامِ

كــي يلاقيهــم نبــيُّ الله بِشــرًا
في الصّحـابِ السّـابقين أولـي الزّمـامِ

يوســف السّــوركج فاخلُــدْ بارتيــاحٍ
يـا ختـامَ المِسـكِ يـا مِسـكَ الختـامِ

خفقات رغد الرحيل خفقات رغد الرحيل خفقات رغد الرحيل خفقات رغد الرحيل خفقات رغد الرحيل

الفصل الرابع

شهادات تنبض بالحياة

مقدمة

يحتوي هذا الفصل على عدد من ذكريات إخوان الشهيد وأحبائه الذين عايشوه في فترات مختلفة، يروون من خلالها عشرات القصص والمواقف المؤثرة، ويوثقون شهاداتهم وثناءهم على الشيخ الشهيد -رحمه الله- وهذه علامة من علامات القبول، فنحسبه شهيدًا ولا نزكي على الله تعالى أحداً... وقد جاء في تفسير القرطبي أن الشهيد سمي شهيدًا لأنه شهد له بالجنة[1].

فهذه شهادات حية وتعبيرات كريمة وكلمات صدق، خرجت بأنفاس صادقة لتبين جانبًا من سيرة الشهيد وأفعاله، ويُشهد له بالخير..

إنها كرامات الشهداء الأطهار وهي كثيرة.

جاء في سنن النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرّوا بجنازة على النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه خيرًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، ثم مرّوا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» قالوا: يا رسول الله أقولك الأولى وجبت والأخرى

(1) تفسير القرطبي ص (570).

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

وجبـت! فقـال النبـي صلـى الله عليـه وسـلم: «الملائكـة شـهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض». صححه الألباني.

شـهادات تنبـض بالحيـاة، ترسـم لوحـة جميلـة مـن صفـات الشـيخ وأخلاقـه، وتعـرض مشـاهد عديـدة مـن حياتـه التـي تنبـع بالخير والبركة.

وقـد ذكرنـا في الفصـول السـابقة عـددًا مـن هـذه الصـور، وسـلطنا الضـوء على كثيـر مـن تلـك المشـاهد، وسـطرنا بعـض مناقبـه رحمـه الله. ومـا تكـرار هـذه الشـهادات على لسـان إخـوان الشـيخ وأحبائـه إلا ليشـعر القـارئ بـدفء وصـدق تلـك المواقـف التـي يلتمسـها مباشـرة مـن الإخـوة الكـرام المجاهديـن الذيـن عاشـوا معـه وعايشـوه، وتكـررت معهـم تلـك المواقـف بصـورة أو بأخرى.

فقـد تكـرر المشـهد نفسـه بروايـة أكثـر مـن أخ... وتجلّـت بعـض صفـات الشـيخ -رحمـه الله- في أكثـر مـن صـورة، فقـد كانـت حياتـه -رحمـه الله- كلهـا لله. والله يعلـم أن هـذه المواقـف مـا كتبـت إلا بأمانـة، ومـا رويـت إلا بصـدق، لكـي تعلـم الأجيـال منزلـة هذا المجاهد وقدر هذا العالم الشهيد

(وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ)[1]

والله نسـأل أن يأجـره بهـا خيـرًا وأن يتقبلهـا منـا ومنـه وأن ينفع بها كل من يقرؤها إنه سميع مجيب...

(1) سورة يوسف، الآية (18).

كلمة لا بد منها للأخ المجاهد أمير السركجي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

على ذكر اسم يوسف تفتحت عيناي، وسارت أيام عمري، على ذكر اسم يوسف كان عودي يشتدّ وسني تكبر، وبه تجملَت حياتي، لا سيما وأن الكل كان يُهدي إليَّ عبارته «ما أشبهك بخالك يوسف».. «يا الله وكم تشبه خالك» حتى صارت عبارتي المفضلة، والتي كنت أشعر بالدفء حينما تقال لي، كيف لا، وهو الشيخ الشهيد يوسف السركجي الذي أحب فلسطين وأحبته.. كيف لا، وهو حامل القرآن في قلبه والسائر تحت لوائه، كيف لا، وهو من قال إن السابقين الذين عناهم القرآن الكريم في سورة الواقعة هم «الاستشهاديون» [1]

كيف لا، وها هي حياتي ترتبط حلقاتها بحلقات حياته، والذي كان يُشعرني بالفخر أنني كنت أجد ريح خالي يوسف في كل تفاصيل من حولي فهو من أثَّر فيهم، ودعاهم في كل تفاصيل حياتهم فكانوا يجدونه معهم في كل شيء.

واليوم تسير قدماي في ساحات سجون الاحتلال والتي

(1) نقلًا عن الشهيد محمد الحنبلي وآخرين.

طالمـا سـار عليهـا الشـيخ الشـهيد، ووجـدت نفسـي بيـن أنـاس عاشـوا مـع الشـهيد.. ومنهـم مـن هـو على صلـة بالشـهيد في قضيـة اعتقالـه. ومـن هـؤلاء: المجاهـد أمجد السـايح «أبـو مصعب»، الـذي أمضى في سـجون الاحتلال سـت عشـرة سـنة مـن محكوميته البالغـة عشـرين عامًـا، فجالسـت أبـا مصعـب وحدثتـه عـن الشـيخ الشـهيد وحدثنـي، ووضعـت بيـن يديـه صدمتي مـن فـراغ المكتبة الفلسـطينية مـن أي كتـاب يُسـجل سـيرة الشـيخ الشـهيد بعيـدًا عـن أنـه خالـي الـذي أفتخـر بـه ولكـن لأنـه الشـيخ المعلم، والشـيخ المجاهـد، والشـيخ القائـد، والشـيخ المطـارد... فتجربـة هـذا الشـيخ الشـهيد تسـتحق أن تُـروى، وحكايتـه تسـتحق أن تُكتـب لمـا فيهـا من تضحية وفداء، وعلم ووفاء.

فأصـدق الكلمـات هـي الكلمـات التـي تُسـجل أعمـال الذيـن هـم أوفـى منـا جميعًـا «الشـهداء» الذيـن قدمـوا حياتهـم وأرواحهـم رخيصـة في سـبيل الله سـبحانه لنحيـا أحـرارًا في زمـن العبوديـة، وإننـي أرجـو مـن الله سـبحانه أن يتقبـل منـا هـذا العمـل خالصًـا لوجهـه الكريـم، وأدعـوه أن يوفقنـا لتقديم الشـيخ الشـهيد يوسـف السركجي في صورة تنبض بالحياة من خلال الصفحات التالية.

شهادة الشهيد المجاهد
بسام السايح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

عندما طلب مني أن أكتب عن الشيخ المجاهد يوسف السركجي ازددت فخرًا وعزًا من ناحية، ومن ناحية أخرى شعرت بالعجز أن أكتب عن أهم قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام في الضفة الغربية، والذي ضرب بحياته ومماته أروع الأمثال في التضحية والفداء ومع أن احتكاكي المباشر معه كان محدودًا بحكم فارق السن، إلا أنه كان يعيش فينا، وتأثيره واضح على كل من عرفه أو جالسه ولو فترة قصيرة، إن للشيخ يوسف -رحمه الله- أثرًا عميقًا داخل حنايا نفسي كباقي أبناء جيلي وأبناء حركة حماس في شمال الضفة الغربية.

في أحد الأيام من العام 1994م سبَّح المسجد، وكبَّر وهلَّل المنبر واستبشر، عندما عاد إليه الشيخ يوسف بعد غياب عامٍ من الإبعاد إلى مرج الزهور. لقد ذهبنا أفواجًا إلى مسجد السلام في مدينة نابلس لأداء صلاة الجمعة؛ دخلنا المسجد فإذا بالشيخ يوسف يُطل علينا، وتوجه إلى المنبر بهدوء وسكينة...

بـدأ الخطبـة بعـد الحمـد لله مهلـلًا ومكبـرًا، ثـم تابـع بأسـلوبه الهـادئ وكلماتـه متحدثًـا عـن نعمـة الربـاط شـاكرًا الله -عـز وجـل- أن مـنّ عليهـم بالعـودة إلـى أرض الوطـن، ثـم خفقـت القلـوب وفاضـت المشـاعر عندمـا أخـذ يتحـدث عـن فضـل الجهـاد في سـبيل الله، وأجـر الشـهادة والشـهداء. وبعـد الصـلاة التـف المصلون حـول الشـيخ يسـلمون عليـه، وكنـت أحـد الذيـن عانقهـم في ذلك اليوم المشهود.

أذكـر عـددًا مـن الجلسـات التربويـة التـي كان يديرهـا الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- في كثيـر مـن مسـاجد نابلـس لثلـة مختـارة مـن الشـباب؛ كان الشـيخ يختـار مـا بعـد صـلاة الفجـر لعقـد هـذه الجلسـات... وكـم كانـت كلماتـه مؤثـرة عندمـا يتحـدث عـن أهميـة الإخـلاص لله -عـز وجـل- في كل صغيـرة وكبيـرة، وعـن فضـل الجهـاد والمجاهديـن، لقـد كان يُعدُّنـا للجهـاد، وسـبقنا في ميادينه خلفًا لمن كان سباقًا في الخيرات في كل حين.

في فتـرة اعتقـال الشـيخ -رحمـه الله- في سـجن الجنيد، وكنت حينهـا مسـجونًا عنـد جهـاز المخابـرات، وبعـد شـهر مـن التحقيـق والتعذيـب خرجـت مـن السـجن، واظبـت على زيـارة إخوانـي في سـجن الجنيـد، بصحبـة أخـي أمجـد والأخ فـراس فيضـي والشـهيد محمـد الحنبلـي، فقـد كانـت الزيـارة تتـاح في بعـض أيـام الجمـع والأعياد.

كان كثيـر مـن قادتنـا هنـاك... الشـيخ الشـهيد جمـال منصـور والشـيخ الشـهيد يوسـف السـركجي، والشـهداء مهنـد الطاهـر وطاهـر جرارعـة ونصـر الديـن عصيـدة وياسـر عصيـدة وكريـم

مفارجة. فكم كنا نشعر بالسعادة بقضاء العيد في زيارتهم، فالعيد بصحبة المجاهدين «الشهداء» له طعم مختلف... لا أنسى كيف كان يستقبلنا الشيخ يوسف، لا أنسى ابتسامته وكلماته القيمة، لا أنسى مواعظه القصيرة ووصاياه ونصائحه المتنوعة والتي كانت تزرع في قلبي وعقلي وكياني وردًا وطيبًا.

لقد كنت أشعر دائمًا أنني أمام شيخٍ مربٍّ ومجاهدٍ وشهيد، يحمل بين أضلاعه قلبًا معمورًا بالإيمان واليقين ومحبًا للجهاد والشهادة، ولسان حاله يقول:

«إن كل ما أتمناه أن يبقى إصبعي على الزناد حتى ألقى الله ربي شهيدًا».

في بداية عام 2002م اعتقلت مرة أخرى على أيدي جهاز الأمن الوقائي، وكنت برفقة الشهيد محمد الحنبلي. وخلال التحقيق ركزوا في سؤالنا على الشيخ يوسف ومكان إيوائه وعن إخوة آخرين، قائلين لنا: (سواء تحدثتم أم لم تتحدثوا، فإن كل شيء تحت السيطرة). وبعد يوم أو يومين أيقظني الشهيد حامد الصدر صباح يوم 2002/01/22م والدموع في عينيه قائلًا: لقد استشهد الشيخ يوسف وإخوانه نسيم وكريم وجاسر، فعمَّ السكون المكان واختلطت المشاعر، ثم استيقظ الأخ محمد الحنبلي والأخ أمين فاضل على صدمة الخبر. وأعاد الشهيد الخبر عدة مرات للإخوة وشعرت حينها أن قلبي انخلع من مكانه، ثم أخذنا نهنئ بعضنا بعضًا بالشهادة والشهداء، وكان معنا أيضًا الشهيد إبراهيم أبو هواش والشهيد محمود

طوالبـة والشـهيد أيمـن دراغمـة، والشـهيد وليـد عبيـدي والشـهيد محمـد ياسـين العانينـي والشـهيد رامـي أبـو بكـر... لقـد جلسـت مـع إخوانـي الشـهداء أهنئهـم بإخوانـي الشـهداء... تقبلهـم الله جميعًا[1].. رحمك الله يا شيخنا، والملتقى الجنة إن شاء الله[2].

(1) يذكر أن معظم من كانوا مسجونين في تلك الفترة هناك قد استشهدوا.
(2) يذكـر أن كاتـب هـذه الأسـطر الشـهيد بسـام قـد استشـهد أيضًـا بعـد كتابتهـا بأيـام قليلـة رحمهـم الله جميعًـا.

شهادة الأخ الدكتور المجاهد
محمود الزهار

يقول الحق تبارك وتعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه التابعين..

إن الحديث عن الحبيب يوسف السُركجي يثير أحزاننا، وفي الوقت نفسه يبعث الأمل، لقد عرفته في سنة الإبعاد بين الثلج القارس والحر الشديد.. عالمًا في شأن دينه، مخلصًا في حبه للجهاد، عطوفًا هينًا لينًا في جانب إخوانه، وقد برهن على ذلك في كل مواقفه وأذكر هنا حادثة يوم العيد حيث أراد وحبيبه أبو مصعب حسن يوسف أن يدخلا السرور على قلب المبعدين يوم العيد، فقاما بتمثيل دور المصارعة بين شخصيتين الأولى ضخمة الجسم والثانية عكس ذلك ووقف (420) مبعدًا وأكثر من مائة من الزوار من لبنان وغيرها ينظرون كيف يُدخل الحبيبان يوسف وحسن وهما في مشهد المصارعة...

لقد انشرحت الصدور والجميع يشهد أن هذا الحب الذي

يحملـه يوسـف لشـعبه ووطنـه قـد اسـتدعى أن يقضـي البطـل شـهيدًا، فقـد عـاد يوسـف إلـى وطنـه بعـد الإبعـاد ليحمـل البندقيـة ليدخـل الرعـب في نفـوس الجنـود المحتليـن، ويقضـي شـهيدًا في بيتـه ويسـيل دمـه الـذي سـرى في باطـن أرض الضفـة والقدس.

إن الشـهادة والجهـاد والصبـر والثبـات وحـب الوطـن والأخـوة الصادقـة وغيرهـا مـن المبـادئ والمواقـف السـامية ليسـت كلمـات رددهـا يوسـف السـركجي بـل هـي تربـة احتاجـت لـدم الشـهيد البطـل الـذي لـم يتأخـر عـن ضخـه في تـراب فلسـطين... رحـم الله الشـهيد البطـل.. وألهمنـا جميعًـا وأهلـه وعشـيرته وأحبابـه وحركتـه الصبـر على الفـراق ووفقنـا إلـى تحريـر فلسـطين كل فلسـطين حتـى تسـكن روحـه عنـد بارئهـا.. وعندهـا ربـح البيـع أيها الحبيب..

أسـأل الله أن يكـون قبـرك روضـة مـن ريـاض الجنـة وأن يرزقـك شـفاعة حبيبـك محمـد صلـى الله عليـه وسـلم، وأن يجمعنـا بأبنائه وإخوانه وأحبابه في القدس في معركة وعد الآخرة.

شهادة الأخ الدكتور أحمد نوفل

طلب إلي الأخ أمجد السايح أن أكتب سطوراً عن الشهيد البطل يوسف السركجي، وهممت ألا أكتب تهيّباً ألا تكون كلماتي الضعيفة معبّرة عن هذه الشخصية المتميزة القوية القيادية الربانية، وأن لا تكون موفية قدره وحقّه.. ولكن عدم الكتابة ليس الحل الأليق، والوفاء مع التقصير أولى من عدم الكتابة.

والشيخ القائد الإمام في محرابه والأسد المجاهد في ميدان مقارعة أهل العدوان، من كان القرآن نوره ودستوره ومنور بصيرته وعقله وفؤاده، وصلته الوثقى بربّه وصيامه وقيامه ودعاؤه وإخلاصه وتواضعه ومحبته لإخوانه، وإيثاره إياهم.. كلها صفات مؤهلة لهذه المنزلة التي تبوأها ومسببة لها الذكر العطر بالثناء الكبير والواسع على هذه الشخصية وهذه النفس الزكية والروح العلوية.

ولقد درّست الشيخ يوسف في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في أواخر سبعينيات القرن العشرين، وخرجت بهم في رحلات عدة، وكان متميزاً بين أقرانه وإخوانه وزملاء دراسته، بحضور قوي وشخصية متعددة الامتيازات وروح مرحة..

وسُكنى الشيخ يوسف في أطراف مدينة نابلس حيث يبتدئ مخيمنا الذي فيه استقر مهاجرنا بعد تطواف، وكنا نعلم أن هذا البيت لآل السركجي، فوق مقام ولي على مبعدة

مئـة متـر منـه، ومـا كنـا نقـرأ صفحـة الزمـن لنعلـم أن هـذا البيـت سـيخرّج بطـلاً فـذّاً وقائـداً ومربيـاً ومجاهـداً وعالمـاً ربانيـاً متمكنـاً، وحتـى عندمـا درّسـته، كنـت أرى فيـه عناصـر التفـوق لكـن لـم أتوقـع أن ترتقـي إلـى هـذا الأفـق الـذي لا يبلغـه إلا الأفـذاذ خاصـة أن روح المـرح كانـت غالبـة عليـه، ولكنـه الإخـلاص، والتفانـي في أقـدس قضايـا الأمـة أخـرج هـذا المعـدن الصقيـل الصـافي، ولا نعـرف مظلمـة في القـرن المنصـرف أشـد مـن مظلمـة الشـعب الفلسـطيني، فقـد كان في مواجهـة أعتـى قـوة يمدهـا العالـم بأسـره شـرقه وغربـه.. فـكل دول الاسـتعمار الغربـي تمدهـم والمعسـكر الشـرقي الـذي تـراءى لبعـض المخدوعيـن أنـه نقيـض الغـرب في الموقـف مـن مظلمـة فلسـطين وجدنـا أن روسـيا تتسـابق مـع أمريـكا في مـن يكـون الأول في الاعتـراف بدولـة الطغيان.

هـذه المظلمـة الإنسـانية حرّكـت الطاقـات الكامنـة وحـق لهـا أن تحركهـا، فكيـف لا يدافـع إنسـان عـن وطنـه ومقدسـاته ومسـتقبل أبنائـه وبناتـه، وهـم يهددونـه في يومـه وغـده في مسـكنه ومعاشـه وحياتـه؟! كل هـذه كانـت محـركات ومفجّـرة طاقات أمثال الجمالين: سليم ومنصور، والأول ابن مخيمنا.

وجـزى الله خيـراً مـن أحيـوا دعـوة الإسـلام في نابلـس جبـل النـار والثـوار آل بشـتاوي وبالأخـص الأسـتاذ المربـي الفاضـل نبيـل والشـيخ سـعيد بـلال وغيرهـم بطبيعـة الحـال حيـث كان مـن ثمراتهـم هـذا البطـل، وجـزى الله خيـراً كذلـك مـن ولـدت مـن أفكارهـم وعلى أيديهـم حـركات المقاومـة وأهمهـا الحركـة التـي

احتضنت الشيخ يوسف الذي كان بدوره محضناً مربياً ومعداً لكثير من الشباب الرباني المضحي...بالقدوة كان يربي وبالنموذج الحي والمثل الناهض النابض الفعلي لا بالقول فقط والموعظة وحسب.. وكانت أبلغ موعظة عمليته التي استشهد فيها.

سُجن مرات عند السلطة الوطنية وعند دولة البغي، وظلم ذوي القربى أشد.. ونُفي وأُبعد عن موطنه.. وكل تلك كانت محطات للصقل والترقية النفسية وإيقاظ القوى الداخلية المستكنة في الأعماق.. نموذج للفلسطيني المقاوم.. وللمتدين الحق، وللمعلم الناجح، وللإمام في أبهى صوره وحالاته وتكيفاته، وللوالد، وللزوج، وللابن البارّ.. لقد كان كل ذلك على أعلى مستويات الكينونة الإنسانية وبأقصى طاقة تُستطاع.. ولذلك كانت له كل هذه المحبة والثناء العطر والذكرى التي لا تُمحى. ولا أريد أن أسترسل فأكتفي بهذه اللمحات، ولو تركت العنان للقلم لطال المقام وليس ذلك مطلوباً..

وفي الختام ندعو الله أن يتقبله في أعلى درجات الشهادة كما خدم دينه بأعلى درجات الصبر والثبات والمقاومة والإصرار والجرأة والشجاعة والإقدام وأسمى معاني الأخوّة والإيثار.. ونرجو أن يكون للأجيال واحداً من النماذج التي تشكل أسوات تتجدد ولا تتوقف.

رحم الله الشيخ يوسف وحشره مع الصدّيقين والشهداء والصالحين وقبلهم مع سيد النبيين، آمين، وسلام على يوسف في الأبرار الطيبين.

أما الكاتب الأخ أمجد السائح، فقد كتب ما كتب عن شيخه بقلمه وفكره ونفسه وقلبه وعقله وروحه وتجربته ومعايشته ومحبة أستاذه الذي وعى عنه أنفع الدروس العملية، بعد الدروس الوعظية، فقد جاء كتابه ممتلئاً بالمشاعر إلى جانب الفكر والخواطر، فكان مؤثراً يهزّ القارئ من الأعماق.

فجزى الله من كتب ومن كتب عنه، جزاهم الله عن الأمة والدين، والمقدسات والأوطان، وحقوق المظلومين، وجهود المخلصين في دفع ظلم الظالمين ودحر المعتدين.

جزاكم عن كل أولئكم خير جزاء وأوفاه وأوفره وأبرّه وأجزله وأعظمه أجراً.. آمين، وعسى الله أن يجتمع شمل الأمة على كلمة سواء في مقارعة الأعداء وإنهاء هذا الاحتلال الغاشم الباغي العدواني الذي لم يسلم منه بشر ولا نبت ولا ماء ولا مقدسات.

وخلاصة القول: إنّ فلسطين المقدسة الحبيبة تستحق منا جميعاً أغلى التضحيات لأن فيها أغلى المقدسات بعد الحرمين العظيمين الشريفين في مكة والمدينة.. فهي مسرى الأمين ومعراجه إلى عليين، والقبلة الأولى للمسلمين.

وختاماً رحم الله الشهداء أجمعين، وفي عقدهم النضيد هذا الشهيد يوسف السركجي الذي يستحق هذا الكتاب وهذه الكتابة وسلام عليه وعلى شهدائنا أجمعين.

شهادة الشيخ المجاهد أحمد الحاج علي

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، قال تعالى: «ولا تقولوا لمن يُقتَل في سبيل الله أمواتٌ، بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون».

ليس من السهل الحديث عن الشيخ الشهيد يوسف السركجي -رحمه الله- بعد هذه السنين الطويلة وبخاصة، بعد أن طال بي العمر وضعف الجسد واجتاحني المرض.

ولكن رغم كل هذه السنين والظروف، إلا أن الذاكرة لا تزال حية وتَذكُر بعضًا من تلك الذكريات والمواقف معه -رحمه الله.

عرفته منذ شبابه فكان مثالًا للشاب الهادئ المُربى المحب لدينه وقضيته وشعبه يتوقد حماسةً لحب العلم والعلماء، ويحب الجهاد والمجاهدين. كان يتردد عليَّ دائمًا ويسألني عن عدة أمور مختلفة وعن مسائل فقهية رغم حداثة سنه، واستمر على هذا النهج سنوات طويلة... أذكر أنه كان يزورني بالمنزل يأتيني بسؤالين أو ثلاثة أسئلة ثم أُجيبه عنها، وكان ينصت باهتمام. كما أنه كان يحاول أن يطبق ما يسمع، وفي

بعـض الأحيـان ربما كان يأتينـي بخمسـة أسـئلة أو سـتة أو سـبعة أو ثمانيـة وأنـا أُجيبـه وهـو ينصـت. وفي إحـدى المـرات أتانـي الشـيخ يوسـف زائـرًا ومعـه عـدد مـن الأسـئلة، وقـال لـي يـا سـيدي الشـيخ أريـد أن أطـرح عليـك بعـض الأسـئلة، فقلـت لـه تفضـل، فـإذا معـه حوالـي ثمانيـن سـؤالًا! فقلـت لـه مـا هـذا يـا شـيخ يوسـف؟ فقـال هـذه أسـئلة! فقلـت لـه مبتسـمًا مازحًـا: هذه رسـالة ماجستير وليست أسئلة يا يوسف!

وفي موقـف آخـر، سـمع الشـهيد يوسـف -رحمـه الله- الحكـم الشـرعي في بنـاء القبـور وارتفاعهـا فقـام -رغـم حداثـة سـنه- بهـدم قبـر لبعـض أجـداده مـن العائلـة والتـي كانـت قـرب المنـزل، فهـرب مـن والـده، وقـال: لقـد حاولـت هـدم تلـك القبـور، ولـولا والـدي لسـويت بهـا الأرض لأنهـا قبـور لـم تُـراعَ السُّـنة في بنائهـا. فأخبرتـه بهـدوء كيـف يجـب أن نتعامـل مـع واقعنـا وأن الأمـور لا تؤخـذ هكـذا! وكنـت على يقيـن أنـه مـا فعـل ذلـك إلا لشـدة حماسـته وحبـه لدينـه. ولطالمـا ذكَّرتـه فيمـا بعـد بهـذه الحادثـة الطريفة.

أمـا في السـجن فقـد التقيـت بالشـيخ -رحمـه الله- وكان قـد اعتقـل لانتمائـه لحركـة حمـاس وقيـادة النشـطاء في مدينـة نابلـس، فـكان مثـال المجاهـد الصابـر والعالـم الـورع والواعـي بكيفيـة التعامـل مـع الظـروف المختلفـة والتعامـل مـع إخوانـه في السـجون. كمـا أنـه -رحمـه الله- أُبعِـد معنـا إلـى مـرج الزهـور عام 1993م فكان صابرًا محتسبًا محبًّا لإخوانه خدوماً لهم.

لقـد كان رحمـه الله مثـالًا للشـاب التقـي الهـادئ الغيـور على

دينـه وقضيتـه وشـعبه. عرفتـه قليـل الـكلام كثيـر الفعـال يعمـل بصمت وعنده إصرار عجيب.

عـاش في هـذه الدنيـا مـع إخوانـه أبنـاء هـذه الدعـوة المباركـة أمثـال الشـهيد جمـال منصـور والشـهيد جمـال إسـليم والشـهيد صـلاح دروزة -الذيـن حملـوا معًـا هَـمَّ الأمـة ورحلـوا شـهداء في سبيل الله.

رحمهم الله جميعًا وأسكنهم فسيح جناته.

شهادة الشيخ المجاهد حسن يوسف

الحمـد لله رب العالميـن ناصـر المجاهديـن والصـلاة والسـلام على المبعوث رحمة للعالمين.

تعـود معرفتـي بالشـيخ الشـهيد يوسـف السـركجي إلـى ثمانينيـات القـرن الماضـي، فقـد كانـت تربطنـي بـه علاقـة طيبـة. أذكـر أننـي كنـت ألتقـي بـه في الانتفاضة الأولـى خـلال اجتماعات قيـادة حركـة المقاومـة الإسـلامية - حمـاس، فقـد كان يحضـر ضمـن قيـادة الحركـة في مدينـة نابلـس مـع الأخويـن الشـهيدين الشيخ جمال منصور والشيخ جمال سليم.

أكثـر مـا كان يميـز الشـيخ بالإضافـة إلـى حنكتـه ورجاحـة رأيـه، حُنُـوُّهُ - فقـد كان رحمـه الله لطيفًـا ذا خلـق حسـن، وكان صوتـه هادئًـا مؤدبًـا، وقـد عَـرَف ذلـك كلُّ مَـن التقـى بـه في السـجن أو أثناء إبعاده إلى مرج الزهور.

لقـد عايشـتُ الشـيخ يوسـف خـلال فتـرة الإبعـاد وعرفتُـه صاحِـبَ موقـف وصاحِـبَ رأي مهـم. كان صادقًـا صدوقًـا لإخوانـه - يحنو عليهم كالأم الحنون، فلطالما ناداني: يا أُخَيَّ يا حَسن.

لقـد كان رحمـه الله يُشـعرني ويُشـعر إخوانـه بالراحـة التامـة في تعاملـه معنـا. كمـا كان رحمـه الله بـارزًا في المواعـظ والخطـب

والإرشاد والإدارة... أذكر قصةً طريفة سُجلت في ذاكرة المبعَدين في كل أنحاء فلسطين عندما شاركت وإياه في فقرة ترفيهية أمام كل المبعَدين، وهي عبارة عن فقرة مصارعة قام بالتعليق عليها كلٌّ من الشهيد عبد العزيز الرنتيسي والشيخ إسماعيل هنية والدكتور محمود الزهار - كان الشيخ يوسف رحمه الله من أطول المبعَدين قامة...

جاء على حمار من الجهة الجنوبية... قدماه تُلامسان الأرض مِن طوله؛ أما أنا فأتيت من الجهة الجنوبية على عربة حجارة مكتوبًا على صدري: «أوصيكم بأولادي خيرًا»، أما على ظهري فمكتوب: «أستودعكم الله»، ووقفت أمامه بطوله الفارع، وأخذت أنظر إليه من أسفل قدميه إلى أعلى رأسه، وهربت من بين رجليه ثم قفزت وتعلقت برقبته!

فكان المشهد جدّ فكاهي، وبخاصة عندما أعلن الشيخ إسماعيل هنية عن تعادل المصارعة بين (وزن الفيل ووزن الذبابة) وقد تقبلنا هذا التعبير بكل صدر رحب للتحفيف عن إخواننا المبعَدين.

ثم كانت العودة إلى أرض الوطن، وقد أُعِدتُ إلى السجن؛ ولما خرجت كان الشيخ يوسف قد اعتقل. وفي يوم من الأيام اتصل بي الدكتور محمود الزهار، وقد فوجئت عندما تحدث إليَّ الشيخ يوسف مِن عندِه حيث كان قد أُبعِد من السجن إلى غزة، فكانت تلك أولى حالات الإبعاد من الضفة إلى غزة.

ثم عاد الشيخ يوسف مرة أخرى إلى الضفة في منتصف

التسـعينيات، فـكان مـن أوائـل المعتقليـن السياسـيين عنـد السـلطة. وقـد زرتـه أكثـر مـن مـرة مـع إخوانـه المشـايخ في سـجن الجنيـد، وكان معـه الشـيخ صـلاح دروزة والشـيخ جمـال منصـور ومشايخ من أكثر من مدينة ومحافظة.

أذكـر أنـي شـاركت في عـدة مؤتمـرات مـع القـوى الوطنيـة والإسـلامية شـارك فيهـا أيضًـا رجـالات مـن السـلطة؛ وفي إحـدى هـذه الفعاليـات طالبـتُ بشـكل علنـي بالإفـراج عـن المعتقليـن السياسـيين وبخاصـة الشـيخ جمـال منصـور والشـيخ يوسـف، لكنـي فوجئـت بـأن أحـد المسـئولين قـال لـي -عـن الشـيخ يوسـف- «كيـف لنـا أن نفـرج عـن شـخص بحوزتـه طِنِّيـنِ مـن المتفجـرات!» فأجبتـه بشـكل حاسـم قائـلًا -بمـرارة-: أنـت بهـذا الـكلام تُعطـي مبررًا للاحتلال أن يغتال ذلك الشيخ!

وبعـد خروجـه مـن السـجن شـارك الشـيخ يوسـف -مـع قيـادات الحركـة في الضفـة- في الاجتماعـات التـي عقـدت مـع وفـد قيادة حمـاس في غـزة لتشـكيل حـزب «الخـلاص» في الضفـة، فقـد كان الشيخ أحد الداعمين لهذه الفكرة.

أمـا في انتفاضـة الأقصـى، فقـد تبـوَّأ الشـيخ موقعـه في قيـادة الجنـاح العسـكري على مسـتوى شـمال الضفـة، بـل الضفـة كلهـا، فقـد كانـت لـه علاقـات بالشـهيد عـادل عـوض الله والشـهيد محمـود أبـو هنـود والشـهيد قيـس عـدوان وغيرهـم مـن قيـادات كتائـب القسـام في الضفـة الغربيـة؛ وأنـا هنـا لا أذيـع سـرًا، فهـذا الكلام يعرفه الجميع.

فقـد كان للشـيخ نشـاطاته العسـكرية السـرية بعيـدًا عـن

الإعـلام والأنظـار.. إذ كان -رحمـه الله- يُؤْثـر العمل في السـر بشـكل هـادئ كطبيعتـه، قـدوة لإخوانـه، متحريًـا الإخـلاص في القـول والعمـل، ومتحريًـا الدقـة في إنجـاز أعمالـه محتسـبًا عملـه كلـه لربه سبحانه وتعالى ولا أزكي على الله أحدًا.

وبعـد هـذه السـيرة المشـرقة المشـرِّفة، ترجـل ذلـك الفـارس المجاهـد فكانـت عمليـة اغتيالـه الجبانـة، فارتقـى شـهيدًا، ومعـه ثلة من إخوانه الشهداء الأبطال.

لقـد كانـت عمليـة الاغتيـال مؤثـرة جـدًّا - مكثـت أبكيهـم أيامًـا ولـم أسـتطع التحـدث إلـى وسـائل الإعـلام لسـاعات مِـن هَـول الصدمـة، كيـف لا وقـد خسـرَت فلسـطينُ أحـد أبـرز علمائهـا وقياداتها!

وبعـد خروجـي مـن السـجن سـنة 2004 كان مـن أوائـل الأعمـال التـي قمـت بهـا زيـارة ذوي أخـي ورفيقـي في الإبعـاد الشـيخ يوسف، كما زرت قبره وقبور إخوانه الشهداء.

سـائلًا المولـى الكريـم أن يتقبلهـم في مسـتقر رحمتـه وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

شهادة الشيخ المجاهد فتحي القرعاوي

كان ذلـك في السـنة الثانيـة، بالنسـبة لنـا كطـلاب قدامـى في الجامعــة الأردنيــة حينمــا كان الأخ يوســف في الســنة الأولــى.. وكانــت كليــة الشــريعة في الجامعــة الأردنيــة قــد حــوت نخبــة كبيـرة مـن العلمـاء العامليـن الذيـن جمعـوا بيـن العلـم والتربيـة والتوجيـه، فقـد كان منهـم كل مـن الأسـاتذة الشـيخ الدكتـور عبـد الله عـزام -رحمـة الله عليـه- والدكتـور أحمـد نوفـل، والعبـد خليل، وحسـن أبـو عيـد، ومحمـود عبيـدات والشـيخ فضل حسـن عبـاس... وغيرهم من كبار العلماء.

وكذلــك حــوت الكليــة ثلــة طيبــة مــن الطــلاب الدارســين والطالبــات الدارســات الذيــن شــكلوا فيمــا بعــد أســس العمــل الإسـلامي والدعـوي في كل مـن الأردن وفلسـطين، والذيـن يعتبـر كثيـر منهـم الآن مـن العلمـاء العامليـن والدعـاة البارزيـن والخطبـاء المتميزين.

لقـد جمعتنـا بالشـيخ يوسـف السـركجي مـادة علـوم الحديـث للدكتـور محمـد عويضـة وهـي مـن المـواد الصعبـة مـن حيـث المصطلحـات التـي نسـمع بهـا لأول مـرة في علـم الحديـث، فقـد كان المنهـاج المقـرر مـن كتـاب «الباعـث الحثيـث، شـرح اختصـار

علـوم الحديـث للعلامـة ابـن كثيـر»، وأذكـر أنـه في إحـدى المحاضـرات سـأل الطـلاب الدكتـور عويضـة عـن علاماتهـم في الامتحـان الـذي قدمـوه.. إلا أنـه أنحـى عليهـم باللائمـة إذ إن معظمهـم حصلـوا على علامـات متدنيـة، والبعـض قـد أخفـق في الامتحـان، ثـم فتـح دفتـرًا ونظـر فيـه، ثـم قـال: أيـن يوسـف السـركجي؟ وهـي أول مـرة يتعـرف إليـه، فنهـض الشـيخ يوسـف وقـال: أنـا.. فقـال لـه الدكتـور أريـد أن أقـدم لـك التهنئـة فقـد حصلـت على علامـة كاملـة، وتسـتحق لقـب مختـار، ثـم قـال للطـلاب مداعبًـا: عليكـم أن تحملـوه بعـد المحاضـرة ثـم تطوفـوا بـه في أرجـاء الكليـة.. نعـم، علامـة كاملـة رفعـت مـن مقام الشـيخ يوسـف عنـد مدرسـيه علمًـا ومعرفـة وفتحًـا للآفـاق ليكـون أحـد أعلام الطلاب في كلية الشريعة.

وحصـل مثـل ذلـك في مـادة علـوم القـرآن عنـد الدكتـور عبـد الله عـزام، فقـد كان مـن عادة الشـيخ عبد الله عـزام في الامتحانات أن يـوزع على الطـلاب ثلـث ورقـة، ويطلـب مـن كل طالـب أن يرقـم الأسـطر مـن واحـد إلـى عشـرة، ثـم يملـي عليهـم الأسـئلة.. في كل سـطر سـؤال، ويطلـب منهـم أن تكـون الإجابـة خلـف الصفحـة بعـد ترقيمهـا، وغالبًـا مـا تكـون الإجابـة كلمـة واحـدة.. امتحـان دقيـق بـكل معنـى الكلمـة... وفي المحاضـرة التاليـة جاءنـا بـأوراق الامتحـان ثـم بـدأ يعاتـب الطـلاب على نتائجهـم السـيئة، وكان من المفارقـات أنـه توجـه إلـى الشـيخ يوسـف الـذي تعـرف إليـه حديثًـا مـن خـلال مشـاركاته في النقاشـات، فقـال لـه حتـى أنـت يـا يوسـف...! لمـاذا هـذه النتيجـة؟ وهنـا اندفـع الشـيخ يوسـف

بطريقـة غريبـة وبلغـة لـم أسـمعه مـن قبـل يخاطـب بهـا الشـيخ عبـد الله عـزام قائـلًا باللهجـة النابلسـية (ميـت عيـن وعيـن إن شـاء الله) وغيرهـا مـن الـكلام المشـابه، التـي جعلـت الشـيخ عبـد الله فقـط يبتسـم ويضحـك... وتكملـة القصـة أننـا عاتبنـا الأخ يوسـف على ذلـك قائليـن: كيـف تتحـدث مـع الشـيخ عبـد الله عـزام بهـذه اللغـة، وبهـذه الطريقـة في الجامعـة وفي كليـة الشـريعة...؟ وهنـا شـعرنا أن الشـيخ يوسـف تأثـر واستشـعر أنـه أخطـأ.. وتكملـة القصـة أنـه قـام في صـلاة المغـرب مـن الليلـة نفسـها وبعـد انتهـاء الصـلاة بمصافحـة الدكتـور عبـد الله ثـم قـال لـه: سـيدي أنـا قليـل الأدب.. أنـا كـذا.. أنـا كـذا.. ثـم قبَّـل يـده رغمًـا عنـه.. كل ذلـك والشـيخ عبـد الله في غايـة الاسـتغراب وقـد احمـر وجهـه خجـلًا، وأصـر على تقبيـل يـد الشـيخ يوسـف إلا أنـه لـم يسـتطع. وعقـب إحـدى الصلـوات غافـل الشـيخ عبـد الله الشـيخ يوسـف أمـام النـاس وقبـل يـده، وهنـا صـاح الشـيخ يوسـف كعادتـه: «ميـت عيـن وعيـن إن شـاء الله، هـلأ بـدي أبـوس إيـدك..» فقـال له الشيخ: لن تستطيع ولا تعُد لمثل ذلك أبدًا..

هـذه بعـض الصـور التـي تبـرز مكانـة الشـيخ يوسـف في الكليـة وعند مدرسيه وخفة ظله كذلك.

لقـد كانـت مدينـة صويلـح -غـرب عمَّـان- تعـج بالحركـة الدائبة التـي لا تتوقـف، فهـي قريبـة مـن الجامعـة الأردنيـة وتسـكن فيهـا أعـداد كبيـرة مـن طـلاب الجامعـة وكذلـك مـن المدرسـين، وبخاصة مدرسـي كليـة الشـريعة حيـث كان منهـم الدكتـور عبـد الله عـزام ومحمـد أبـو فـارس وشـرف وأميـن القضـاة وراجـح الكـردي ومحمـود

السرطاوي وغيرهم. وكان مسجد عبد الرحمن بن عوف خلية النحل التي يلتقي فيها الطلاب الساكنون بالحي الشرقي، ومعظمهم طلاب كلية الشريعة والكليات الأخرى. وكان هؤلاء الأساتذة مدرسو الشريعة من رواد هذا المسجد، ولم تكن علاقتهم بطلابهم علاقة الأستاذ بالطالب بل تطورت لتصبح علاقة أخوية كاملة... لقد وضع الشيخ عبد الله للطلاب برنامجهم اليومي، إذ يبدأ الطالب يومه بصلاة الفجر، ثم حضور الدرس لأحد هؤلاء العلماء، والذي غالبًا ما يكون الشيخ عبد الله، ثم الانتظار لصلاة الضحى. وقد يتبع ذلك إفطار خفيف يعود بعده الطالب إلى بيته للتجهز للذهاب إلى الجامعة. وبعض الطلاب كان يراجع دروسه في المسجد بعد الصلاة ويبقى كذلك حتى يطلع النهار، وبعد الانتهاء من الدوام في الجامعة يعود الشباب إلى المسجد لصلاة الظهر ثم العصر ثم يعودون إلى البيت للغداء وللاستراحة والاستذكار، وبعد صلاة العشاء تكون فرصة الطالب كبيرة لاستذكار الدروس وإكمال بقية البرامج.

في خضم هذه الحياة الممتعة والرائعة والمليئة بالنشاط العلمي والفكري والرياضي، جمعتنا الصداقة والأخوَّة بالشيخ يوسف، وقد كان جارنا الذي لا يفصل بيننا وبينه إلا سور نتحدث من خلاله معظم الوقت أو أنه يزورنا ونزوره.

لقد تميز الشيخ يوسف عن بقية الطلاب بخفة الروح، لأنك تجد نفسك مضطرًا للابتسام أو الضحك أمام طرافة حديثه ولغته الجميلة الممزوجة باللهجة النابلسية العذبة، إلا أن الشيخ

كان حريصًـا أن يخاطـب محدثيـه باللغـة العربيـة الفصحـى. ومـع ذلـك كان مبدعًـا في إعـداد الطعـام، فهـو يصـر على إعـداد الطعام بنفسـه، ولـه معرفـة بصناعـة الحلويـات، وكثيـرًا مـا كان يرسـل إلينا ويطعمنا إذا زرناه من طعامه الذي أعده بنفسه.

في أحـد الأيـام سـكن مدينـة صويلـح أحـد الإخـوة الإنجليـز والـذي أسـلم حديثًـا، فـرأى الإخـوة أن يسـكن عنـد الشـيخ يوسـف؛ سـألت هـذا الأخ مـرة عـن اسـمه، فقـال لـي: نـوح، فقلـت لـه: لمـاذا اختـرت اسـم نـوح؟ فقـال: أنـا أصـلا قبطـان سـفينة وأنـا أحـب سـيدنا نوحًـا لأنـه صنـع السـفينة... لقـد اعتنـى الشـيخ يوسـف بـالأخ نـوح اعتنـاءً كبيـرًا مـن حيـث تجهيـز الطعـام وإعـداد كل مـا يلزم، ما جعل الأخ نوح يشعر بالحرج كثيرًا ويود أن يعمل شيئًا.

وفي أحـد الأيـام تأخـر الشـيخ يوسـف، فكانـت فرصـة لنـوح الـذي ذهـب إلـى المطبـخ فـرأى بعـض البامية المجففـة معلقـة، فقـام بقطـع الخيـط ثـم سـلقها ووضعهـا في صينيـة، ثـم وضـع فوقهـا مـا تيسـر مـن البنـدورة والخضـراوات، ثـم وضعهـا في الفرن. وبعـد ذلـك تنـاول علبـة عسـل ثـم قـام بسـكبها فـوق هـذا الطعـام، ووضعهـا على السـفرة، وغطاها في انتظار الشـيخ يوسـف الـذي توقـع أن تسـره هـذه المفاجـأة. ولمَّـا دخـل الشـيخ يوسـف سـحبه وقـال لـه: تعـال انظـر...! فقـال الشـيخ: الله يسـتر وكشـف عـن الطعـام قـال مـا هـذا؟ فأشـار إلـى الأصنـاف الموجـودة وهـو لا يعـرف اسـمها قـال هـذا مكـون مـن هـذا وهـذا وهـذا ومـن العسـل، وهنـا استشـاط الشـيخ يوسـف غضبًـا وقـال لـه: «الله لا يجبـرك» ثـلاث مـرات، ثـم قـال لـه: تعـال اجلـس هنـا على الطاولـة وأعطاه

ملعقة وقال له عليك ان تأكله كله...!

هـذه جوانـب شـخصية مـن حياتـه -رحمـه الله- في الجامعـة إلا أنـه كان صاحـب شـخصية قويـة ومؤثـرة، وصاحـب تجربـة فـذة في التربيــة، وصاحــب طاعــة وعبــادة... هــذا الشــيخ يوســف صاحــب الابتسـامة والطرفـة، مـا أسـرع أن تـرى تأثـره ونـزول دمعتـه وتأثيـره على مـن حولـه مـن الحضـور، لدرجـة أن بعضهـم كان يبكـي تأثـرًا. ولا شـك أن الشـيخ كان صاحـب طاعـة والتـزام وعبـادة وبـكاء، وهـو صاحـب علـم، ولـه قسـط مـن القـراءة والمطالعـة خـارج برنامـج الدراسـة، والشـيخ يوسـف صاحـب فقـه.. أذكـر أننـا ذهبنـا في رحلة إلــى منطقــة الأغــوار، فاختلفنــا في موضــوع الجمــع والقصــر في الصلـوات فقـال الشـيخ الدكتـور أحمـد نوفـل: أيـن يوسـف؟ ثـم عرض عليه المسألة فأفتى بجواز الجمع والقصر والتزم الجميع..

لقـد تميـز شـيخنا -رحمـه الله- بسـمت القائـد المسـئول الـذي كان يتوقـف عنـد كل كبيـرة وصغيـرة خاصـة في المجـال التربـوي والشــرعي وتصحيــح الأخطــاء ومراجعتهــا. ومــن هنــا كان مبدعًــا في الجلسـات التربويـة، حتـى إنـك تستشـعر وأنـت تسـتمع إليـه أنـك تسـمع لرجـل مـن الرعيـل الأول مـن العلمـاء أصحـاب الفقـه والــورع والتقــوى، ولذلــك ورغــم حداثــة ســنه وهــو في الســنة الجامعيــة الثانيــة كان يديــر حلقــات التربيــة. لقــد كانــت فتــرة الجامعـة فتـرة المـد التـي اسـتطاع الشـيخ يوسـف فيهـا الاسـتفادة مـن دراسـته في كليـة الشـريعة إلـى أبعـد حـد إذ ربطتـه بـكل المدرسـين رابطـة قويـة، فهـو لـم يكـن يتـردد في زيارتهـم في مكاتبهـم والاسـتفادة منهـم حتـى الذيـن لـم يكونـوا يدرسـونه.

وكان حريصًا على كتابة ذكرياته معهم أولًا بأول...

وأذكـر أنـه كان دائـم الزيـارة للأسـتاذ العلامـة مصطفـى الزرقـا يسـأله كثيـرًا ويسـتفيد منـه، وقـد طلـب منـه مـرة تسـجيلًا صوتيًـا على أشـرطة كان يرسـلها أولًا بـأول إلـى الداخـل. وأعتقـد أنهـا لا تـزال عنـده إلـى الآن، وهـي مجموعـة مـن النصائـح والفوائـد العلميـة. ومثـل ذلـك الأسـتاذ محمـد مبـارك الـذي كانـت تربطـه بالشـيخ يوسـف علاقـة طيبـة ولـه أيضًـا شـريط مسـجل ومثـل ذلـك أسـاتذة آخـرون.. لقـد كان -رحمـه الله- صاحـب نظـرة ثاقبـة ووجهـات نظـر قائمـة على أسـس شـرعية وعلميـة وفي أغلـب الأحيـان كانـت وجهـة نظـره يتـم تبنيهـا لمـا لديـه مـن حجـة وإقناع.

هـذه الشـخصية اللطيفـة صاحبـة العلـم والطرفـة والنظـرة الثاقبـة شـاء الله لهـا أن تنـال حظهـا الكامـل مـن العلـم والصقـل والمعرفـة والتعـرف على الجـو المحيـط لتعـود إلـى أرض الوطـن، ليصهـر هـذه التجربـة ثـم يقدمهـا لإخوانـه وأحبابـه، إلا أن ذلـك لـم يـرق لقـوى الشـر.. فقـد ابتلـي رحمـة الله عليـه بالاعتقال والسـجن ولقـي مـن الاضطهـاد مـا لقـي، ثـم بالإبعـاد إلـى مـرج الزهـور. ورغـم قسـاوة الإبعـاد عن الوطـن والحرمان، والشـعور بـأن المبعدين ربمـا لا يعـودون إلا أن أبـا طـارق لـم يغيـر ولـم يبـدل، والصفـات التـي اكتسـبها في فتـرة الدراسـة ثـم بعـد العـودة إلـى أرض الوطـن مـا بخـل بهـا يقدمهـا لإخوانـه ولـزوار المخيـم، فقـد كانـت خيمتـه مـزارًا لكثيـر مـن الضيـوف، سـواء مـن مخيمـات لبنـان أو مدنـه أو قـراه أو الشـخصيات التـي كانـت تأتـي مـن خـارج المخيـم...

ليعـود أبـو طـارق مـرة أخـرى عـودة مظفـرة إلـى الوطـن ليبـدأ مشـواره مـن جديـد مـع قسـط جديـد مـن الابتـلاء والامتحـان فقـد اعتقـل مـدة طويلـة في سـجون السـلطة في نابلـس ثـم في أريحـا، تعـرض خلالهـا للاضطهـاد والإيـذاء والإهانـة.. لقـد أكـرم الله الشـيخ يوسـف كرامـة نحسـبه أهـلًا لهـا، إذ ختـم الله مسـيرته بالشهادة، فرحم الله الشيخ يوسف وألحقنا به في الصالحين.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

شهادة الشيخ المجاهد جمال أبو الهيجا

الشـهيد المجاهـد الشـيخ القائد يوسـف السـركجي «أبو طـارق» كان مـن خيـرة مـن عرفـت من أصحـاب الهمـم العليا منـذ أن كان طالبًـا في كليـة الشـريعة بالجامعة الأردنية حيـث كان يقيـم في صويلـح عـام 1978. وبعدهـا ظلـت معرفتـي بـه وتقديـري لـه يـزداد، فكنـت لا أراه في أي لقـاء يجمعنـا إلا مبتسـمًا، سـواءٌ أكان ذلـك في السـجون -ومـا فيها مِـن هـَمٍّ وضيـق على بعـض النفـوس- أو خارجهـا.

وكان وجهـه المشـرق ينبـئ عـن خاتمتـه المشـرقة بعـد مسيرة حافلـة مـن العلـم والدعـوة والجهـاد. فلقـد تتلمـذ أبـو طـارق على خيـرة العلمـاء المجاهديـن؛ وكان أبرزهـم الشـيخ العالـم الشـهيد عبـد الله عـزام الـذيِ وصفه بأنـه عبـد الله بـن المبـارك في هـذا العصـر، ومـا ذلك إلا لزهـده الـذي اجتمـع مـع علمه وجهـاده. فأبو طـارق كان التلميـذ الـوفي الـذي سـار على الـدرب فجمـع الحـظ الوافـر مـن العلـم. فـكان علمـه دافعًـا للجهـاد، فامتشـق السلاح ليكـون القائـد والقـدوة في علمه وجهاده وزهـده في هذه الدنيـا وأموالهـا ومناصبهـا، ولسـان حالـه يقـول: «وعجلـت إليـك ربِّ لترضى».

كلمات أحفظها وأنا أتذكر أبا طارق في لقاءات جمعتنا بنابلس -أتذكر ابتساماته وأفكاره وقربه من إخوانه. اجتمعتُ به يومًا في سجن الجنيد أثناء زيارته لإخوة أسرَى كانوا في سجون السلطة، فسمعته وهو يعظهم ويعلمهم وينصحهم.

وفي إحدى زياراتي قابلتُ مسئول التحقيق في جهاز الأمن الوقائي التابع للسلطة فذكر لي حديثًا عن أبطال القسام الذين حقق معهم وعرفهم، وقال لي إن الشخص الوحيد الذي لا أستطيع أن أوصى بالإفراج عنه هو الشيخ يوسف السركجي أبو طارق، فقلت له لماذا؟ فقال لأنه بمجرد خروجه من بوابة السجن ولقائه بأيٍّ من الأشخاص الذين يريدون العمل في إطار المقاومة والعمل العسكري فسيقدم لهم كل ما يريدون. وقد حدَّث أكثر من أخ أن أحد الخبراء الأمنيين الصهاينة قد كتب عن الشيخ قائلًا: يكفي هذا الرجل أن يجلس مع أحدهم ساعة من الزمن فيحيله إلى قنبلة موقوتة -أي استشهادي- أما محققو جهاز الشاباك الصهيوني فقد أعجزهم صمود أبو طارق رغم أنهم عرضوه لكثير من صنوف التعذيب والأذى النفسي والجسدي لعلهم ينالون من عزيمته ويأخذون منه معلومة تدِينه، لكنهم خابوا وفشلوا، فلا السجن ولا الإبعاد ولا سجون السلطة أوهنت من عزيمته.

لقد سمع كثيرٌ ممن دخلوا أقبية التحقيق أن ضباط أمن الشاباك يتحدثون عن أبي طارق حين كان المحققون يهدِّدون بعض المجاهدين بأنه سينالهم من التعذيب مثل ما نال أبا طارق، وذلك محاولة لتخويفهم أو ثنيهم عن مواصلة الطريق.

هـذا أبـو طـارق الـذي أحـب الجهـاد والمقاومـة وطـارَد المحتلّين قبل أن يطاردوه فأذاقهم من كأس المنون الذي أذاقوه شعبنا.

لـم يـرضَ أبـو طـارق أن تكـون حياتـه عاديـة مـع وجـود المحتل، فكـم مـن أصحـاب علـمٍ هـم أقـرانٌ لـه في نابلـس وسـائر الضفـة، بـل في فلسـطين كلهـا! ولكـن كـم مِـن هـؤلاء مزجـوا العلـم بالعمل والقول بالفعل والكتابة بالبندقية!

فأبـو طـارق أبـى أن يكـون مجـرد فصيـلٍ يتغنـى بفنـون القـول وشـعارات «الجهـاد سـبيلنا» و «المـوت في سـبيل الله أسـمى أمانينـا» ثـم يعـود إلـى البيـت وكأن كلامـه كان موجهًـا للآخريـن لا لنفسه!

قـد يتسـاوى النـاس في الأشـكال والصـور واللحـم والـدم بـل في العلـم والقـول، ولكـن الاختـلاف يكـون في القلـوب والهمـم والصبـر والصمود والتضحية والعطاء!

يكفيـك أبـا طـارق شـهادة كثيـر مـن أبطـال القسـام الشـهداء منهـم والأحيـاء الذيـن نهلـوا مـن مَعيـن تربيتـك وقيادتـك، فقـد سـمعنا كلامهـم ورأينـا فعلهـم وسـلوكهم الـذي ينبـئ عـن اقتدائهم بعطائك أبا طارق وسخائك وتواضعك.

وإذا عبَّـر عـن ذلـك قـادةُ شـهداء هـزُّوا أركان الكيـان ممـن كانـوا تلاميـذك يومًـا مـا -أمثـال الشـهيد مهنـد الطاهـر ونسـيم أبـو الـروس وجاسـم سـمارة وقيـس عـدوان وغيرهـم كثيـر ممـن عايشـوك- أبـت نفسـك الأبيـة إلا أن تكـون النمـوذج العملـي تمامًـا مثـل سـلفنا الصالـح ومعلمهـم الأول رسـولنا محمـد صلـى الله

عليه وسلم وصحبه الكرام والتابعين أمثال ابن المبارك ووصولًا للعلماء والقادة الشهداء عز الدين القسام وعبد الله عزام.

رحم الله الشيخ العالم المجاهد الشهيد يوسف السركجي «أبا طارق» الذي لا يزال حيًّا في قلوبنا فصدق فيه قول الشاعر:

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمُهُم

وعاش قومٌ وهمْ في الناس أمواتُ

وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ قال: «إن الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة».

لقد أتعبت من بعدك أيها الشيخ القائد بشهامتك وعطائك واستشهادك لتكون بإذن الله (مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا).

خففات رغم الرحيل خففات رغم الرحيل خففات رغم الرحيل خففات رغم الرحيل خففات رغم الرحيل

شهادة الشيخ المجاهد محمد جمال النتشة

بسـم الله الرحمـن الرحيـم (وَالَّذِيـنَ قُتِلُـوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَلَـنْ يُضِـلَّ أَعْمَالَهُـمْ سَـيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِـحُ بَالَهُـمْ وَيُدْخِلُهُـمُ الْجَنَّـةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ).

حمـدًا لله، وصـلاةً وسـلامًا على رسـول الله، ومـن والاه إلـى يـوم أن نلقاه...

إنَّ أكثـرَ مَـن يَجـب على المسـلم الاقتـداءُ بهـم بعـد الأنبيـاء والمرسـلين هُـم الشـهداء والمجاهـدون، فهـم الذيـن حملـوا الرسـالة، وجهـروا بهـا، وبذلـوا الغالـي والنفيـس في سـبيل نشـرها ونصرتها.

فلمـا اجتبَـى الله تعالـى أهـلَ فلسـطين للإقامـة على أرضهـا، والربـاط على ثغورهـا في بيـت المقـدس وأكنـاف بيـت المقـدس، كتـب عليهـم الدفـاع عنهـا، ومقاومـة الغاصبيـن لهـا. فلبـى النـداء طائفـةٌ ثابتـة على الحـق، ظاهـرة على العـدو، لا يضرهـم مـن خالفهـم ولا مـن خذلهـم، وهـم حاضـرون في كل جيـل، فمنهـم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلًا.

ولقـد مـنَّ الله عـز وجـل علـيَّ وعلى كثيـر مـن إخوانـي بشـرف صحبـة ثلـة مـن المصطفَيـن الشـهداء، الذيـن قدمـوا كل شـيء مـن

غيـر تـردد، أو خـوف مـن عـدو مباشـر، أو منافـق مسـتخفٍ، وصدعـوا بالحـق دعـاةً صادقيـن، وتسَـلَّموا السـيفَ كمـاة مجاهديـن، فمـا سـكتت ألسـنتهم، ومـا أغمِـدت سـيوفهم، حتـى انتقلـوا إلـى الرفيق الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

مِـن هـؤلاء العمالقـة الأبطـال أخـي وصديقـي وصاحبـي الحبيب الداعيـة الموفـق، العالِـم الفقيـه، المجاهـد القائـد الشـهيد يوسـف السركجي أبو طارق - رحمه الله تعالى.

الطالب الجامعي المجتهد المثابر

أول أيـام صلتـي بصديقـي الشـيخ يوسـف، يـوم كنّـا طلابًـا في كليـة الشـريعة في الجامعـة الأردنيـة، وسـعدت بـه زميـلًا صاحبًـا في سـبعينيات القـرن الماضـي، مـن السـنة الأولـى حتـى نهايـة السـنة الرابعـة. التحـق الشـيخ يوسـف بصفـوف الحركـة الإسـلامية الطلابيـة مـن بدايـة أيـام الدراسـة الأولـى، وباشـر نشـاطه الدعـوي مـن خـلال الجمعيـات الطلابيـة، التـي كان ينظمهـا طـلاب الحركـة في الغالـب، وكان صديقـي الشـيخ يجمـع بيـن واجباتـه الدراسـية ومهماتـه الدعويـة باقتـدار- فـلا يطغَـىٰ واجب على واجب، نشـيطًا في العمل الحركي، متفوقًا في أدائه الدراسي.

عُـرف صديقـي أبـو طـارق بأخلاقـه السـامية الأصيلـة، فقـد تميـز بخلـقٍ نَـدرَ مَـن يتحلـىٰ بـه في سـن الشـباب، فقـد كان حليمًـا؛ والحِلـم سـبق العِلـم في صفـات الأنبيـاء، كمـا يقـول أهـل العلـم والـرأي، فقـد كان واسـع الصـدر دائـم التبسُّـم، فلـم أرَهُ عابسًـا

قـط، إلا إذا انتُهِكـت حُرمـة الديـن، أو وقـع ظلـمٌ على أحـد، أمـا فيما عدا ذلك فهو الطالب البشوش الوجه الضحوك.

المبعَد الصابر المحتسب

جمعتنـي بصديقـي الشـيخ يوسـف صحبـة الإبعـاد، وكان صاحبـي مثـال المجاهـد الصابـر، الصبـر جميـل، رغـم صعوبـة الإبعاد في أشـهُرِه الأولـى... الثلـج مـن فوقنـا ومـن تحـت أرجلنـا؛ كان أبـو طـارق كمـا عرفنـاه أيـام الجامعـة، وكأن شـيئًا مـن الشـدة والكـرب لـم يكـن هـو الواقـع الجديـد المريـر.. نفـس أبيَّـة، واثقـة بـالله، وثغـرٌ مبتسـم، رغـم تراكـم الكـروب والثلـوج، ولسـانٌ عـذبٌ لا ينطـق إلا بكلمـات تُخفـف عـن المبعَديـن ثقـل الابتـلاء الشـديد، أو حكمـة أو آية تغسلهم من القنوط على أفق الأمل الفسيح.

المبعَد العالِم الفقيه

عُـرف حبيبنـا الشـهيد بيـن المبعَديـن بعلمـه الغزيـر وفقهـه السـهل الرشـيد، فـكان مَرجعًـا في الفُتيـا رغـم صغـر سِـنه بيـن فقهـاء المبعَديـن وعلمائهـم، بالتنـاوُل الوَسَـطِيِّ في توجيـه المبعَدين في شئون دينهم ودنياهم.

المبعَد المحبوب

كان يجمـع مجموعـة كبيـرة مـن النـاس على أحـد لاختـلاف الطبـاع والأمزجـة والعـادات، غيـر أن المبعَديـن أجمعـوا على حـبّ

الشيخ يوسف، لحلاوة منطقه، وسماحة يده وقلبه، وبشاشة وجهه، ونضارة مُحَيَّاه، فقد جمع الشيخ بين خلقين عظيمين: (الشجاعة)، و (الكرم)، فإذا اجتمع هذان الخلقان في نفس المسلم، أثمَرَا أحسن الأخلاق جميعًا.

الداعية

كان حبيبنا الشهيد صاحبَ دُعابة، إذ كان عطاؤه الدعوي سهلًا منسابًا مؤثرًا؛ كان لا يسبب سآمةً أو ملالًا لسامعيه، وكانت مواعظه تبكي عيونَ مَن حَوْلَه خشوعًا، وتسُرُّ قلوبَهم إعجابًا.

المجاهد القائد

لمّا حَمِي الوَطِيس، ونادى منادي الجهاد، لم يتردد الشيخ الحبيب في حمل اللواء، وإجابة النداء، فعاشَ مَرحلةً شاقة شديدة مِن مَراحل المقاومة العنيدة، فما لانت له قناة. لقد احتضَن الشبابَ وآواهم ونصرهم وزادهم قوة وصلابة، وانزرع بينهم وبذل ماله ووقته ونفسه حتى ارتقى شهيدًا بصحبةِ زمرةٍ مِن خِيرة شهداء انتفاضة الأقصى -رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

شهادة الأستاذ المجاهد حسام بدران[1]

نحـن نقـف اليـوم أمـام نوعيـة أخـرى مـن القـادة، متميـزة وفريـدة بحيـث ينـدر أن تتكـرر في تاريـخ الحركـة، ولذلـك فإنهـا تحتـل مكانـاً مرموقـاً للاقتـداء والتشـبّه، وتتنـوع جوانـب القـدوة والعطـاء في شـخصية الشـيخ يوسـف، ولصفـة «الشـيخ» ارتبـاطٌ وثيـقٌ بـه، بحيـث أنـه إذا قيـل: «الشـيخ» في أوسـاط قـادة الحركـة وكوادرهـا في المنطقـة كلهـا فـإن الجميـع يعـرف أن الحديـث يـدور عـن الشـيخ يوسـف السـركجي، على الرغـم من كثرة المشـايخ في المنطقـة، ورغـم الأثـر الكبيـر الـذي أحدثـه الشـيخ في مسـار الحركـة في طـول البـلاد وعرضهـا ولسـنوات طويلـة إلا أنـه لـم يحـظ بالقـدر الـذي يسـتحقه في تسـليط الضـوء على شـخصيته بصفتـه أحـد أهـم الرمـوز في الحركـة، حتـى وإن لـم يكـن شـخصية إعلامية معروفة لدى معظم الناس.

الشـيخ يوسـف وإن أخـذ العمـل الحركـي والدعـوي أغلـب وقتـه؛ إلا أنـه في تخصصـه الشـرعي كان مبدعًـا، بحيـث أنـه لـم يتـرك مجـالاً لإخوانـه أن يقصـر أحدهـم في تخصصـه بحجـة الانشـغال في العمـل التنظيمـي، وكان الفقـه على وجـه الخصـوص ميدانـه الـذي يصـول فيـه ويجـول، جمـع في فتاويـه وآرائـه بيـن الأصالـة

(1) من كتاب كتيبة الشمال.

والحداثة، اعتمد خطاً وسطياً يراعي فقه الواقع وحاجات العصر وخصوصيات الحالة الفلسطينية، كان يميل إلى التيسير على إخوانه خاصة في فقه المحنة سواء داخل السجون أو في مواقع الجهاد وسنوات الملاحقة من قبل الأعداء، ولقد شهد له الكثيرون بفقهه، حتى اعتبره الشهيد جمال منصور أحد أهم فقهاء الحركة، لدرجة أن بعض الأئمة والخطباء كان يفتي الناس والعوام ببعض الفتاوي دون الاعتماد على فقهاء السلف وحين يرى في وجوه المستمعين تردداً في القبول يقول إنه ينقل هذه الفتوى عن الشيخ السركجي رحمه الله -وكان هذا في حياته- فيقتنع الناس بالأمر وترضى نفوسهم.

أما فيما يخص العمل الحركي والدعوي، فقد عمل الشيخ في مختلف ميادين العمل، وكان حاضراً في كل اللجان الرئيسة، ويشارك في جميع القطاعات المتنوعة لدى أبناء الحركة، وهو في كل عمل أو لجنة أو موقع يعطي كل ما لديه من طاقة وجهد ووقت، يبادر ويبدع ويتابع، وكان يترأس معظم هذه اللجان والتشكيلات التنظيمية على كافة المستويات، فقد كان مسئول المكتب الإداري للحركة في نابلس لسنوات طويلة وهو أعلى هيئة تنظيمية في الحركة، وكان يمثل الشخص المركزي المحوري لأي تشكيل تنظيمي على مستوى شمال الضفة أو حتى للضفة كلها.

كما تنقل في نشاطاته بحسب المرحلة، فقد أشرف على العمل الطلابي وأحيانا على العمل النسائي، وكذلك على الهيئات الإدارية والتربوية المختلفة، وعلى لجان الوعظ ونشر

فقهاء رغم الرحيل فقهاء رغم الرحيل فقهاء رغم الرحيل فقهاء رغم الرحيل فقهاء رغم الرحيل

الدعـوة، ثـم أشـرف على لجـان العمـل الميدانـي في الانتفاضـة الأولى، وعمل لسنوات في قطاع الريف والقرى.

شـخصيته إداريـة مـن الطـراز الأول، يخطـط ويتابـع التنفيـذ ويشـارك فيـه، ثـم يقيّـم ويصـوب ويطـور باسـتمرار، أول مـن ينفـذ القـرارات ويلتـزم بالتعليمـات، يتقـن فـن الجنديـة تمامـاً كمـا يتقـن فـنّ القيـادة، وهـو في ذلـك كلـه يـرى نفسـه واحـداً مـن إخوانـه، فعنـد اضطـرار الحركـة للنـزول إلـى الشـوارع في بدايـة الانتفاضـة الأولـى لتثبيـت قراراتهـا حـول الإضرابـات والمظاهـرات، كان يبـادر بنفسـه ويتنقـل بيـن شـوارع المدينـة مـع سـاعات الفجـر الأولـى بطولـه الفـارع وهيئتـه المميـزة عـن بعـد ولا يبالـي بالنتائـج، ولا يكتفـي بـدوره المركـزي في التخطيـط واتخـاذ القـرارات، وكان شـباب الحركـة يـزدادون اندفاعـاً وعطـاءً حيـن يـرون شـيخهم بينهـم بـل في مقدمتهـم، وهـو مـع كونـه عضـواً في أعلى هيئـة إداريـة في الحركـة كان يذهـب إلـى جامعـة النجـاح في فتـرات الانتخابـات والنشـاطات الطلابيـة، حيـث كان يـدرس في مرحلـة الماجسـتير ويقـول لمسـئولي الكتلـة فيهـا إنـه جنـدي لديهـم ويطلب منهم التعليمات والأوامر لينفذها بصفته طالباً مثلهم.

جانـب آخـر مـن جوانـب القـدوة في حيـاة الشـيخ يوسـف تمثلـه بقـول الإمـام البنـا -رحمـه الله- بـأن الواجبـات أكثـر مـن الأوقـات، فـراح الشـيخ يُسـقط هـذا القـول على أرض الواقـع ويمارسـه في حياتـه بشـكل يومـي، فعطـاؤه المتواصـل ليـل نهـار كان يتـرك أثـره الواضـح على كل مـن عمـل معـه، وإذا حاولـت أن تجاريـه في ذلـك تجـده قـد سـبقك بخطـوات كثيـرة، يصـح فيـه القـول بأنـه كان

رجلاً لا ينام ولا يدع أحداً ينام، تبدأ متابعاته الحركية لإخوانه في أيام كثيرة قبل صلاة الفجر، في أغلب الأحيان لا يستدعي إخوانه إليه ليبلغهم بالتكليفات ومواعيد الاجتماعات بل يقوم بنفسه بالتنقل بين بيوتهم، وحين تستغرب عندما تراه يطرق بابك بعد الفجر لأمر حركي يرد عليك بابتسامة لطيفة بأنك الأخ الرابع الذي يأتيه منذ الصباح، لا يحب تأخير العمل ولا تسويفه، وطالما لزم الأمر فإنه يتحرك في أي ساعة من الليل والنهار، حتى إن زوجات إخوانه كن يعتبرنه بمثابة «الضرة» لهن!؛ لكثرة ما يأخذ من أوقات أزواجهنّ.

برنامج العمل والمتابعة لديه ممتلئ لعدة أيام، وأحيانا لعدة أسابيع لاحقة، وكنا نستشعر بركة الوقت في حياته في فترات غيابه في السجن، حيث تطرأ الحاجة الملحة لإيجاد عدد كبير من الإخوة ليقوموا بملأ الفراغ الذي تركه وحده.

ولا يمكن الحديث عن الجوانب المشرقة في حياة الشيخ يوسف دون التطرق إلى مهمته التربوية في الحركة؛ حيث أشرف ولسنوات طويلة على الجهاز التربوي في الحركة وتابع نظام الأسر مع النقباء والأفراد، وتولى ترتيب المناهج التربوية وتطويرها وتنويعها وإضافة كل جديد لها.

وكان يحرص على الدمج بين مفهوم الطاعة وفكرة المبادرة الذاتية، يزرع في إخوانه معاني الأخوة والانتماء، ويؤكد على علاقة الأخ بربه من خلال تربية روحانية وسلوكية كان هو أول من يلتزم بها، كان يزعجه جداً أن يرى أخاً جامداً في مكانه لا يتقدم، وكان يؤذيه أن يجد بعض أبناء الحركة القدامى

يتقاعسـون ويتـردّدون فيسـبقهم أخـوة جـدد، فيقـرر أن هـذا التأخير إنما جاء بسبب نقص في التربية في مرحلة سابقة.

كما أن هنـاك صفـة أخـرى هامـة يحتـاج إليها كل داعيـة عموماً وكل قائـد على وجـه الخصـوص، وهـي القـرب مـن الناس واكتسـاب محبتهـم وتأييدهـم، وهـذا مـا كان عليـه الشـيخ يوسـف، فقـد اسـتطاع بفضـل تواضعـه وعذوبـة لسـانه وقلبـه الـذي لا يعـرف الحقـد أن يجمـع النـاس مـن حولـه فيحبـه الجميـع، ففـي بدايـة الثمانينـات عمـل لمـدة ثـلاث سـنوات إمامـاً في قريـة صغيـرة نائيـة «عصيـرة القبليـة» وإذا بـه خـلال أشـهر قليلـة شـيخ القريـة ومسـئولها ومستشـارُ لـكل أهلهـا في أمورهـم الاجتماعيـة والعائليـة والاقتصاديـة، لا يقضـون أمـراً دونـه، وظلّـوا على صلـة بـه حتـى استشـهاده، وبصـورة عامـة كان كبـار السـن وعـوام الناس يأنسـون بـه بينمـا حظـي باحتـرام المثقفيـن حيـث كان يتقـن التعامل مع كل فئة بما يناسبها.

أمـا بالنسـبة لإخوانـه، فـكان دائمـاً بمثابـة الأب أو الأخ الكبيـر، وفي أيـام المحنـة على وجـه الخصـوص كالسـجن مثـلاً، كان يمدهـم بحنـان كحنـان الأم الـذي فقـدوه، يعـدّ لهـم الطعـام ويوقظهـم لتناولـه، كثيـراً مـا كان يجهـز لهـم الملابـس ويكويهـا قبل مواعيد زيارة الأهل لهم.

حيـن تعيـش معـه تشـعر بالأمـان والاطمئنـان، ظلّـه يحميـك وخبرتـه تعطيـك راحـة نفسـية عجيبـة، لا ينتقـم لنفسـه أبـداً، ويعفو عن إخوانه حين يخطئون بحقه.

لقد كان للشيخ يوسف نفس تواقة للمعالي، إذ على الرغم من موقعه المتقدم في قيادة الحركة ودوره المميز في العمل الدعوي والتربوي إلا أن حبه للجهاد المباشر دفعه إلى دخول الميدان مع إخوانه المجاهدين، خاصة حين عرف بحكم موقعه حاجتهم إلى ظلّ يحميهم وقائد يوجههم ويقدم لهم الدعم السياسي والمالي والمعنوي المطلوب، وكان ذلك قبل انتفاضة الأقصى، فكان بيته مأوى لهم، وراح يرتب صفوفهم وينسق جهودهم ويشرف على مسيرتهم، ويوجه وينصح ويشجع ويدعم بكل ما لديه من إمكانيات، فقدر الله له أن يسجن لدى السلطة فترة طويلة تعرض خلالها للتحقيق والتعذيب ورفض كل محاولات الإفراج عنه، وكاد يفقد حياته خلال إضراب الأسرى السياسيين لحماس في سجن جنيد، والذي استمر لأكثر من شهر خاصة أنه كان يعيش بكلية واحدة، وكان من أواخر من خرج من أسرى الحركة لدى السلطة بعد الضغط المتواصل في بداية انتفاضة الأقصى، ليعود إلى مواصلة مشواره الجهادي محتضنا إخوانه المطاردين، يعيش كواحد منهم ولم يكن بالإمكان العودة إلى الحياة الطبيعية خاصة حين أصبح هدفا للاحتلال.

وبقي كذلك حتى أكرمه الله بالشهادة في العام 2002م مع بعض إخوانه في عملية اقتحام ضخمة للشقة التي كانوا يستترون فيها، فعاش كما أراد ومات كما أراد، لقد كان مكسباً عظيماً، وخسارة الحركة له كانت عظيمة.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

لقـد كان الشـيخ يحـبّ المجاهديـن بشـكل خـاص، حتـى إنـه كان يحرجهـم حيـن يفاجئهـم بتقبيـل أيديهـم ويـرى أن اليـد التـي تجاهـد في سـبيل الله تسـتحق كل التقديـر والاحتـرام، وقـد بادلـه إخوانـه الحـب بالحـب والاحتـرام بمثلـه، لقـد أحبـه إخوانـه بنفـس القـدر الـذي أبغضـه بـه عـدوه، فـكان الاحتـلال يـرى بـه شـخصاً بالـغ الخطـورة، واعتبـروه شـيخاً يخّـرج المجاهديـن ويشـكّل منبعـاً للمقاومة.

لـو حصـر الشـيخ يوسـف نشـاطه في العمـل الدعوي والسياسـي لرضـي عنـه إخوانـه كلهـم، لكنـه كان يـرى في نفسـه قـدرة أكبـر على العطـاء، وكان يعنيـه قبـل كل شـيء أن يرضـى عنـه ربـه سبحانه وتعالى.

شهادة الأخ المجاهد رأفت ناصيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

إن الشيخ يوسف رجل رباني في جوهره وفي مظهره وسلوكه وخطابه، فهو متواضع في لباسه، وتصرفاته.. أذكر أنه في خطابه وسلوكه مع من حوله واعظ ومذكر وحاث على الطاعة والعبادة والصبر. وحديثه حديث محفز دومًا بصوته المنخفض بقدر يكفي السامع، ويجيد السماع أكثر من الكلام.

وكثيرًا ما كان ينتظر من محدثه الانتهاء، كي يتاح له الحديث فإن تحدثوا صمت، وطلب بأدب أنه لا يستطيع الكلام والاستماع في آن واحد.

أما عن عبادته، فهو صاحب الصلاة المميزة، والوقار والتأني والخشوع الذي يلمسه المشاهد له، لا يسابق إمامه ولا يتعجل مأموميه. ومن وقاره أنه كان لا يسمح حتى للتثاؤب أن يشوش على تلاوته أو دعائه، فإذا ما غالبه فإنه يتوقف حتى ينهي فيستأنف بهدوء ووقار.

وهو المتأمل عند تلاوته كتاب الله تلاوة تدبر وإنعام نظر وأدب مع كتاب الله عز وجل...

يستخرج المعاني الجاذبة للذوق الرفيع، وهو صاحب الهمة في العبادات من صلاة ونوافل وقيام وصيام وتلاوة وذكر ومطالعة منهجية متفرسة.

الشيخ الصديق الرفيق لإخوانه

ومما يميز الشيخ حرصه على التعرف إلى إخوانه أيًا كانت أعمارهم أو مناطقهم تعرفًا شاملًا، كما كان يحرص أن يُعرِّف نفسه أمامهم، كما كان الشيخ قمة في التواضع مع إخوانه، يستمع إليهم بتأنٍ، ويتعامل بجدية مع كل ما يطلبونه، ويمتاز بسعيه في خدمة إخوانه، فلطالما قام بنفسه بعملية التنظيف للمكان والمشاركة في إعداد الطعام لهم.

وكثيرًا ما كان يسعى لتوفير احتياجات إخوانه، كما كان عندما كنا في السجون، حيث كان يتواصل مع عائلته أو معارفه لتوفير ما يلزم إخوانه، دائم السعي للتخفيف عنهم، عبر التركيز على توفير ما يحقق لهم حياة كريمة، وكان صاحب الروح المرحة، كان كثيرًا ما يمازح إخوانه.

مواقف وطرائف للشيخ مع إخوانه

تسلم ذات مرة مسئولية ثلاجة المطبخ في السجن، وطلب من الإخوة ألا يضعوا أي شيء فيها إلا بإذنه، ومن يخالف يتحمل المسئولية. وفعلًا قام أحد الإخوة بوضع بقايا الحلويات في الثلاجة، وعندما ذهب في اليوم التالي لأخذها لم يجدها. وعند سؤاله الشيخ عنها، أجابه بهدوئه المعهود -لدرجة الاستفزاز للسائل- أنه هو الذي أخرجها مِن الثلاجة. وبعد أن

فهم ذلك الأخ الدرس وعلم أن الشيخ يمازحه بذلك الموقف، قام الشيخ كعادته بتعويض ذلك الأخ بكمية من الحلويات تفوقها بأضعاف، وقد نال الجميع حظهم من ذلك الخير.

أذكر أنه كان بعد الفجر يسأل إخوانه في جميع غرف سجن الجنيد: من يريد أن يشرب الأعشاب الساخنة؟ ثم يؤكد -مداعبًا- أنه من يريد فليقل الآن وليس بعد أن أُحضِّر الأعشاب. شخصيًا كنتُ عندما أطلب منه متأخرًا يجيبني مازحًا: سأفكر في الأمر، وبعد قليل يأتيني بكوب ساخن ويقدمه لي بكل تواضع.

وأذكر أنه ذات مرة -بسبب سوء الظروف وتعنت السلطة معنا- قام بجمع الإخوة في (مردوان) السجن في حلقة دعاء على السلطة، وتحديدًا على مدير السجن في حينه، وعند قدوم مدير السجن أخبره الشيخ أنه قد دعا عليه لسوء معاملته...

رحمك الله يا شيخ يوسف وأسكنك فسيح جناته.

خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك

شهادة الأخ المجاهد عثمان سعيد بلال

الحمـد لله والصـلاة والسـلام على رسـول الله وبعـد... لعلنـي سـمعت في حياتـي آلاف المواعـظ والخطـب والنصائـح، غيـر أن أنفعهـا تلـك التـي لا أشـك في صـدق قائليهـا لحظة.. تلـك الكلمات البسـيطة المباشـرة والتـي لا تـزال تتـرك في جسـدك قشـعريرة كلمـا اسـتحضرتها... تلـك التـي لا يـزال تأثيرهـا يمـلأ قلبـك بـدفء يعينك على برد الرحلة المستمرة..

ربمـا كنـت في الرابعـة عشـرة أو أقـل مـن ذلـك... كنـت بصحبـة ثُلـة مـن أشـبال المسـاجد وكنـا نيامًـا لفتـرة اسـتراحة قصيـرة خلال اعتـكاف اسـتيقظت على صوتـه العـذب وهـو ينشـد عبـارة التوحيـد، كان يقـف بطولـه الفـارع ويـركل قدمـي بحنـان، قلـت لـه محتجًـا بـأدب: لـم يمـضِ على نومـي إلا القليـل، ولـم اسـترح بعـد يـا شـيخ! قـال لـي عبـارة لـم تغادرنـي منـذ تلـك اللحظـة: «إحنـا بنرتـاح بـس في الجنـة.. بُكـرة بتنـام في القبـر ليـوم القيامـة... هـلَّأ قـوم»... كانـت سـاعات الفجـر يـوم 1991/12/14م أو 1990م... كان المطـر قـد توقـف قبـل وقـت قصيـر... كنـت قـد اجتهـدت أن ألصـق جـزءًا مـن ملصقـات الانطلاقـة في منطقـة لا يغطيهـا نشـطاء حمـاس عـادة.. شـاهدت مـن بعيـد شـبحًا طويـلًا، أدركـت مباشـرة أنـه الشـيخ يوسـف... أكملـت مهمتـي. وصـادف أن تكـرر اللقـاء عـن بُعـد عـدة مـرات وفي أكثـر مـن شـارع ثـم التقيـت بـه وأنـا أحمـل

سُـلّمي الصغيـر عنـد بـاب المسـجد لحظـة الأذان، سـلّم علـيّ وابتسـم لـي قائـلًا: الله يعطيـك العافيـة... فاجأنـي شـاب كبيـر بعـد الصـلاة يقـول لـي: الشـيخ يوسـف يريـدك، دخلـت مكتبـة المسـجد لأجدهـا ممتلئـة بقـادة نشـطاء الانتفاضـة مـن كل المدينـة، كانـوا أكبـر منـي بكثيـر... أثنـى علـيَّ أمامهـم وعلى مبادرتـي، ثـم أجلسـني لأشـارك في اجتمـاع لإدارة الفعاليـات والمواجهـات ليـوم الانطلاقـة. هـذه الثقـة أسـهمت في تربيتـي أضعـاف أضعـاف مـا أسـهمت التوجيهـات التربويـة التـي تلقيتهـا من مشايخ أكارم آخرين.

كان -رحمـه الله- مشـهورًا بيننـا أن لـه علاقـة بـكل جوانـب العمـل بشـكل أو بآخـر.. فقـد حدثنـي أخ مـن نشـطاء الكتلـة الإسـلامية في جامعـة النجـاح، قـال: كانـت الكتلـة قـد أقامـت معرضًـا للكتـاب في الجامعـة. وفي ليلـة يـوم جمعـة هطلـت أمطار خفنـا ألا يصمـد غطـاء السـاحة «الشـادر» فهرعنـا فجـرًا -مجموعـة قليلـة- نسـتدرك الأمـر، وقـد لاقينـا عنـاءً شـديدًا في إنجـاز الأمـر وإنقـاذ المعـرض. وكان مـن أجمـل مـا أسـعدنا حديـث الشـيخ يوسـف والدنـا بعـد ذلـك حيـن علمنـا أنـه كان يرقبنـا مـن شـارع يُطـل على السـاحة. قـال لنـا: لـم أجـد مـا أفعلـه وأنتـم تهرولـون وتعملـون بجـد يـدل على إخلاصكـم، إلا أن أبكـي وأدعـو لكـم.. نقل القصة أيضًا الشهيد محمد الحنبلي والأخ محمد صبحة.

يضيـف الأخ: كان رغـم التزاماتـه العلميـة والعائليـة والحركيـة يشـعرنا بأنـه معنـا وبـأن عملنـا مهـم، وإلا فمـا الـذي جـاء بـه في فجر يوم عاصف ماطر يساندنا من بعيد بدعائه ودموعه.

شهادة الأخ المجاهد معاذ سعيد بلال

الحمـد لله والصـلاة والسـلام على رسـوله الكريـم وعلى آلـه وصحبه أجمعين وبعد،

مثّـل الشـيخ الشـهيد يوسـف السـركجي -رحمـه الله- أنموذجًـا فريـدًا مـن المجاهديـن عـزّ نظيـره.. جمـع بيـن علمـه الشـرعي ونشـاطه السياسـي وعملـه الدعـوي والتربـوي إلـى جانـب روحـه الجهاديـة الوثابـة وممارسـته العمـل السـري الجهـادي بشـكل مباشر.

أمـا عـن خُلقِـه، فقـد كان ممـن وصفهـم الإمـام الشـهيد حسـن البنـا (مصحفًـا يمشـي على الأرض) وأبـرز صفـة أخلاقيـة لـه كانـت (التواضـع) ومـا ينـدرج تحـت هـذا العنـوان مـن لين ودماثـة وحيـاء وابتسامة دائمة لا تفارق محياه وسخاء وعطاء بلا حدود...

لا أبالـغ أبـدًا إن قلـت إنَّ الشـيخ يوسـف كان زائـرًا على هـذه الدنيـا قديمًـا مـن عهـد الراشـدين ولـم يكـن لـه مـن الدنيـا سـوى حطـام لا قيمـة لـه، فحلمـه الوحيـد أداء رسـالته، والالتحـاق سـريعًا بالملأ الأعلى حيث أودع روحه هناك.

بعـد خروجـي مـن الاعتقـال الإداري مطلـع العـام 1997م قمـت بتشـكيل وحـدة عسـكرية مـن الأخويـن الشـهيدين نسـيم أبـو

الـروس وجاسـر سـمارة، وبدأنـا مرحلـة الإعـداد وامتـلاك أسـباب القـوة لعـدة أشـهر، إلـى أن وصلـت معلومـة للشـيخ يوسـف باحتماليـة نشـاطي العسـكري عـن طريق الشـهيد خليل الشـريف... التقـى الشـيخ يوسـف بـي عـدة مـرات بشـأن حقيقة نشـاطي في كتائـب القسـام، ورغـم اعتبـاري للشـيخ وأنـه أسـتاذي ويمثـل لنـا قيمـة عظيمـة، إلا أننـى لـم أصارحـه في البدايـة -رحمـه الله- ولكـن تـم الأمـر. ثـم جمعنـي بخليـل الشـريف في لقـاء في حجـرة الاسـتقبال في بيتـه المتواضـع، وخـلال لقائـي بالشـهيد خليـل اتفقنـا معًـا على بنـاء الجهـاز العسـكري الـذي أطلقنـا عليـه (خليـة شـهداء مـن أجـل الأسـرى) القسـامية وقـد بـارك الشـيخ هـذا الاتفاق.

أقـف الآن على سـيرة الشـيخ يوسـف -رحمـه الله- الـذي كان في قمة السعادة وهو يحتضن أبناءه في بيته مع السلاح.

-حـرص الشـيخ يوسـف على متابعـة أمـور المجاهديـن والمسـارعة في تقديـم أي عـون لهـم، ولـو مـن جيبـه الخـاص، ولـم يكـن يعـود إلـى بيتـه حتـى سـاعة متأخـرة مـن الليـل بعـد أن يطمئـن على سـلامة المجاهديـن المطارديـن. وقـد لازمنـا معـه شـعور الوالـد بأبنائـه، لا يكـف الشـيخ يوسـف عـن تذكيـر العامليـن في الجهـاز العسـكري في كل مناسـبة بضـرورة تجديـد النيـة في طلب الشهادة في سبيل الله.

لاحظـت أن الشـيخ منغمـس في كل مجـالات العمـل.. فتجـده ناشـطًا في القيـادة السياسـية وتجـده متابعًـا لشـئون الجهـاز العسكري والمجاهدين..

ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل

سـألته ذات مـرة: يـا شـيخ في أي سـاحة أنـت مـن العمـل بالضبـط؟ فأجـاب مبتسـمًا: أنـا أعمـل في كل شـيء وسـأبقى أعمـل حتـى ألقـى الله... نعـم، فـلا وقـت للفـراغ والراحـة فهـو حامل رسالة نَذر حياته كلها في سبيلها.

لـم يبـدُ على الشـيخ -لمـن لا يعرفـه عـن قـرب- أنـه ثـوري أو جهـادي، فسـمت الشـيخ سـمت الداعيـة والمربـي، ويغلـب عليـه الهـدوء... جـاء ذات مـرة بصحيفـة مصدقـة تتحـدث عـن حمـاس وتقسّـم قياداتهـا إلـى (معتدلـة ومتطرفـة) وقـد أوردت تلـك الصحيفـة اسـم الشـيخ يوسـف السـركجي بأنـه مـن (حمائـم حمـاس)، وقـال لـي: أرأيـت؟ أنـا مـن الحمائـم وهـذا هـو الدليـل!!... لكـن الكاتـب لـم يكـن يعلـم بالطبـع أن الشـيخ يسـتعجلنا في كل مرة لتنفيذ العمليات الاستشهادية.

بعـد عمليـة القـدس الثانيـة يـوم 1997/09/04م والتـي فاجأنـا الشـهيد خليـل الشـريف بتنفيذهـا بنفسـه مـع أخويـه الشـهيدين يوسـف شـولي وبشـار صوالحـة، لـم أرَ الشـيخ حزينًـا مثلمـا كان في ذلـك اليـوم. وقـد كان يحـب خليـلًا أكثـر مـن أبنائـه... توجـه إلـيَّ بضـرورة تنفيـذ عمليـة ضخمـة بشـكل عاجـل، واقتـرح أن تكـون نسـف عمـارة صهيونيـة في تـل أبيـب، وكان قرارنا الانتقـال لمرحلة أسـر جنـود لمبادلتهـم بالأسـرى... وقـد حـاول الشـيخ جاهـدًا إقنـاع الإخوة بذلك.

ومـن طرائـف الشـيخ يوسـف التـي حدثنـا بهـا أنـه في صغـره وبدايـة التزامـه كان حلمـه أن يقيـم دولـة الإسـلام ويحمـل النـاس على الالتـزام سـريعًا بأحـكام الديـن، وأنـه لمَّـا رأى قبـر جدتـه قـد

ارتفع عن الأرض خلافًا للسنة، اعتبر ذلك بدعة كارثية يجب أن تزال فورًا، فما كان منه إلا أن هوى بالفأس على قبر جدته حتى هدمه عن آخره، ما تسبب له في مشكلة كبيرة مع والده الذي طردهُ من المنزل عدة أيام حتى توسط له شيوخ الدعوة.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

شهادة الأخ المجاهد سليم حجة[1]

التقيتُ بالشيخ المجاهد يوسف السركجي حين كنت مطاردًا مرتين، ومكثت معه في بيت واحد عدة أيام. وحينها عرفت شخصيته الفذة وخصاله الحميدة ووجدت نفسي أمام قائد كبير، وشيخ مجاهد، وعالم جليل، وفقيه ومُربٍّ له تأثير كبير في المجاهدين.

كان -رحمه الله- يرشدنا ويعلمنا، ويوجهنا روحيًّا وتربويًّا وتنظيميًّا وأمنيًّا.. يقدم لنا المساعدة في توفير بيوت للمطاردين، على الرغم من أنه هو أيضًا مطلوب يطارده الاحتلال، وكان بعض الميسورين من أهل نابلس يثقون به، ويضعون بين يديه التبرعات للعمل الجهادي.

كما كان من قيادات (الحركة) التنظيمية السياسية على مستوى الضفة الغربية، وكان ضمن أول مكتب إداري شكلته (الحركة) بنابلس مع بداية الانتفاضة الأولى.

وكانت المجموعة العسكرية التي قادها تعد من المجموعات الأولى على مستوى الضفة الغربية، وقد ابتدأت عملها أواسط عام 1988م، وكانت تزرع العبوات الناسفة.

(1) من كتاب «درب الأشواك».

اكتُشف أمرُه بعد تنفيذ كتائب القسام عمليتي (محني يهودا) و (بني يهودا) عام 1997م؛ فقد تبين أن له دورًا في توجيه وتمويل المجموعة التي نفذت هذه العمليات، فاعتقلته السلطة الفلسطينية أربع سنوات في (سجن الجنيد) بنابلس.

كان للشيخ رحمه الله دور رئيس في تعارف محمود أبو هنود وخليل الشريف ومعاذ بلال، حيث جمعهم في منزله، ووفر لهم الدعم المادي والمعنوي لتنفيذ العمليات ضد الاحتلال. بعد اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة أفرجت عنه السلطة بسبب وضعه الأمني. ونتيجة ملاحقة قوات الاحتلال له، وعدم قدرته على أداء دور تنظيمي أو سياسي اضطُرَّ إلى الاختفاء بعيدًا عن الأنظار، فعاش حياة المطاردة، ثم بعد مدة قرر أن يعيش مع مجاهدي القسام المطاردين، وكان قد تعرف إلى بعض منهم في سجن السلطة كمهند الطاهر، ونصر الدين عصيدة، وغيرهما.

كان الشيخ بالنسبة لأولئك المجاهدين المطاردين بمنزلة الأب الروحي، والشيخ القدوة، ولا أزال أذكر كلماته التي كان يرددها دائمًا: (إنني أريد أن أكون خادمًا للمجاهدين، وودت لو أن الظرف الأمني يسمح حتى نجتمع جميعًا -يعني: كل المطاردين- وأكون خادمًا لهم)، وحينما كان يجتمع بعدد من المجاهدين كان يرفض أن يشارك أيُّ مجاهد في خدمة البيت أو تنظيفه، أو العمل في طهي الطعام، أو تنظيف الأواني، بل كان يصر على خدمتنا وإكرامنا، فكان يعلمنا بأخلاقه ومعاملته، إضافة إلى ما كان يعلمنا في دروسه وإرشاداته.

كان رحمــه الله يقــول لنــا دائمًــا: (اســألوني عــن أي قضيــة شـرعية أو فقهيـة).. يريـد أن يعلمنـا عـن طريـق السـؤال والجـواب، وقـد كَتَـبَ نشـرات توعيـة وُزّعـت على كتائـب القسـام؛ لتوجيـه العامليـن، دون أن يطلـب أحـد منـه ذلـك، فقـد كان حريصًـا على نصحنا، وتقديم الخدمة والمساعدة.

ومـمـا أثــار إعجابــي بشــخصيته أنــه لــم يكتــفِ بــكل تلــك الخدمـات والتوجيهـات التـي كان يقدمهـا للمجاهديـن، بـل إنـه طلـب مـن المطارَديـن الذيـن يتقنـون التصنيـع والإلكترونيـات أن يدربـوه على كل التقنيـات التـي يعرفونهـا؛ مـن التفجيـر عـن بُعـد، إلـى تصنيـع الدوائـر الإلكترونيـة والمـواد المتفجـرة، وقـد تـم لـه مـا أراد، ودرَّبــه الإخــوة على مـا طلبــه. ثــم إنــه اتصـل بنصـر الديـن عصيـدة عندمـا كان يعيـش في الجبـال، وخـرج ليعيش معـه فيها، وتــدرب على اســتخدام الأســلحة الرشاشــة، وكان ممـا قالــه لــي رحمــه الله: إنــه يريــد أن يتــدرب على كل شــيء؛ لأنــه قــد يأتــي وقـت على (الحركـة) لا يكـون عندهـا خبـراء في مجـال مـا، فربمـا احتاجوا إلى خبرته، فيكون بذلك قد سدّ ثغرة من الثغرات.

وكان رحمــه الله هــو صاحــب فكــرة توثيــق وتســجيل وصايــا الاستشــهاديين بالفيديــو، وكذلــك كلمــات وداع للمطارديــن أمثــال نصـر الديـن عصيـدة، وعاصـم ريحـان، ومهنـد الطاهـر، وغيرهـم. فطلـب مـن المطارديـن تسـجيل أشـرطة صوتيـة أو مصـورة، وكان يقــول للمطارديــن: (مــن الضــروري أن توثقــوا عملكــم بالتصديــق كشهادة للتاريخ).

أحيانًا كنا نتناقش معه حول طريقة العمل وما يتطلبه من احتياجات، وكانت طريقة العمل السائدة آنذاك لا تعجبه، فهي تقوم على أن (التنظيم) هو الذي يوفر المال، ونحن نعمل ونشتري السلاح، ونوفر احتياجاتنا بأنفسنا، وننظّم المجموعات، ونخطط للعمليات، ونوفر البيوت التي نختفي فيها. وكان الشيخ رحمه الله له وجهة نظر مختلفة مفادها أن (التنظيم) يجب أن يوفر كل شيء للمجاهدين والمطاردين؛ ليتفرغوا هم للعمل.

ومن الأفكار التي تداولناها في نقاشاتنا: ضرورة توفير ملاجئ سرية للاختفاء في المحافظة والمدينة، وكذلك الاهتمام بالأرياف، وتفعيل العمل فيها، وتوفير عيادة سرية وتهيئة طبيب يعمل معنا عند حدوث أي إصابات للمجاهدين، وكذلك ضرورة توفير كل المستلزمات التي يحتاجها المجاهدون، مثل الأقنعة و(الإكسسوارات)، و (البواريك) وأدوات تزوير الوثائق، وغيرها من احتياجات العمل العسكري...

كانت علاقته بالمطاردين عمومًا قوية جدًّا، غير أن علاقته بمحمود أبو هنود كانت متميزة، وقد لاحظت ذلك عندما عشنا معًا في بيت واحد.

لقد خسرت (الحركة) باستشهاده كثيرًا كثيرًا؛ فقد كان القائد القدوة المضحّي الذي يتقدم الصفوف، وكان عالمًا عاملًا، وداعية ومربيًا، ومجاهدًا مقدامًا يتقدم عندما يتأخر الناس. وقد اغتالته يد الغدر، واغتالت معه كلًّا من الشهداء: نسيم أبو الروس، وجاسر سمارة، وكريم مفارجة في شقة في شارع

عصيـرة الشـمالية بنابلـس. وقـد نفـذ تلك العمليـة الجبانـة وحدات خاصــة مــن جيــش الاحتــلال، وكان ذلــك بعــد اعتقــال أجهــزة السـلطة لـي بأسـبوعين -رحمـه الله رحمـة واسـعة ورحـم إخوانـه من الشهداء، وجمعنا بهم جميعًا في عِليين.

شهادة الأخ المجاهد محمد صبحة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

للكتابة عن العظماء وقع خاص، فكيف عندما تكون من أمثال الشهيد الشيخ يوسف السركجي -رحمه الله- الذي عشنا في كنفه سنوات عدة داخل السجون وخارجها حافلة بالمواقف والذكريات المؤثرة، سأسجل هنا بعضًا منها علها تكون فيها العبرة والفائدة.

في نهاية عام 1994م لم أكن قد تعرفت بعد إلى الشيخ، كنت مقيمًا في أحد أماكن سكن الطلاب، وكنت مريضًا ملتزمًا الفراش، وذات مساء جاء الشيخ لزيارة السكن فقد كان على صلة ببعض الإخوة المقيمين هناك، كان السكن لقيادة الكتلة الإسلامية، فوجدني ملتحفًا فراشي، فتعرف إليَّ وسألني إن كنت قد ذهبت إلى الطبيب، فأجبته بالنفي فطلب مني أن أتجهز، ثم أخذني بسيارته إلى الطبيب الذي فحصني بدوره ووصف لي الأدوية اللازمة.

أخذ الشيخ الروشتة وذهب إلى الصيدلية، واشترى لي الأدوية اللازمة، ثم عاد بي إلى السكن وأنزلني من السيارة بعد أن أعطاني الدواء ثم ذهب.

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

لـم يغـب الشـيخ أكثـر مـن نصـف سـاعة حتـى عـاد ومعـه مدفـأة غـاز مـن النـوع الممتـاز وقدمهـا هديـة للسـكن قائـلًا إن الجو بارد ولا بد أن تدفئوا أجسادكم، ثم مضى.

- كان الشـيخ رغـم علـو قـدره، وعظـم مسـئولياته متواضعًـا لا يتوانـى عـن خدمـة إخوانـه... جاءنـي يومًـا وأنـا مشـغول بالإعـداد لبعـض أنشـطة الكتلـة الإسـلامية، وكانـت سـاحات الجامعـة وأبوابهـا حينهـا مغلقـة، قـال -وكان يـدرس الماجسـتير في الجامعـة-: ألسـت مـن أبنـاء الكتلـة الإسـلامية؟ قلـت لـه: بلـى يـا شـيخ، قـال: ألسـت مـن مسـئولي الكتلـة؟ قلـت: بلـى، قـال: أريـد أن أسـاعدكم، فرفضـت بدايـة، لكنـه أصـر، فبحثـت لـه عـن عمـل سـهل، فوجـدت أغـراض مبيعـات القرطاسـية موجـودة على طـاولات عنـد الجسـر فقلـت لـه: اجلـس بجانـب هـذه الأغـراض لحفظهـا، وكنـت أعلـم أنـه يسـتثمر وقـت الفـراغ في القـراءة، وفعـلًا جلـس الشـيخ بجانـب القرطاسـية يحرسـها ويطالـع فيمـا توفر من كتب.

مـر وقـت وأنـا مشـغول، ثـم مـررت قريبًـا مـن تلـك الأغـراض، فهالنـي أن الشـيخ يجلـس مكانـه رغـم طـول الوقـت دون أن يذهب أو حتـى أن يتأفـف أو يتعـذر، فتوجهـت إليـه وسـألته عـن سـبب بقائـه كل ذلـك الوقـت، فأجـاب: طلبتـم منـي حراسـة الأغـراض وأنـا أقـوم بعملـي حتـى تخبرونـي أن دوري انتهـى فضحكنـا طويلًا وطلبنا منه أن يغادر مشكورًا.

- حدثنـا في الأيـام الأخيـرة قبـل افتراقنـا أنـه أثنـاء إيـواء خليـة «شـهداء مـن أجـل الأسـرى» وعلى رأسـهم الشـهيد خليـل الشـريف،

وكانـوا يعـدون لتنفيـذ عملياتهـم الاستشـهادية في «محنـي يهـودا وبنـي يهـودا» عـام 1997م، في الوقـت ذاتـه كانـت الكتلـة الإسـلامية تعـد لمهرجـان الفـن الإسـلامي، وكان الشـيخ مشـرفًا على العمـل النقابـي الجامعـي، فقـال: عندمـا وجـدت أن الإخـوة يعـدون لعمليـة متزامنـة مـع المهرجـان دون أن يعلمـوا بذلـك، اقترحـت عليهـم بشـكل عرضـي أن يعجلـوا مهمتهـم قليـلًا دون أن أوضـح السـبب، وفعـلًا كانـت العمليـة بعـد أن نظمـت الكتلـة الإسلامية مهرجانها بنجاح.

إن دوره المتقـدم الـذي جعلـه مطلعًـا على مختلـف المحـاور أسـهم في حسـن إدارة الأمـور.. إدارة حديديـة -كان الشـيخ ذا إدارة حديديـة تظهـر في جميـع مواقفـه- نعـرض أحدهـا، فقـد كان الشـيخ عظيـم البنيـة بطـول 193سـم ووزن يزيـد على 132 كغـم فأخـذ قـرارًا بإنـزال وزنـه بزمـن قياسـي فبـدأ مشـروعًا قاسـيًا ومتواصـلًا مـن «الريجيـم» والرياضـة، اسـتطاع خلالـه أن ينـزل مـن وزنـه (37) كغـم خـلال فتـرة قياسـية لا تزيـد على ثلاثـة أشـهر، ثـم بعـد ذلـك التـزم نظامًـا غذائيًـا وبرنامجًـا رياضيًـا حافـظ فيـه على وزنه طوال الفترة التي مكثناها في سجون السلطة.

أمـا عـن علمـه فقـد كان الشـيخ عالمًـا بالشـريعة، وكنا لا نسـأله سـؤالًا فقهيًـا إلا ويجيـب عنـه بالتوسـع الـذي يطلبـه السـائل مستشـهدًا بالأدلـة وأقـوال العلمـاء واختـلاف المذاهب إن لـزم الأمر، حتـى كنـت أقـول: لـم ألتـقِ في حياتـي -في حينـه- رجـلًا أكثـر علمًـا في الشـريعة مـن الشـيخ يوسـف، وكـذا سـمعنا لاحقًـا مـن الشـهيد القائـد جمـال منصـور إذ قـال عـن الشـيخ إنـه «فقيـه

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

الحركـة في الضفـة الغربيـة»، كنـت أراه يحمـل الكتـاب المتوسـط ويجلـس على البـرش «السـرير» وخـلال سـاعتين يكـون قـد أتمـه، فأذهـل مـن ذلـك، وسـألته مـرة هـل يقـرأ الكتـاب فعـلًا فأجـاب: أقـرأ معظمـه وأفهـم مـا فيـه، وقـد تمرسـت على ذلـك، فأخـذت الكتاب وسألته عنه فظهر لي أن قراءته عميقة -رحمه الله.

كان -رحمـه الله- يحفـظ كثيـرًا مـن حديـث الشـيخ عبـد الله عـزام -رحمـه الله- وفتاويـه ومواقفـه، سـألته ذات مـرة عـن شـرب الشـاي قبـل الصـلاة مباشـرة ثـم الصـلاة دون غسـل الفـم مـن طعـم الشـاي، فأجـاب: سـألت الشـيخ عبـد الله عـزام ذات مـرة فأجابنـي بهذا الوصف: أرجو أن يكون لا بأس به.

كان الشـيخ ذا دور تنظيمـي متقـدم، فقـد كان في منتصـف التسـعينيات مرجعيتنـا في الجامعـة والعمـل النقابـي، كان يجتمع ليتابـع أداءنـا واحتياجاتنـا. وعندمـا عشـت معـه في سـجن الجنيـد أخبرنـي أنـه كان مرجعيـة للعمـل التنظيمـي في نابلـس، علمـت فيما بعد أنه كان مسئول المكتب الإداري لمدينة نابلس.

عندمـا كنـا في سـجن الجنيـد بـدأت أفكـر في العمـل العسـكري ففكـرت فيمـن يمكنـه أن يسـاعدني فخطـر ببالـي الشـيخ يوسـف، تـرددت قبـل أن أفاتحـه في الأمـر، لكنـي في نهايـة المطـاف توجهـت إليـه وسـألته أن يسـاعدني فأظهـر في البدايـة رفضًـا، لكنـه أدرك أننـي جـاد فعـاد إلـيَّ وسـألني عـن حاجتـي، فأخبرتـه برغبتـي في تعلـم تصنيـع المتفجـرات فلـم يعـطِ جوابًـا. ونادانـي بعـد يومين إلـى غرفتـه وناولنـي أوراقًـا ونصحنـي بعـدة نصائـح أمنية، ثم تركني، فتحت هذه الأوراق وإذا هي تحوي ما طلبت.

ومـن اللطائـف التـي أذكرهـا مـن سـيرته أنـه كان يعمـل جنبًـا إلـى جنـب مـع الشـهيد عمـر منصـور في (شـفت) إعـداد طعامنـا في سـجن الجنيـد، فقـال عمـر للشـيخ: سـأكون أنـا المسـئول عـن الشـفت، فقـال لـه الشـيخ: لـك ذلـك. وأراد الشـيخ أن يداعبـه، فأعـد الإخـوان صينيـة خضـار ولحـم، ووضعهـا عمـر في الغرفـة وقـال للشـيخ: راقبهـا. جلـس الشـيخ قبالـة الفـرن، وبعـد فتـرة بدأنـا نشـتم رائحـة شـيء محـروق! واشـتدت الرائحـة والدخـان فهرعنـا مسـرعين إلـى المطبـخ، فوجدنـا أن الفـرن يخـرج منـه الدخـان والصينيـة تـكاد تحتـرق والشـيخ يجلـس قبالتهـا ينظـر إليهـا، صحنـا: مـا بـك يـا شـيخ؟ الصينيـة تحتـرق، فأجـاب: طلـب منـي عمـر مراقبتهـا، ولـم يطلـب شـيئًا آخـر، وهـو مسـئول الشـفت، وأنـا أنفـذ مـا يقـول.. ضحـك الجميـع وقلنـا لـه: يـا شـيخ أنـت المسـئول عن الشفت، «بدنا ناكل».

شهادة الأخ المجاهد معتصم سمارة

تعرفـت إلـى الشـيخ المجاهـد الشـهيد يوسـف السـركجي في سـجن الجنيـد نهايـة عقـد التسـعينيات، حيـث أمضيـت معـه قرابـة سـنتين؛ وقـد قـدر لـي أن ألتقـي بـه آخـر لقـاء صبـاح يـوم اعتقالـي الجمعـة الموافـق: 2001/05/04م، فقـد تناولنـا طعـام الإفطار في بيته.

وبعـد سـنوات مـن استشـهاد الشـيخ ولقائـي بكثيـر مـن الإخـوة الدعـاة والعلمـاء والمشـايخ أثنـاء مسـيرة الاعتقـال التـي امتـدت عشـرين عامًـا. كنـت أُعـرِّف عـن الشـيخ أنـه (صحابـي يعيـش في عصرنـا)، ولسـت أدري إن كنـت قـد أصبـت الوصـف أم أن حبـي وشـوقي لذلـك الرجـل جعلنـي أبالـغ في المـدح. ولكنـي لا أزال مُصـرًا على الوصـف، فمـا قابلـت أحـدًا أعلـم مـن الشـيخ أو أشـجع منـه. لقـد كان -رحمـه الله- محبًـا لإخوانـه متفانيًـا في قضـاء حوائجهم حريصًا عليهم أشد الحرص.

كان -رحمـه الله- ذا سـمت خـاص مميـز، صاحـب هـدوء كبيـر وطـول نفـس، دقيقًـا ومنظمًـا في شـئونه، متزنًـا في قراراتـه، مـا خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما.

سـمعت الشـيخ جمـال منصـور ذات مـرة يقـول: (إن الشـيخ

يوسف هو أعلم أهل فلسطين) فاستغربت ذلك لوجود عدد من العلماء الذين يكبرون الشيخ بعقود، فأجابني الشيخ أبو بكر ألا أستغرب من ذلك، فليس أحد كأبي طارق حريصًا على العلم مجتهدًا ومتفانيًا في طلبه. وبالفعل فقد عُرض عليه أن يكون مُفتيًا لشمال الضفة الغربية إلا أنه رفض لتضارب ذلك مع عمله الدعوي.

عاش الشيخ الشهيد حياة المجاهد الداعية فقد كانت الدعوة كل شيء في حياته، لقد سمعته يقول: (لقد أديت لكم الولاء حيًا وميتًا)، فقد كان العمل لفلسطين كل همه، وأخذ عليه كل تفكيره فأخلص لذلك أيما إخلاص إلى أن قضى نحبه شهيدًا بإذن الله..

تميز الشيخ بتواضعه الكبير مع إخوانه وتفانيه في العمل على راحتهم، وإسعادهم.. متمثلًا قول ربنا سبحانه (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) فقد كان رحمه الله في المقابل أسدًا هصورًا في ميدان الجهاد والمقاومة.

امتاز الشيخ بين كل من عرفه بروحانيته ووقاره، فقد كان -رحمه الله- عابدًا ذاكرًا صوامًا قوامًا، فما تراه إلا ذاكرًا أو مشتغلًا بالعلم والعمل، كان -رحمه الله- سهلًا ممتنعًا جريئًا في الحق، حكيمًا إذا تحدث، لديه بساطة في التعامل تشعرك بقربك منه من أول لقاء، صاحب دعابة، يدخل السرور على إخوانه، لطالما قال لي عبارة مشهورة على لسانه حين كنت أتهرب من بعض جلسات علمه (تعال اتعلم يا ولد تحفر قبري بدبوس).

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

عُـرف الشـيخ الشـهيد بمتابعتـه الدقيقـة لشـئون العمـل الـذي يقـع تحـت مسـئوليته بـأدق التفاصيـل، لقـد كان -رحمـه الله- وأثنـاء إمارتـه لمنطقـة نابلـس متابعًـا لـكل نواحـي العمـل، متابعًـا للعاملين ولشئونهم.

ورغـم كبـر المنطقـة إلا أن الشـيخ كان يتفقد المسـاجد مسـجدًا مسـجدًا، ويتابـع شـئون الأسـر الدعويـة وأفرادهـا، وأحيانًـا كثيـرة يراسـل الأفـراد بنفسـه ليتعـرف إلـى مشـاكلهم ويسـعى لإيجـاد الحلـول لهـا. بـل إن الشـيخ لطالمـا حـرص على متابعـة شـئون الإخوة الخاصة وحل مشاكلهم العائلية في كثير من الحالات.

حدثنـي الأخ الشـهيد فهيـم دوابشـة وقـد كان أميـرًا للكتلـة الإسـلامية في جامعـة النجـاح أنـه كان يفاجـأ عنـد لقائـه الشـيخ مـن حجـم متابعتـه لشـئون الجامعـة وتفاصيـل العمـل فيهـا لدرجـة أنـه قـال إن الشـيخ يفاجئنـا باطلاعـه على بعـض القضايـا التي لا نعلم بها عن طلاب الجامعة أنفسهم.

لقـد عـاش الشـيخ داعية مجاهـدًا صابـرًا محتسـبًا ورحل شـهيدًا مقبـلًا غيـر مدبـر... رحمـه الله وأسـكنه الفـردوس الأعلى مـن الجنة.

شهادة الأخ المجاهد رائد الحوتري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

الحديث عن العظماء أمثال الشيخ يوسف له وقع خاص، ذلك العالم المجاهد ثم الشهيد الذي ترك أثرًا طيبًا في كل من حوله بل في كل من التقى به وحدثه...

لقد رافقت الشيخ يوسف -رحمه الله- في سجن الجنيد -أحد سجون السلطة الفلسطينية- عام 1997م مع حوالي 45 مجاهدًا من قيادات حركة المقاومة الإسلامية - حماس من السياسيين والعسكريين.

ومن اللحظة الأولى ترى على الشيخ علامات الهيبة والوقار، ومع مرور الزمن تلمس فيه حسن الخلق وطيبة النفس والتعالي عن الصغائر.

لطالما كان يلقانا بابتسامته الجميلة التي تبهج القلب وتسر النفس، كان -رحمه الله- حليمًا صبورًا غير متسرع، عنده (طول بال عجيب) وكلامه عميق ومؤثر.

كنت برفقته في الغرفة نفسها في سجن الجنيد نتابع الأخبار والأحداث السياسية بصحبة الأخ المجاهد الشهيد جمال

منصـور والأخ المجاهـد عدنـان عصفـور. وكان -رحمـه الله- يحلـل الأحـداث بشـكل مختلـف عـن المألـوف وكنـت أتأثـر بكلامـه كثيـرًا، كمـا كان -رحمـه الله- صاحـب سـر لا يبـوح بشـيء منـه بـل تعـرف عنـه مـن غيـره، فـرض احترامـه على الجميـع حتـى على أعدائـه، صبـورًا في التحقيـق لدرجـة أن أحـد المحققيـن مكـث معـه أيامًـا وليالـي محـاولًا اسـتخلاص معلومـة واحـدة فلـم يسـتطع أن يأخـذ منه شيئًا حتى عن حالته الاجتماعية.

أمـا ذكرياتـي عـن كرمـه وجـوده فكثيـرة... أذكـر أنـه كان -رحمـه الله- في أيـام الزيـارة يشـتري مـن ماكينة المشـروبات على حسـابه الخـاص لـكل الـزوار ويقدمـه بنفسـه كمـا أنـه كان يعيـن صاحـب الحاجـة بمـا يسـتطيع. كمـا أنـه -رحمـه الله- كان عالمًـا يسـتغل وقتـه في الدراسـة وتعليـم إخوانـه، أذكـر أنـه كان يفسـر سـورة الكهـف وكنـا نجلـس لنسـتمع إليـه لمـدة سـبعة أشـهر ولـم ينتـهِ من تفسيرها.

شهيد الحق والإسـلام طوبى ... لروحك قد نجوت من العذاب
لئن لـف الـثرى جـسـدًا طهورًا ... فذكرك في القلوب بلا غياب
سـتـعـلـم زمـرة الـيـهـود أنـا ... نـزيـدُ تـوقـدًا رغـم المـصـاب
سـتـرفـع رايـة الإسـلام أيـدٍ ... مـوضـأةُ مـطـهـرة الـثـيـاب

شهادة الأخ المجاهد إياد وديع أبو زهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

ذكرياتي مع الشيخ الشهيد -رحمه الله- كثيرة، سأسجل هنا جانبًا مفيدًا منها أثناء وجودي معه في سجون السلطة -سجن الجنيد- أواخر التسعينيات من القرن الماضي، إذ كان الشيخ -رحمه الله- مبدعًا في كل شيء محبًا لإخوانه وفيًا للجميع، أذكر أنه قام في أحد الأيام بتذكير الإخوة بضرورة متابعة أهالي الشهداء ورفع معنوياتهم -رغم أنهم في الأسر- إلا أنه من واجبهم الوفاء لمن يستحق الوفاء. وقد بادر الشيخ بتشكيل لجنة برئاسته لتكريم أهالي شهداء عمليات (شهداء من أجل الأسرى) من كتائب الشهيد عز الدين القسام، وهم الشهيد البطل خليل الشريف ويوسف الشولي، ومعاوية جرارعة، وتوفيق ياسين، وبشار صوالحة. وكان من إبداعات اللجنة خلال 20 يومًا متواصلة أن صنعوا خمسة نماذج لقبة الصخرة، وقاموا بإهدائها إلى أهالي الشهداء باسم المعتقلين السياسيين في سجن الجنيد، علمًا أن هذه اللجنة ضمت أيضًا الشهيد الشيخ جمال منصور والشهيد عمر منصور وآخرين.

قام الشيخ بالدعاء على أحد السجانين الظالمين بعد أن

تمادى في التنكيل بالأسرى بحقد ومنهجية، فدعا عليه الشيخ بأن يتمنى الموت ولا يجده. وبعد عدة أيام أصاب ذلك الظالم مرض شديد مؤلم وغاب فترة عن السجن، وبعد فترة عاد ذلك السجان إلى الشيخ قائلًا: اعلم يا شيخ أنني أصبت بهذا المرض بسبب دعائك عليّ، وأنت الآن ترى حالي، فادع لي بالشفاء...! وفي أحد الأيام جاء أحد النشطاء من أحد التنظيمات الفلسطينية، وطلب من الشيخ أن يدعو له، فقال له الشيخ: ماذا تريد أن أدعو لك؟ فقال: ما تريد، فدعا له الشيخ بالشهادة في سبيل الله، وفعلًا استشهد ذلك الشاب عام 2002م.

أثناء إضرابنا عن الطعام في سجن الجنيد نقلت إلى المستشفى لسوء حالتي الصحية، فطلب مني الشيخ أن أشتري هدايا على حسابه الخاص وأوزعها على الأطفال داخل المستشفى، وكان ذلك الأمر شبه متاح في تلك الفترة.

كان -رحمه الله- شديد الالتزام بقرارات التنظيم، فقد أراد الشيخ في أحد الأيام أن يخرج لبعض شأنه -رغم أنه مطلوب- وكان مصرًا على الخروج، إلا أن الأخ صلاح دروزة -أبو النور- طلب منه عدم الخروج. وكان صلاح حينها هو المسئول عن أمنه الشخصي، فالتزم الشيخ رغم أن هذا الالتزام كان يخالف رغبته.

وأحبة عشت الحياة بظلهم ... إن الحياة بدونهم لا تذكرُ
لا زلت أذكرهم كأني بينهم ... وأذوق آلام الفراق وأصبرُ
إن كان جرح الجسم صعبٌ مؤ ... لمٌ، إن البعاد عن الأحبة أكبرُ
حكم الإله بأن يفرق جمعنا ... نرضى بما يقضي الإله ويأمرُ
فلربما جمع الإله شتاتنا ... في ظل جنات وروض أخضرُ

خاتمة

ثـارت الذكريـات، وتدفـق الحنيـن خـلال كتابـة هـذا الكتـاب سـطرًا بسـطر، وكلمـة بكلمـة، وبالرغـم مـن الجهـد المشـترك الـذي بذلـه عـدد مـن الإخـوة، إلا أن العمـل لـم يبلـغ ولـم يقـارب درجـة الكمـال. فسـيرة الشـيخ يوسـف عظيمـة، وفيهـا تفاصيـل كثيـرة، مثلـه مثـل كثيـر مـن المجاهديـن الأبـرار، وهـي إرث عظيـم لا يخـص عائلـة معينـة أو طائفـة أو جيـلًا، ولا ينحصـر تأثيـره في مـدة زمنية أو بقعة جغرافية..

فسـيرة هـؤلاء الرجـال هـي ملـك للأمـة على مـر الأجيـال، ومـن هنا تنبع أهمية توثيقها.

ولا ندعـي هنـا أننـا قـد أحطنـا بتفاصيـل مرحلـة مهمـة مـن مراحـل جهـاد هـذا الشـعب المعطاء، أو أننا سـجلنا سـيرة شـهدائها كاملـة، أو اسـتطعنا إظهـار خفاياهـا، فلـكل شـهيد مـن هـؤلاء الشـهداء حكايـة، ولـكل عمـل جهـادي قصـة. ومـن الضـرورة بمـكان أن تظهـر للعيـان، لذلـك نهيـب بأصحـاب العزائـم العمـل الـدءوب على توثيقها والبناء على ما سبق من الجهود التي بذلت.

وقـد قـدر الله عـز وجـل أن يرحـل أخـي الشـهيد بسـام -رحمـه الله- في هـذه السـجون قبـل إتمـام هـذه السـيرة العطـرة، وكان

قـد شـارك ثـم كتـب شـهادته قبـل رحيلـه لتكـون علامـة مشـرقة في هذه الصفحات.

سـائلين المولـى عـز وجـل أن يرحـم شـهداءنا وأن يجمعنـا بهـم في جنـات النعيـم، ونسـأله كذلـك أن يحفـظ بلادنـا ويحررهـا، إنـه سميع مجيب.

انتفاضة الأقصى

للشاعر/ أحمد التلفيتي

وتنتفض البلادُ لكلّ حزمٍ ... ونارُ الثأرِ صهيونُ اصطلاها
هنالك يوسفُ صبرُ البرايا ... بساحات القتال علا وباهى
يقودُ كتائب القسام ليثًا ... يردُّ على كرامتنا رِداها
جنود الله عصبتُه رجالٌ ... لهم سُوَرُ الفدا تتلو هُداها
هنا نابلسُ للحرب استعدت ... للأمات الوغَى يا نِعمَ جاها
ومحمودُ أبو هنودَ رُعْبُ ... وغيمُ الموت للأعدا غشاها
حلاوةُ أيمنُ بثياب ريحٍ ... لتصنيع الفخار قد ارتداها
مهنَّدُ طاهرُ باسمٍ مسمَّى ... يَحُسُّ رقابَ صهيونٍ عَلاها
ونَصْرُ عصيدةُ عصفٌ شديدُ ... وللمستوطنات فنًا غزاها
جرارِعةُ الشهيدُ له مقامٌ ... رفيعٌ في الكتائب لا يضاهَى
محّمدُ حنبليَّ الروحُ تسري ... لساحِ الحرب ما يومًا قَلاها
وأسرى خلف قضبانٍ شهودُ ... على أيّام فخرٍ في إباها
سليمُ حجيُ جنديٌّ حقٍّ ... دروب الشّوك للدنيا دواها
وأمجد سايحُ سيظلُّ بدرًا ... على نابلسَ تعشقه سماها
وبدرانُ الحسامُ أبى انغماسًا ... بغمد العيش لم يفتن حَلاها
هناك القدسُ صَلّتْ بابتهالٍ ... بتفجيراتهم أعلت نداها
وحيفا زغردت لشهيد ثأرٍ ... يفجّر نفسه يبغي رضاها
أبونا يوسفُ قلبُ جسورٌ ... ووجهُه كان للأعدا شقاها

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل خفقاتٌ رغمَ الرحـيل

ملحق

الوثائق والوصايا

الوصايا

وصيته لأمه وأبيه وإخوته وأخواته وزوجته وأولاده

قال الله الحي القيوم الذي لا يموت: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)آل عمران 158، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فإني تركت الدنيا الفانية وانتقلت إلى جوار ربي الكريم العفو الغفار في الدار الآخرة الباقية، وإني أسأله سبحانه بوجهه الكريم وأسمائه الحسنى كلها أن يكرم وفادتي عليه، وأن يتقبلني في عباده الصالحين.

كتبت هذه الوصية يوم الأحد 1999/12/26م، الموافق: 18 رمضان 1420هـ، ويومها كنت في سجن الجنيد المركزي في نابلس، ولا أدري ما الله فاعل، ومن سيموت أولًا...!!؟ فكلنا وديعة وأمانة لله سبحانه، يستردنا متى شاء وكيف شاء، ولا رادّ لأمره، وإني أسأله سبحانه وأدعوه وأرجوه ألا يذيقني حسرةً على أحد من الأحباب... آمين

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

أوجه الكلام أولًا إلى أمي وأبي وإخوتي وأخواتي...

أوصيكـم جميعًـا بتقـوى الله في السـر والعلـن، وأنهاكـم عـن معصيتـه ومخالفـة أمـره، والصبـر الصبـر أمـي الحبيبـة الغاليـة بعـد تقبيـل يديـك الطاهرتيـن، اصبـري وأكثـري مـن الاسـتغفار وقولـي: لا حـول ولا قـوة إلا بـالله وحسـبي الله ونعـم الوكيـل، وإن شـاء الله نلتقي في الجنان عند رب كريم.

أبـي العزيـز الحبيـب الغالـي، بعـد تقبيـل يديـك الطاهرتيـن، أوصيـك بمـا أوصيـت أمـي بـه وأطلـب منـك أنـت وأمـي أن تسـامحاني وتطلبـا لـي المغفـرة والرحمـة، وتكثـرا مـن الرضـى عليَّ، فلطالما أخطأت في حقكما...

إخوتـي الثلاثـة، عبـد المجيـد ومحمـد وخضـر، أطلـب منكـم المسـامحة فلطالمـا كنـت سـببًا في إزعاجكـم وغلبتكـم... أوصيكـم ألا تدخلـوا على جيوبكـم إلا القـرش الحـلال، وأوصيكـم أن تعاملـوا زوجاتكـم بالحسـنى والاحتـرام وأخـلاق الإسـلام، وأوصـي أخـي خضر خاصة بأهلي لأنه أكثر أخ يستطيع أن يفهمني.

أخواتـي الخمـس فاطمـة، ومريـم، وكفايـة، ونـدى، ولبنى، أوصيكـن بالحجـاب والسـتر والحفـاظ على دينكـن... (واتقيـن الله) والصبـر والدعـاء لـي ومسـامحتي على التقصيـر، وأطلـب منكـم جميعًـا (أمـي، وأبـي، وإخوتـي، وأخواتـي) وكل أقاربـي... أوصيكـم بزوجتـي وأبنائـي خيـرًا، أذكركـم أنـي تركـت زوجـةً وأطفـالًا بحاجـة إلـى رعايـة ماليـة ومعنويـة، فـلا تقصـروا في واجبكـم، هـم جميعًا بحاجـة إلـى لمسـة حنـان، وهديـة بسـيطة... تعوضونهـم بهـا ولـو شـيئًا يسـيرًا عـن أبيهـم. أعينـوا أُمهـم في تربيتهـم... عاملوهـم

كما تعاملون أبناءكم... (اللهم حَنّن قلب أمي وأبي وإخوتي وأخواتي على زوجتي وأبنائي...) حتى لو أخطأوا في حقكم تحملوا أخطاءهم فهم أمانة عندكم...

أوصيك يا أمي أن توجهي إخوتي وأخواتي وتحثيهم على الاهتمام والرعاية بزوجتي وأبنائي، فإني تركت زوجة مريضة أثقلتها أعباء الدنيا ومتاعبها، فأنت يا أمي القادرة على تجميع شمل العائلة إن أردت... في الطعام والشراب واللباس والعيد والعلاج والتربية والترفيه عنهم (مشوار) وتعليمهم الأدب والدين.

أوصي أهلي وأقاربي جميعًا ألا يرفعوا صوتًا بالصياح والصراخ عليَّ وألا يَشُقُّوا ملابسهم فذلك من فعل النساء الجاهلات، لا أسمح لكم بأكثر من البكاء دون رفع الصوت.

أما بالنسبة لزوجتي الحبيبة الغالية (أم طارق) وأولادي طارق ومعاذ وشهد وصفاء، فإني ما أخرت الكلام عنكم إلا لحبي لكم، أسال الله أن يحفظكم من كل سوء فإني راضٍ عنكم جميعًا، رضي الله عنكم، وأرجو الله ربي سبحانه أن يجمعني بكم في جنات النعيم كما قال جل وعلا وهو الذي لا يخلف وعده: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)، أرجو الله كذلك لزوجتي أعلى الدرجات في الجنات لتكون سيدةَ الحور العين إن شاء الله بما صبرت معي على مُر الحياة وحلوها، فجزاك الله خيرًا يا أم طارق وأطلب منك المسامحة على تقصيري بحقك، فإني أعلم أني كنت أتحامل

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

عليـك كثيـرًا وربمـا ظلمتـك في بعـض الأحيـان، فهمـوم الدنيـا كثيرةٌ ومشاكلها كبيرة كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أمـا أولادي طـارق ومعـاذ وشـهد وصفـاء، فإنـي أوصيـك يـا أم طـارق بهـم خيـرًا، حافظـي على تربيتهـم التربيـة الإسـلامية الصحيحـة في كل الأمـور، اغرسـوا حـب المسـاجد في قلوبهـم منذ الصغـر، ألحقوهـم بـدورات تحفيـظ القـرآن، ليكونـوا حفظـة للقـرآن الكريم ودعاة للإسلام.

أوصـي ولـي أمرهـم مـن بعـدي أن يزوجهـم وهـم صغـار إن أمكن ذلـك وكان مناسـبًا، وكذلـك فإنـي أوصيكـم يـا أولادي أن تبحثـوا عـن دعـاة الإسـلام أبنـاء الحركـة الإسـلامية (أقصـد الإخـوان المسـلمين وحمـاس) وتلتزمـوا معهـم طاعـةً لله أولًا ثـم وفـاءً لصحبة أبيكم ثانيًا.

أولادي الأعـزاء... طـارق، ومعـاذ، وشـهد، وصفـاء مَـدّ الله في أعماركـم وجعلكـم هـداة مهدييـن، أطيعـوا أمكـم واحفظـوا مودتها وبرهـا، وتعاملـوا مـع بعضكـم بالحسـنى والرفـق واليـن، وكونـوا لبعـض أحبابًـا وأعوانًـا، وأخـص الأبنـاء طـارق ومعـاذ أن حافظـوا على أخواتكـم (شـهد وصفـاء) فهـم أرحامكـم (أعطوهـم مـا في جيوبكـم). حافظـوا على الصـلاة والصيـام وتـلاوة القـرآن، والصـلاة جماعـة في المسـجد، واحرصـوا أن تلحقـوا بركـب الشـهداء، فلطالمـا تمنيـت ودعـوت الله أن يرزقنـي الشـهادة في سـبيله في مواجهـة أعـداء الإسـلام في كل مـكان، وأحمـده سـبحانه أن شـرفني بحمـل الدعـوة سـنين عـددًا... وإنـي أوصـي المسـلمين من بعـدي وأخـص إخوانـي وأخواتـي وأقاربـي وجيرانـي وأصدقائـي أن

يلحقوا بركب الدعوة الإسلامية التي أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله.

أخبركم (كل من يقرأ هذه الوصية) أن المحل (السوبر ماركت) الذي في رفيديا- مقابل مستشفى رفيديا - هو شراكة بين زوجتي أم طارق (ميسر محمد حامد جابر) وبين الأخ الفاضل نزيه الطويل وأنا ليس لي فيه نصيب، وقد كتبت هذا في كتاب رسمي بتنازل رسمي يحمل توقيعي، والتنازل موجود عند الشريك (نزيه الطويل)

فأنا ليس لي من أمر المحل التجاري شيء (ماديًا أو معنويًا أو خلوًا أو غير ذلك) سوى أنني كنت منذ تاريخ التنازل وذلك في عام 1998م اعتبر نفسي وكيلًا لزوجتي في متابعة الأمور مع شريكها، والله خير شاهد، وذلك مقابل ما أعطتني إياه من مصاغ ذهبها، وراتبها الشهري وغير ذلك، وقد واستني بمالها جزاها الله خيرًا.

أما بالنسبة للديون التي عليَّ... فإني أسأل الله سبحانه أن يعينني على سدادها - فإني سأرفق ملحقًا يبين قيمة الديون التي عليَّ وأصحابها. ثم إني أطلب من ورثتي أن يحاولوا جاهدين سداد ديوني ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، ومن جاءكم وقدم لكم إثباتًا رسميًا أن له عندي حقًا فصدقوه وأعطوه إياه إن كان بالإمكان.

فإن الله يسامح بكل شيء إلا بالديون (حقوق العباد)، إلا إذا سامحني بها عن طيب نفس فله مني الشكر الجزيل والثواب من الله سبحانه..

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

ثم إني أوصيكم بما يلي:

- ألا تبنـوا لـي قبـرًا ظاهـرًا (كحـدٍ أعلى، شـبر عـن وجـه الأرض) هذا هو المسموح به شرعًا (مدماك).

- لا تعملـوا لـي مـا يُسـمى بـ (الأربعيـن)، فقـط ثلاثـة أيـام عـزاء لا غير..

- أوصـي بسـداد ديونـي أولًا ثـم إن زاد مـال عـن الديـون فإنـي أوصـي (بعشـر) تركتـي أن تصـرف لصالـح الحركـة الإسـلامية، (وأخص بالذكر سبيل الجهاد المباشر) (من الأموال المنقولة).

- أوصيكـم بعـد دفنـي مباشـرة أن تكثـروا مـن الدعـاء لـي وقـراءة القـرآن، وأن تسـألوا الله لـي الثبـات والتثبيـت، فـإن الملائكـة تنـزل عليَّ بعد الدفن مباشرة.

- إذا مـت في المدينـة المنـورة أو مكـة أو القـدس، فادفنونـي فيها لأنها أشرف البلاد، ولا تنقلوني إلى غيرها.

- إذا مـت خـارج فلسـطين فـلا داعـي ولا أحـب (مـع أنـي لا أمنـع) أن تنقلونـي مـن البلـد الـذي أمـوت فيـه، أقصـد أن كل البـلاد عنـد الله سواء، ولا داعي لغلبة الجسور والتشريح والنقل والمواصلات.

- بالنسـبة للكتـب والمؤلفـات التـي عنـدي (الثـروة العلميـة) أوصي أبنائـي بالاهتمـام بهـا قـراءةً ودراسـةً وفهمًـا، وعمـلًا بمـا فيهـا، وكذلك أوصيهم بالاهتمام بالعلم الشرعي.

- في اليـوم الثالـث لوفاتـي أوصـي أن تعملـوا اجتماعًـا عامًـا في أحـد مسـاجد المدينـة (نابلـس) وتقـرؤوا القـرآن، وتهبـوا لـي ثـواب مـا تقـرؤون، وأرجـو أن تخبـروا بذلـك أصحابـي وإخوانـي، ليكثـر

الحضـور (كل ذلـك إن أمكـن ولـم يكـن فيـه إحـراج ومشـقة على النـاس)، إلا إن رأت قيـادة الحركـة غيـر ذلـك فـلا تفعلـوا فإنـي أعلنت الطاعة لهم حيًا وميتًا.

أولادي الأحبـة (طـارق ومعـاذ وشـهد وصفـاء) أوصيكـم خيـرًا بجدكم وجدتكم، وأعمامكم وعماتكم وأخوالكم وخالاتكم.

زوجتـي الحبيبـة... لا بـأس عليـك إن أثقلـت عليـك فإنـي أوصيك بأمي وأبي خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته،

أسـأل الله المغفـرة والرحمـة لـي ولكـم وللمسـلمين جميعًـا.. آمين.

الفقير إلى رحمة ربه
يوسف خالد السركجي
18/ رمضان/ 1420هـ الموافق 1999/12/26م
نابلس، سجن الجنيد

رسالة من يوسف السركجي إلى أهله
وهو مبعد إلى جنوب لبنان (مرج الزهور)

بسـم الله الرحمـن الرحيـم والصـلاة والسـلام على رسـول الله وآله وصبحه أجمعين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

مـن جنـوب لبنـان، مـن أرض الشـام، قريبًـا مـن أرض فلسـطين، أكتـب لكـم رسـالتي هـذه ممزوجـة بالشـوق والحنيـن لـكل الأهـل والأقـارب والأصدقـاء والجيـران، وأخـص بالذكـر الزوجـة الغاليـة والأولاد الاحبـة، أخبركـم أننـي أرسـلت لكـم قبـل هـذه الرسـالة خمـس رسـائل عاديـة واثنتيـن عـن طريـق الفاكـس وخمـس عشـرة صـورة شـخصية تقريبًـا... أنـا جـد مشـتاق لكـم جميعًـا، أطلـب منكـم أن تراسـلوني بعـدة طـرق، إمـا عـن طريـق الفاكـس برقـم (003579512934) أو (0012124781640) واكتبـي عليهـا تصـل ليـد المبعـد يوسـف السـركجي - مـرج الزهـور، أو عـن طريـق البريـد الدولـي، (يمكنـك أن تعرفيـه) أمـا عنوانـي في لبنـان فهـو (لبنـان - بيـروت -ص.ب68/-25 الغبيري-ليـد السـيد نـزار- ومنـه ليـد المبعد يوسف السركجي - مرج الزهور.

للعلـم سـأتصل بكـم هاتفيًـا بعـد أيـام إن شـاء الله وسـأحاول أن أتصـل بعـد العصـر إن شـاء الله، يـا زوجتـي الحبيبـة أرجـو منـك أن ترسـلي لـي رسـائل عـن طريـق الفاكـس مـع أنهـا مكلفـة مـن ناحية مالية، فلا تتأخري بسبب غلاء السعر.

يمكـن أن يسـاعدك الأخ حسـان أو غيـره في هـذه المهمـة إذا صعـب عليـك شـيء، لا تنسـي أن تكتبـي بقلـم لونـه أسـود، وترسـلي الرسـالة مـن أي مكتـب اتصالات في البلـد، أخبرينـي عـن أحوالـك ووظيفتـك والأولاد والجميـع، أكـرر طلبـي لأهلك أن يسـكنوا معـك خـلال فتـرة إبعـادي حتـى أعـود إن شـاء الله. وأكـرر طلبـي أن تطلبـي إجـازة سـنوية إن كنـت لا تسـتطيعين الجمـع بيـن الوظيفة وعمـل البيـت. سـلامي الحـار جـدًا لأمـي وأبـي وإخوتـي وأخواتـي وحماتـي وبناتهـا فاطمـة وعطـاف وجدتـي وخالتـي وجيرانـي والمصليـن في المسـجد ولجميـع أقاربـي وكل مـن سـأل عنـي. أنـا بخيـر والحمـد لله، لا تقلقـوا علـيَّ، أنـا والأحبـاب بصحـة جيـدة ولا ينقصنـا شـيء، أطلـب منكـم أن ترسـلوا لـي رسـالة صوتيـة عـن طريـق إذاعـة القـدس (اسـألوا بتعرفـوا) أخبرينـي يـا أمـي عـن أخي خضر فإني مشتاق له جدًا، الله يرضى عليك يا خضر.

مـن قـلـب يـعـصـف بـالـنـارِ ... وشـجـون تـلـهـب أوطـارِ
بـتـحـيـة شـوق أرسـلـهـا ... وسـلام يـحـمـل أخـبـاري
وحـنـيـن لـلـوطـن الـغـالـي ... لـلأهـل وسـكـان الـدارِ
لـلأم أقـبـل كـفـيـهـا ... لـلـوالـد والأم وجـاري
لـلـزوجـة أعـشـق بسمتها ... كـالـورد كـريـح الأزهـارِ
لـلـطـفـلـة تـحـمـل دميـتـهـا ... وتـغـنـي مـثـل الأطـيـارِ
سـيـفـرج ربـي كـربـتـنـا ... ويـحـطـم عـرش الـكـفـارِ

تصل ليد زوجة المبعد يوسف خالد السركجي - نابلس

فاكس: 377901 - 375820
يوسف السركجي 12 /1993/03

فكفكات رغم الرحيل فكفكات رغم الرحيل فكفكات رغم الرحيل فكفكات رغم الرحيل فكفكات رغم الرحيل

وصيته لزوجته

بسـم الله الرحمـن الرحيـم والصـلاة والسـلام على رسـول الله وآله وصحبه أجمعين،

زوجتـي الحبيبـة الغاليـة، أم طـارق - (ميسـر محمـد حامـد جابـر)... سـلام الله عليـك ورحمـة الله وبركاتـه ومغفرتـه وصلواتـه دائمة تامة إلى يوم نلتقي في جنات النعيم...

حبيبتـي الغاليـة، زوجتـي الكريمـة الفاضلـة، لقـد سـعدت بفضـل الله سـبحانه أن جمعنـي بـك هـذه السـنوات التـي مضـت... تجمعنـا في بيـت الزوجيـة الصالـح الفاضـل، نحلـم ونأمل أن نُنشـئ أسـرة مسـلمة لنعيـش جميعًـا في حـب وأمـان وسـلامة وهـدوء ومـودة... وقـد كان، وعشـنا أيامًـا حلـوةً وأخـرى مـرة... وإن كانـت المرة أكثر من الحلوة... فالحمد لله على كل حال...

صحيـح أننـي أتعبتـك معـي منـذ لحظـات الـزواج الأولـى... وأنـا في عصيـرة القبليـة، وكنـت أنـت يومهـا مدرسـة في العدويـة في طولكرم، وبيتنا في نابلس، كنت أتمثل قول الشاعر:

بالشـام أهلـي وبغـداد الهـوى وأنـا
بالرقمتيـن وبالفسـطاط جيرانـي

ثـم بعدهـا جـاء السـجن، (الفارعـة، نابلـس، مجـدو، بتاح تكفـا...)

كل ذلك وأنت تلاحقينني علك تستطيعين رؤية زوجك أثناء زيارة لمدة دقائق معدودة، ثم الإبعاد إلى مرج الزهور وما كان في تلك السنة من متاعب أثناء الحمل وتربية الأولاد، ثم الفترات المرضية ودخول المستشفيات لإجراء عدة عمليات جراحية ومرافقتك لي دون انقطاع... ثم في سجون السلطة الفلسطينية الظالمة (الله بيني وبينهم) الجنيد، ونابلس، وأريحا، عند المخابرات والأمن الوقائي، وزياراتك لي في أريحا رغم صعوبتها... كل ذلك أذكره لك وأكثر... ثم بعدها كبر الأولاد... وأصبحت دائمة الشكوى من طارق ومعاذ ثم من شهد وصفاء... قال كذا وفعل كذا ولا يريد أن يفعل كذا... وهذه مشكلة أكبر... رغم كل هذا الذي ذكرته وهو نقطة في بحر هذه الحياة دون مبالغة... وأنت صابرة محتسبة لله سبحانه طاعة وإجلالًا وعلمي بك أنك راضية بما قضاه الله وقدره وكنت أذكرك دائمًا بالمفاهيم الإيمانية الكثيرة... أننا (مسلمون مؤمنون مجاهدون) تربينا في دعوة ونذرنا أنفسنا أن نعيش لخدمتها، لا يجوز للواحد منا أن يقيل أو يستقيل، ثم إن الابتلاءات كثيرة متنوعة فمن لم يصب بهذا الابتلاء أصيب بغيره، وربما كان أشد من الأول. ثم إنه كائن لا حيلة معه للبشر ولا لدهائهم وذكائهم وتدبيرهم... وبعد ذلك فإن الحياة قصيرة فانية لا تستحق هذا الاهتمام فكِلِي الأمر لله سبحانه وفوضي الأمر إليه فهو أولى منا بأنفسنا...

يا زوجتي الفاضلة المؤمنة المحتسبة الصابرة أم طارق..

هذا قلبي أهديه لك فهو أغلى ما أملك وأنت تستحقين

أكثـر مـن ذلـك. أريـدك أن تكونـي مثـال المـرأة الصابـرة المحتسـبة المؤمنـة بقضـاء الله سـبحانه، واعلمـي أن مـا يفعلـه الله سـبحانه هـو خيـر لنـا في عاجـل الأمـر وآجلـه، وإن كنـا لا نعـرف حكمتـه ولـم تتكشـف لنـا جوانـب حكمتـه. ولنـا في سـورة الكهـف في قصـة موسـى عليـه السـلام مـع الخضـر عليـه السـلام أكبـر عبـرة... فـلا تجزعـي... ركعـات في جـوف الليـل مـع دمعـات بيـن يـدي الله، مـع دعـاء للمولـى سـبحانه تحـل كل كربـة وتدفـع كل مصيبـة وأذىً... ويحقق لك مرادك...

يـا أيتهـا الصابـرة المؤمنـة الفاضلـة، لقـد واسـيتني بعلمـك وفضلـك ومالـك ولا أنكرهـا، فجـزاك الله خيـرًا.. ألا يكفيـك أن أذكـرك عنـد الله تعالـى، فإنـي إن شـاء الله سـبحانه لا أدخـل الجنـة إلا وأنـت معـي...، ألا يكفيـك أن يفارقـك زوجـك وهـو عنـك راضٍ! اللهـم إنـي أشـهدك وأشـهد حملـة عرشـك والإنـس والجـن وجميـع خلقك أنـي راضٍ عـن زوجتـي فـارضَ عنهـا وأكرمهـا ويسـر أمرهـا واقـضِ حوائجهـا واجعـل لهـا مـن كل هـمٍ فرجًـا، ومـن كل ضيـق مخرجًـا... ووسـع عليهـا في الـرزق الحـلال ولا تحوجهـا لأحـدٍ مـن خلقـك، واسـتر عليهـا في الدنيـا والآخـرة... وارزقهـا الشـهادة في سـبيلك واجعلها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. آمين.

حبيبتـي الغاليـة: آجالنـا محـدودة ولقاؤنـا في الجنـة... (إن شـاء الله) أمـا الأولاد الأربعـة (طـارق ومعـاذ وشـهد وصفـاء) فإنـي أدعـو الله سـبحانه وأرجـوه أن يشـرح صدورهـم لـكل خيـر ويجنبهـم كل شـر وسـوء وألـمٍ وفتنـة في الدنيـا والآخـرة... وأملـي أن يكونـوا خيـر خلف...

أوصيكم يا أحبابي بطاعة أمكم والتخفيف من مصابها.... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

زوجك المحب المخلص
يوسف السركجي -أبو طارق-
سجن الجنيد 2001/3/13

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

وصيته لأولاده

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أحبائي وفلذات كبدي طارق ومعاذ وشهد وصفاء..

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، أبعث لكم هذه الرسالة من الجنة -إن شاء الله- من عند الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين... جميعهم يهدونكم السلام ويدعون لكم بالخير والسعادة في الدارين، يا أحبابي يا مهجة قلبي، ماذا أقول لكم؟

أعرف أنكم فقدتم والدكم، وأنكم بحاجة إليه، وأعرف كم هي الحسرة في قلوبكم... ولكني أعلم كذلك أن قدر الله سبحانه وتعالى إذا وقع فلا رادّ لأمره... أحمد الله سبحانه أن قدر أن تكونوا أخوين وأختين؛ ليستأنس كل واحد بمثيله (طارق ومعاذ) (شهد وصفاء) ولم يترك واحدًا منكم فردًا..

يا أبنائي الأعزاء الأحباء... أنا بخير وعافية والحمد لله، (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)، لا أفتئتُ على الله ولكني أرجوه سبحانه... أطلب منكم أن تهتموا بأنفسكم، فالآن قد جاء دوركم، لا تحزنوا وتقولوا ليس لنا أب... فلكم الرب بدل

الأب، تركتكم لله سبحانه فلن يضيعكم، هو مولاكم وهو يتولاكم برعايته وعنايته.

أوصيكم بعدة وصايا:

أكثروا من الدعاء لي أن يتقبلني الله عنده شهيدًا مع النبيين والشهداء...

اصبروا ولا تجزعوا، يكفيكم القليل من البكاء فإن لم يكن فهو أفضل...

أكثروا من قول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) و(حسبنا الله ونعم الوكيل).

اقرءوا لي القرآن ووجهوه لي، خاصة في مساء يوم الخميس ومساء يوم الجمعة.

أوصيكم بدراستكم، اهتموا بدراستكم وعلاماتكم ونجاحكم، واحرصوا أن تحصلوا على أعلى الدرجات العليا في كل المواد...

أوصي طارق ومعاذ باعتباركما أنتما الأبناء الكبار والذكور (بمعنى الرجال).. أملي أن تكونا سندًا وعونًا لأمكما وأختيكما في كل أمور الحياة.

طارق ومعاذ... تناسيا خلافاتكما، أرجوكما ألا تعملا أية مشكلة، كل واحد يتنازل لأخيه.

أوصيكم جميعًا بالمحافظة على أمور دينكم، بمعنى أنني أريدكم ملتزمين بأحكام الشريعة كما يريد الله سبحانه من حيث العبادة والأخلاق والعقيدة والدعوة إلى الله والالتزام

بجماعـة المسـلمين... لا تنسـوا طهـارة الملابـس والبـدن ونظافـة الملابس والجسم... فإني أحب أن أراكم دائمًا بخير حال.

أمكـم مريضـة... ومُرهقـة... فأعينوهـا بـكل مـا تطلـب مهمـا كان، وتفقـدوا رغباتهـا قبـل أن تطلبهـا وأنفذوهـا... (رغباتهـا أوامر).

طـارق ومعـاذ... أوصيكمـا بشـهد وصفـاء خيـرًا، فهمـا أولـى درجـات الأرحـام لكمـا بعـد أمكمـا، وليـس لهمـا إلا أنتمـا، فكونـا بهما بارين، لا تغضبوهما فهن المؤنسات الغاليات الحبيبات.

أوصيكمـا بجدكـم وجدتكـم خيـرًا، براهمـا وأحسـنا إليهمـا، وأطيعاهما ولا تغضباهما.

شـهد وصفـاء أوصيكمـا بأمكمـا خيـرًا... وأوصيكمـا بأخويكمـا طارق ومعاذ خيرًا.

شـهد وصفـاء التزمـا بالحجـاب والسـتر والعبـادة بـكل أنواعهـا وأشكالها.

أوصيكـم جميعًـا (طـارق ومعـاذ وشـهد وصفـاء) بالالتـزام بصـف الحركـة الإسـلامية (حمـاس) فالالتـزام بالدعـوة واجـب شـرعي ثـم أوصـي طـارق ومعـاذ أن يكونـا على أُهبـة الاسـتعداد (على الأقـل مـن الناحيـة النفسـية) للجهـاد في سـبيل الله والشـهادة في سـبيله، واعملـوا قـدر الإمـكان على الاسـتعداد المـادي والجسـدي والمعنـوي للجهـاد في سـبيل الله، ولكـن احرصـوا... فرضـى أمكـم مقـدم وأولـى مـن الجهـاد المباشـر في مثـل هـذه الظـروف، فـإذا أمرتكم بغير ذلك فالتزموا أمرها.

أوصي شهد وصفاء: بضرورة التحصيل العلمي، على الأقل شهادة الثانوية العامة، وأفضل أن تكملا دراستكما الجامعية إن كان هذا ممكنًا، حتى لو حصلت خطبة لإحداكما فأوصيكما ألا تتزوجا قبل إتمام الثانوية العامة بنجاح على الأقل ثم ليكون عمركما مناسبًا.

أما طارق ومعاذ: فإني أرجو لهما دوام التقدم والتوفيق في الدراسة، ولكن إن لم تكن الدراسة فلا أقل من تحصيل الثانوية العامة بنجاح، ثم إني أفضل لهما ميادين الحياة العامة والأشغال الحرة. ويمكنكما سؤال أقاربكما وجيرانكما وأصدقاء والدكما، فستجدان عندهم النصح إن شاء الله، ويرشدونكم أي الأعمال أفضل، فلا تيأسا إن لم يحالفكما النجاح في الدراسة، فليست الدراسة والشهادة هي كل شيء، مع أنني أتمنى أن تكونا من حملة الشهادات العلمية العليا... فلا يعرف قيمة العلم إلا أصحابه أو من فقده... وكم أتمنى أن أرى طارق وهو يتكلم الإنجليزية والفرنسية، وأن أرى معاذ من علماء الإلكترونيات والذرة.

وفي الختام سلامي لكم وأسأل الله أن يجمعني بكم في جنات النعيم.

والدكم المحب
يوسف السركجي «أبو طارق»
2001/08/12

وصيته لحركة حماس والقسام

هــذه وصيتــي لإخوانــي أبنــاء حركــة المقاومــة الإســلامية «حماس».

بدايــة أســأل الله تعالــى أن يتقبلنــي مــع الشــهداء والنبييــن والصديقين والصالحين،

إخوانــي الأحبــة الكــرام، ســلام الله عليكــم ورحمتــه وبركاتــه... وأنــا أكتــب هــذه الســطور أتذكــر أســماءكم وتجــول في خاطــري صوركــم، ولــولا المحاذيــر الأمنيــة وأمــور أخــرى لذكــرت الأســماء. فهــذه رســالتي لــكل واحــد منكــم بشــكل خــاص ممــن أعــرف، ولإخواني عامة ولمن لا أعرف...

أحبائــي، إخوانــي، كتــب الله ســبحانه المــوت على المخلوقــات لا محالة، ولكن عزاؤنا أن موتتنا في سبيل الله (نسأل الله ذلك).

أكثــروا مــن الدعــاء لــي وطلــب المغفــرة والرحمــة... وأنــا أكتــب هــذه الكلمــات (ولا أدري كــم ســأعيش بعدهــا) أتذكــر أننــي أخطــأت بحــق كثيــر منكــم وقصــرت، ولربمــا كان لبعضكــم علــيَّ حــق مالــي فخــذوه مــن أهلــي... أو فســامحوني ولكــم الشــكر والثــواب. وقــد يكــون لبعضكــم علــيَّ حــق معنــوي، فإنــي أطلــب منكم المســامحة فلربمــا أخطــأت بحــق البعــض خاصــة أثنــاء فتــرة مزاولــة العمــل

الدعوي في مواقع المسئولية المختلفة...

صحيح أن نيتنا كانت دائمًا لمصلحة الدعوة والحركة، ولكن أخشى أن يكون قد شابها شيء، وأرجو الله سبحانه أن يجمعنا بكم في جنات الخلد برحمة منه ورضوان، آمين.

اعلموا أن استشهادي (إن قدر الله ذلك) سيكون فاجعة لكثير منكم، وسيقول الكثير عني عبارات اللوم مثل: لماذا ذهب إلى ذلك المكان؟ ولماذا خرج من هذا المكان؟ ولماذا فعل كذا؟ وكيف يغفل الشيخ يوسف عن كذا وهو من البدهي! وغيره كثير... وجوابي أنني كنت حذرًا حريصًا ألا أفجع بي أهلي وأحبائي، وحريصًا ألا يشمت أعداؤنا بنا... وكل المفاهيم الأمنية التي تخطر ببالكم أعرفها، ولكن إذا وقع القدر عمي البصر، (والمقدر كائن) (والمقدور ليس منه مهرب) (رفعت الأقلام وجفت الصحف).

إخواني أبناء حماس الأبطال:

أوصيكم بتقوى الله في السر والعلن، أوصيكم بمواصلة الجهاد في سبيل الله، لا تخافوا الموت، فإنما هي موتة واحدة... فاحرص أن تكون في سبيل الله في لقاء العدو مقبلًا غير مدبر. ماذا تقولون لله وقد قال لكم في كتابه: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أم تراكم (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) و (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) يجب على كل واحد منكم أن يجاهد بكل ما يستطيع... فأصحاب الأموال... على عواتقهم واجبات كبيرة وسؤالهم صعب، ومن

خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك خففات رفع الرحيك

ليـس مـن أصحـاب الأمـوال، عنـده بيـت يـؤوي فيـه مطـاردًا، أو صاحـب سـيارة ينقـل بهـا أو متبـرع بجسـده شـهيدًا في سـبيل الله، أو متبـرع بوقتـه وجهـده رسـولًا يأتـي برسـالة ويذهـب بأخـرى، أو خطيبًـا واعظًـا يلهـب الحمـاس في النفـوس فيحييهـا بعـد موتهـا ويبعثهـا مـن رقادهـا... وأشـكال كثيـرة جـدًا للجهـاد المباشـر... وكذلـك أوجـه هـذا الـكلام إلـى كل أبنـاء الشـعب الفلسـطيني الشـرفاء، بـل لـكل حُـرّ أبـيٍّ شـهم شـجاع في العالـم كلـه... أن لا بـد لكـم أن تعملـوا على تخليـص فلسـطين مـن أيـدي الغاصبين اليهود.

أمـا إخوانـي أبنـاء كتائـب القسـام -الذيـن أحببتهـم مـن أعمـاق قلبـي- فلطالمـا بكيـت وأنـا أدعـو لهـم بالتوفيـق والنجـاح، وكـم كنـت في شـوق للقائهـم جميعًـا (لـولا الاعتبـارات الأمنيـة) أمـا هـؤلاء فإنـي أدعـو الله لهـم بالتوفيـق والسـداد والنصـرة على الأعداء، وأن يحفظهم من مكر أعدائهم، وأن يتقبل جهادهم.

لا تـحـزنـوا يـا إخـوتـي إنـي شـهـيـد المـحـنـةِ
آجـالـنـا مـحـدودةٌ ولـقـاؤنـا في الـجـنـة

هذا طريقي يا أخي.. فإذا صدقتَ محبتي فاحمل سلاحي

أمـا إخوانـي قيـادة حركـة حمـاس في نابلـس وفلسـطين كلهـا وخـارج فلسـطين، الذيـن أحببتهـم مـن كل قلبـي وتواصلـت معهـم عبـر الهاتـف، أو عبـر دعـاء في جـوف الليـل أن يحفظهـم الله ويوفقهـم لـكل خيـر ويصـرف عنهـم كل سـوء وفتنـة، ويبـارك لهـم في أوقاتهـم وأموالهـم... أعانكـم الله يـا إخوتـي على المهمـة الصعبـة التـي تحملونها...ليتنـي أعـود للحيـاة مرة أخرى لأسـاعدكم

في حمل أعباء الدعوة والجهاد... فإني والله لا أقيل ولا أستقيل.

إلى إخواني أبناء الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية بنابلس (أخوة وأخوات) أقول لهم: على أكتافكم كثير من المهمات... فأروا الله من أنفسكم خيرًا.

إلى إخواني في حماس: أوصيكم بالاهتمام بأولاد وزوجات وأهالي الشهداء والأسرى، من الناحية المعنوية قبل المادية، مثل الإشراف التربوي والتوجيه... وعمل البرامج اللازمة واستحداث مؤسسات لهذا الشأن، فأنتم تعلمون ما يتربص أعداؤنا بنا من ضياع الأولاد والأهل، ثم الدعم المالي ومواصلة التعليم... ولنا في حزب الله في لبنان أسوة حسنة.

إخواني الكرام: أوصيكم بالسمع والطاعة لقيادتكم في العسر واليسر وفي المنشط والمكره.

تجول في ذهني أفكار كثيرة لا أستطيع كتابة أكثرها.

وفي الختام سلامي إلى كل إخواني وأخواتي من أبناء القسام من ظهر أمره ومن هو متخفٍّ حتى الآن (الله أعلم بهم) وأخص بالذكر الأخوين (خالد ومؤيد) جزاهم الله خيرًا، وبارك الله فيهم. ولولا الاعتبار الأمني لكشفت عن حقيقة أسمائهم ولكن الله يعلمهم... أوصي إخواني من بعدي بالاهتمام بهم.. وإلى لقاء في جنات عدن إن شاء الله

8/ رمضان/1422ه الموافق 2001/11/23م
أخوكم/ يوسف خالد السركجي «أبو طارق»
2001/08/29م - 10/جمادى الآخرة/1422هـ

ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل ففقات رغم الرحيل

ملحق

قبسات من حياتهم

قبسات من حياة الشهداء

الشهيد إبراهيم عبد الكريم بني عودة

ولد عام 1965م، في دولة الكويت، وتلقى تعليمه حتى المرحلة الثانوية فيها، ثم توجّه إلى الأردن؛ لدراسة العلوم الشرعية، فتتلمذ على الدكتور عبد الله عزام، وأمضى سنتين في الخدمة العسكرية في الأردن، ثم سافر للجهاد في أفغانستان، ثم عاد لفلسطين ولبلدته طمون قضاء جنين، اعتقلته أجهزة السلطة عام 1998م، وتعرض للتعذيب خلال التحقيق، واستشهد بانفجار عبوة ناسفة زرعها أحد العملاء في سيارته.

الشهيد أمين حمدان فاضل "المنزلاوي"

ولد عام 1973م، في مخيم عسكر القديم للاجئين، وتعود أصوله لحيفا المحتلة، وانتمى لحركة حماس في الانتفاضة الأولى، واعتقل عام 1993م؛ لنشاطه في الانتفاضة، ثم التحق بكتائب القسام عام 2001م، وطورد منذ ذلك العام حتى استشهد برفقة مجاهدين آخرين خلال اشتباك مسلح في قرية زواتا قضاء نابلس بتاريخ 7 مايو/ أيار 2003م.

الشهيد إياد أحمد حمادنة

ولـد في مدينـة الزرقاء في الأردن عام 1979م، لعائلة فلسـطينية الأصـل مـن بلـدة عصيـرة الشـمالية، التحـق بحركـة حمـاس، ثـم التحـق بكتائـب القسـام عـام 2000م، وعمـل برفقـة القائـد أبـو هنـود، اعتقلتـه أجهـزة السـلطة وأخضعتـه للتحقيـق العسـكري تعـرض خلالـه لأشـد أنـواع التعذيـب، حتـى تـم نقلـه لقسـم الطـوارئ في مستشـفى رام الله وكان تحقيـق السـلطة يتمحـور حـول مـكان تواجـد أبـو هنـود، خـرج مـن السـجن، وأكمـل مشـواره الجهـادي حتـى استشـهاده في 22 نيسـان/ إبريـل 2002م، برفقـة القسامي طاهر جرارعة.

الشهيد أيمن عدنان حلاوة

ولـد في مدينـة نابلـس بتاريـخ 17 أكتوبـر/ تشـرين أول 1974م، التحـق بجامعـة بيـر زيـت لدراسـة الهندسـة الكهربائيـة، وانتمـى لكتائـب القسـام في منتصـف تسـعينيات القـرن العشـرين، اعتقـل عـام 1998م، بتهمـة مسـاعدة مجموعـة شـهداء مـن أجـل الأسـرى، وأطلـق سـراحه في يوليـو/ تمـوز 2000م، ويُعـد مـن أوائـل مـن انخـرط في العمـل العسـكري في انتفاضـة الأقصـى ومـن القيـادات الميدانيـة للكتائـب في شـمال الضفـة الغربيـة، وبـرع في صناعـة الأحزمـة الناسـفة والعبـوات المتفجرة، ولـه دور بتعليـم المجاهدين على التصنيـع، أطلـق عليـه الشـيخ أحمـد ياسـين المهنـدس الثالـث لكتائـب القسـام، اغتالـه الاحتـلال بتاريـخ 22 أكتوبـر 2001م، بتفخيخ سيارة كان يستقلها.

الشهيد بسام أمين السائح

مـن مواليـد مدينـة نابلـس بتاريـخ 1973/05/31، حاصـل على درجـة الماجسـتير في الصحافـة والإعـلام مـن جامعـة النجـاح، ومـن أبـرز قيـادات الكتلـة الإسـلامية فيهـا. اعتقـل عـدة مـرات في سـجون الاحتـلال الإسـرائيلي والسـلطة الفلسـطينية. يُعتبـر مـن أبـرز قيـادات كتائـب القسـام في الضفـة الغربيـة خـلال انتفاضـة القـدس، والمسـئول الأول عـن عمليـة تيمـار (بيـت فوريـك) 2015/10/1 التـي اعتقـل على أثرهـا رغـم مرضـه وحكـم عليـه بالمؤبـد ثـلاث مـرات. وقـد أبـدى صمـودًا كبيـرًا في التحقيـق رغـم تدهـور حالتـه الصحيـة ثـم قضـى شـهيدًا في سـجون الاحتـلال بسـبب الإهمـال الطبـي المتعمـد بتاريـخ 2019/9/8م. ولا يـزال جسده محتجزًا لدى الاحتلال حتى كتابة هذه السطور.

الشهيد بلال وليد الأقرع

ولـد في الامـارات العربيـة عـام1979 في عائلـة فلسـطينية ملتزمـة، والتحـق بعـد عودتـه مباشـرة بشـباب المسـاجد في قريتـه قبـلان. درس الهندسـة في بولكنـك فلسـطبن حتـى العـام2000 حيـث تعـرض للاعتقـال لـدى الاحتـلال لمـدة عـام وذلك لنشاطه البارز في الكتلة الاسلامية،

التحـق بعدهـا بالقسـام واستشـهد في اشـتباك مسـلح مـع قـوات العـدو، برفقـة المجاهديـن عنـان قـادوس ومأمـون فـرح، بالقـرب مـن قريـة تـل قـرب نابلـس بتاريـخ 23□7□2002م، وأسـفر الاشتباك عن وقوع إصابات في صفوف الاحتلال

الشهيد جاسر أسعد سمارة

ولـد في مدينـة نابلـس عـام 1974م، انتمـى لحركـة حمـاس بدايـة تأسيسـها، ثـم التحـق بصفـوف كتائـب القسـام عـام 1995م، تعلـم تصنيـع المتفجـرات على يـد المهنـدس الثانـي لكتائـب القسـام محيـي الديـن الشـريف، عمل عـام 1997م، بتصنيـع الحقائب المتفجـرة لخليـة شـهداء مـن أجـل الأسـرى، التـي نفـذت عمليـة محنيـة يهـودا وشـارع المدرخـوف في القـدس، وقتـل فيهمـا عشـرات الصهاينـة كما شـارك بتجهيـز عـدة عمليـات استشـهادية، اعتقـل بعـد العمليـة عـدة مـرات لـدى أجهـزة السـلطة، وعـاش مطـارداً لقـوات الاحتـلال، حتـى استشـهاده في 22 ينايـر/ كانـون ثانـي 2002م، برفقـة الشـيخ يوسـف السـركجي ورفيـق دربه نسـيم أبو الروس كريم مفارجة.

الشهيد جميل منير جاد الله

ولـد في قريـة الولجـة بمدينـة بيـت لحـم بتاريـخ 1976/12/03، كان يسـكن عريـش صغيـر في حـي نمـرة شـمال مدينـة الخليـل حولتـه صواريـخ الاحتـلال إلـى حطـام، اعتقـل عـدة مـرات لـدى السـلطة بتهمـة قتـل مسـتوطنين في أريحـا، ونجـح في الهـروب مـن سـجون السـلطة، وتعـرض للمطـاردة مـن قـوات الاحتـلال، إلـى أن استشهد بقصف نفذته طائرات الاحتلال في بلدته بالخليل.

الشهيد خليل إبراهيم الشريف

ولـد في مدينـة نابلـس بتاريـخ 25 نيسـان/ إبريـل 1973م، لأسـرة ملتزمـة، تلقـى تعليمـه في نابلـس، ثـم انتقـل لجامعـة بيـر زيـت ليـدرس الاقتصـاد، ويُعـد مـن قيـادات الشـبيبة حتـى اتفاق أوسـلو،

حيث ترك الشبيبة، وانضم للكتلة الإسلامية، نفذ عملية إطلاق نار برفقة صديقه أمجد الحناوي؛ رداً على استشهاد عياش، ثم انضم لكتائب القسام عام 1996م، وقاد الكتائب في نابلس وأسس برفقة معاذ بلال مجموعات شهداء من أجل الأسرى، استشهد في عملية استشهادية ثلاثية برفقة يوسف الشولي وبشار مصالحة في شارع مدرخوف في القدس بتاريخ 4 سبتمبر/ أيلول 1997م.

الشهيد سامي محمد زيدان

ولد عام 1980م، في بلدة تل قضاء نابلس تلقى تعليمه في تل، التحق بمجموعة نصر الدين عصيدة عام 1998م، نفذ العديد من المهام الجهادية أبرزها مشاركته في تنفيذ عملية عمونئيل الثانية عام 2002م، استشهد في الأول من يناير/ كانون ثاني 2003م.

الشهيد عاصم سميح عصيدة

ولد عام 1979م، في بلدة تل قضاء نابلس، عرف بالتزامه واخلاقه الرفيعة، نشط منذ صغره مع أشبال المساجد انتمى لكتائب القسام عام 1998م، وأصبح ضمن مجموعات القائد نصر عصيدة، استشهد في 17 يوليو/ تموز 2002م، أثناء مطاردته بعد تنفيذ عملية مستوطنة عمانوئيل الثانية حيث قتل فيها 9 مستوطنين.

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

الشهيد عاصم يوسف ريحان

ولـد عـام 1980م، في بلـدة تـل قضـاء نابلـس لأسـرة مجاهـدة قدمـت الشـهداء والأسـرى، التحـق بكتائـب القسـام عـام 1998م، استشـهد في 12 ديسـمبر/ كانـون أول 2001م، أثنـاء تنفيـذ العملية الاستشـهادية في مسـتوطنة عمانوئيـل حيـث اسـتطاع قتـل 10 صهاينة قبل استشهاده.

الشهيد علي موسى علان

ولـد بتاريـخ 1976/2/19، في بلـدة المالحـة في محافظة القدس، التحـق التحـق بصفـوف كتائـب القسـام، واعتقلـه الاحتـلال لمـدة أربـع سـنوات ونصـف. نجـا مـن محاولـة اغتيـال مطلـع انتفاضـة الأقصـى عندمـا قصفـت قـوات الاحتلال سـيارة كان يسـتقلها برفقة المهنـدس الثانـي لكتائـب القسـام أيمـن حـلاوة، يعتبـر القائد علي عـلان مهنـدس القسـام في جنـوب الضفـة المحتلـة، وشـارك في تجهيـز عمليـات استشـهادية أدت إلـى قتـل أكثـر مـن 50 صهيونيـاً وإصابـة المئات.استشـهد في الثامـن عشـر مـن مـارس 2003م باشـتباك مـع قـوة احتيـاط صهيونيـة مصادفـة جنـوب شـرق بيـت لحـم، إلا أنـه تمكـن مـن قتـل رقيـب صهيونـي وإصابـة آخـر بجـروح قبل استشهاده

الشهيد علي منصور الحضيري

ولـد في طـول كـرم عـام 1977م، ونشـأ في أسـرة ملتزمـة، وتعود أصولـه لمدينـة حيفـا المحتلـة، اعتقـل عـام 1995م، على انتمائـه ونشـاطه في حركـة حمـاس، وبعـد تحـرره التحـق بكليـة الهندسـة في جامعـة النجـاح، ثـم انتمـى لكتائـب القسـام بداية عـام 2001م،

وشارك بتجهيز الاستشهادي عماد الزبيدي، استشهد أثناء اشتباك مسلح في نابلس بتاريخ 2 آذار/ مارس 2002م.

الشهيد فهيم دوابشة

من مواليد قرية دوما شرقي نابلس عام 1971م، متزوج وله ولد وبنت مجد وإبراهيم، حصل على شهادة البكالوريوس فيالشريعة الإسلامية من جامعة النجاح، وأحد أبناء الكتلة الإسلامية فيها، وأحد أعضاء جهاز حماس الأمني «مجد» وقد أطلق هذا الاسم على مولودته الأولى، اعتقل عدة مرات بتهم عسكرية عند الاحتلال وأجهزة السلطة. استشهد بتاريخ 2001/07/30م في المجزرة الشهيرة التي اغتيل فيها القائدان جمال منصور وجمال سليم، حيث كان مديرًا لمكتب الحركة في نابلس.

الشهيد قيس عدوان أبو جبل

ولد عام 1977م، في جنين، وتعود أصوله لبلدة سيريس قضاء المدينة، التحق بجامعة النجاح الوطنية لدراسة الهندسة المعمارية، ونشط بالكتلة الإسلامية حتى أصبح أميرها، انتمى لكتائب القسام بداية انتفاضة الأقصى، وشارك بتجهيز العديد من العمليات الاستشهادية أشهرها عملية حبيشي في نهاريا، وكان له دور بتجنيد الاستشهادي عز الدين المصري منفذ عملية سبارو، وشارك بتصنيع أول صواريخ القسام في الضفة الغربية. استشهد برفقة خمسة مجاهدين من قادة العمل العسكري بعد محاصرة قوات الاحتلال للمنزل الذي كانوا داخله فيه في طوباس بتاريخ 5 نيسان/ إبريل 2002م.

الشهيد كريم نمر مفارجة

ولـد في بلـدة بيـت لقيـا قضـاء رام الله عـام 1979م، تلقـى تعليمـه في بلدتـه، ثـم التحـق بجامعـة النجـاح عـام 1997م، وكان مـن أبـرز وجـوه الكتلـة الإسـلامية، انتمـى لحركـة حمـاس في صبـاه ثـم التحـق بالقسـام عـام 1999م، على يـد المجاهـد أبـو هنـود، تعـرض للاعتقـال لـدى أجهـزة السـلطة، شـارك في تصنيـع الأحزمة الناسفة وتجهيز العمليات الاستشهادية.

استشـهد برفقـة الشـيخ يوسـف السـركجي وجاسـر سـمارو ونسـيم أبـو الـروس وهـم قيـادي الكتائـب في عمليـة اغتيـال في نابلس بتاريخ 22 يناير/ كانون ثاني 2002م.

الشهيد محمد عبد الرحيم الحنبلي

ولـد عـام 1975م، في نابلـس لأسـرة عريقـة ومعروفـة، التحـق بجامعـة النجـاح الوطنيـة ودرس الهندسـة الصناعيـة، والتحـق خـلال دراسـته بالكتلـة الإسـلامية حتـى أصبـح أحـد رموزهـا، ثـم انتمـى لكتائـب القسـام بدايـة انتفاضـة الأقصى على يد القسـامي مهنـد الطاهـر، وبـرز دوره بتصنيـع المتفجـرات حتـى أطلـق عليـه المهنـدس الخامـس لكتائـب القسـام، وشـارك بتجهيـز عـدة عمليـات استشـهادية أدت لمقتـل عـدد كبيـر مـن الصهاينـة، واستشـهد في 5 أيلـول/ سـبتمبر 2003م، خـلال اشـتباك مسـلح في نابلـس، اسـتطاع قتـل جنـدي وإصابـة عـدد آخـر مـن الجنـود قبـل استشـهاده، واحتجـزت قـوات الاحتـلال جثمانـه مـدة 11 عامـاً، ثم أفرجت عنه وخرجت الحشود لتشييعه.

الشهيد محمد عزيز الحاج علي

ولد في بلدة جماعين قضاء نابلس عام 1975م، وسافر للخارج مع ذويه ثم عاد لفلسطين عام 1993م، وعرف بأخلاقه وحبه لدعوته والتزامه الشديد، انضم لكتائب القسام عام 2001م، وجَنّد خلية بقيادته نفذت عملية إطلاق نار قتل خلالها ضابط صهيوني، واستشهد في عملية اغتيال بتاريخ 13 نيسان/ إبريل 2002م.

الشهيد محمود محمد الشولي (أبو هنود)

ولد في الأول من يوليو/ تموز1967م، في بلدة عصيرة الشمالية قضاء نابلس، تلقى تعليمه الأساسي في البلدة، ثم درس في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، أُصيب عام 1988م، خلال مشاركته في فعاليات الانتفاضة الأولى، وأبعد إلى مرج الزهور عام 1992م، وكان من أوائل من انضم لكتائب القسام عام 1992م، قاد كتائب القسام في نابلس بعد استشهاد خليل الشريف، وهو المسؤول عن تجهيز عمليات استشهادية في القدس عام 1997م، أدت لمقتل عشرات الصهاينة، طورد لقوات الاحتلال وخلال محاولة اعتقاله في عصيرة الشمالية قتل ثلاثة جنود، وأصيب بجروح ونقل للمستشفى؛ فاعتقلته أجهزة السلطة الفلسطينية من المستشفى، وحكم عليه بالسجن 15 عاماً، وقصفت قوات الاحتلال السجن المركزي في نابلس لاغتياله، استشهد في قصف طائرات الأباتشي بتاريخ 23 نوفمبر/ تشرين ثاني 2001م.

فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل فقفقات رغم الرحيل

الشهيد مهند حافظ الطاهر

ولـد عـام 1976م، في مدينـة نابلـس لأسـرة ملتزمـة، وتلقـى تعليمـه في المدينـة، ثـم أكمـل دراسـته في كليـة الشـريعة في جامعـة النجـاح، وأصبـح أحـد قيـادات الكتلـة الإسـلامية في الجامعـة، ثـم انتمـى لكتائـب القسـام عـام1997م، وشـارك في تجهيـز عمليـة محنـي يهـودا في القـدس، اعتقـل لـدى أجهـزة السـلطة عـام 1998م، بعـد كشـف مسـتودع للمـواد المتفجـرة في نابلـس، وتحـرر بدايـة عـام 2001م، وشـارك بإعـداد عشـرات الأحزمـة الناسـفة والعبـوات المتفجـرة، وأطلـق عليـه المهنـدس الرابـع لكتائـب القسـام، استشـهد خلال اشـتباك مسـلح بتاريـخ 30 يونيو/ حزيران 2002م.

الشهيد نسيم شفيق أبو الروس

ولـد عـام 1974م، في مدينـة نابلـس، انتمـى لحكـرة حمـاس بدايـة تأسيسـها، ثـم التحـق بصفـوف كتائـب القسـام عـام 1995م، تعلـم تصنيـع المتفجـرات على يـد محيـي الديـن الشـريف، عمـل عـام 1997م، بتصنيـع الحقائـب المتفجـرة التـي نُفذ فيهمـا عمليات محنيـة يهـودا وشـارع المدرخـوف في القـدس التـي قتـل فيهمـا عشـرات الصهاينـة كمـا وشـارك بتجهيز عـدة عمليات استشـهادية، اعتقـل عـدة مـرات لـدى أجهـزة السـلطة، طـورد لقـوات الاحتـلال حتـى استشـهاده في 22 ينايـر/ كانـون ثانـي 2002م، برفقـة الشـيخ يوسـف السـركجي وكريـم مفارجـة ورفيـق دربـه جاسـر سمارو.

الشهيد نشأت غالب جبارة

ولد عام 1977م، في قرية كفر اللبد قضاء طول كرم، تلقى تعليمه في بلدته وعرف عنه التزامه واخلاقه، وانتمى لحركة حماس، ثم التحق بالكتلة الإسلامية أثناء دراسته للشريعة الاسلامية في جامعة النجاح، انتمى لكتائب القسام بداية انتفاضة الأقصى، استشهد في اشتباك مسلح في 26 أيلول/ سبتمر 2002م، واستطاع قتل ضابط صهيوني خلال الاشتباك.

الشهيد نصر الدين مصطفى عصيدة

ولد في بلدة تل قضاء نابلس، قاد مجموعة لكتائب القسام عام 1998م، اعتقل لدى السلطة الفلسطينية بعد تنفيذ عملية يتسهار، وحُرر بداية انتفاضة الأقصى وكان قائد مجموعات تل التي أطلق عليها مجموعات الموت ويُعد أحد أبرز قيادات العمل العسكري لكتائب القسام في نابلس، وهو المسؤول عن عمليتي عمونوئيل، استشهد خلال اشتباك مسلح في 18 آذار/ مارس 2003م.

الشهيد هاني مصطفى رواجبة

ولد في بلدة عصيرة الشمالية قضاء نابلس في 3 يوليو/ تموز 1978م، لأسرة ملتزمة حيث تربى تربية إسلامية منذ صغره، تلقى مراحل تعليمه في عصيرة، وانتمى لحركة حماس، ثم التحق بصفوف القسام عام 1999م، على يد أبو هنود، شكّل رواجبه عدة مجموعات عسكرية، تم اعتقاله لدى أجهزة السلطة ونقله لسجن أريحا، استشهد بانفجار عبوة ناسفة أثناء تنفيذ مهمة جهادية في 10 أكتوبر/تشرين أول 2001م.

قبسات من حياة المجاهدين

الأخ المجاهد الشيخ أحمد الحاج علي أحمد

ولـد بقيسـارية عـام 1940م - خطيـب وداعيـة وسياسـي فلسـطيني، ونائـب عـن حركـة المقاومـة الإسـلامية (حمـاس) في المجلـس التشـريعي الفلسـطيني عـن محافظـة نابلـس. تعـرض للاعتقـال مـن قبـل قـوات الاحتـلال الإسـرائيلي سـبع عشـرة مـرة، وكان من مبعدي مرج الزهور.

الأخ المجاهد الشيخ د. أحمد نوفل

أكاديمـي أردنـي مـن مواليـد يافـا في فلسـطين، أسـتاذ مشـارك بكليـة الشـريعة في الجامعـة الأردنيـة في عمّـان، متخصـص بالتفسـير وأصـول الديـن، ولـه عـدد مـن البرامـج التلفزيونيـة والإذاعيـة الدينيـة، عمل في شـبابه في مقاومة العـدو الصهيوني، وتشـغل فلسـطين الجانـب الأكبـر مـن وجـدان الشـيخ ويظهـر ذلـك جليـاً في تفسـيراته؛ فقـد ولـد الشـيخ في فلسـطين وهُجِّـر منهـا صغيراً.

الأخ المجاهد أحمد عبد الرحمن التلفيتي

مـن مواليـد مدينـة نابلـس عـام 1978م، حاصـل على درجـة البكالوريـوس في هندسـة الاتصـالات مـن جامعـة صنعـاء باليمـن.

اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال والسلطة الفلسطينية، وله مجموعة من الأعمال الأدبية تحت الإعداد منها: ألفية حماس الشعرية، ورواية «طيبة أمي»، وغيرها.

الأخ المجاهد إياد وديع أبو زهرة

ولد عام 1975م، في نابلس، وتلقى تعليمه فيها، اعتقل عدة مرات لنشاطه بكتائب القسام، اعتقل عام 2015م، بتهمة تنفيذ عملية إطلاق نار مع خلية ايتمار، وحكم بالسجن المؤبد، وما زال في الأسر حتى كتابة هذا الكتاب.

الأخ المجاهد الشيخ جمال عبد السلام أبو الهيجا

ولد في مخيم جنين للاجئين في العام 1958م، وتعود أصوله لبلدة عين حوض قضاء حيفا المحتلة، ودرس دبلوم اللغة في دار المعلمين في رام الله، وسافر إلى اليمن وعمل مدرساً لمدة عامين، ثم انتقل للسعودية لعشر سنوات، وعاد لفلسطين بداية تسعينات القرن العشرين، وانتمى للإخوان المسلمين، ثم التحق بحركة حماس فور عودته، اعتقل عدة مرات لدى الاحتلال والسلطة الفلسطينية، وهو من قادة حركة حماس في جنين وشمال الضفة الغربية، وله تأثير كبير في صفوف الشباب، وقطعت يده أثناء تصديه لأحد اجتياحات مخيم جنين عام 2001م، وشارك بالتصدي لاجتياح مخيم جنين عام 2002م، اعتقل في 26 آب/ أغسطس 2002م، ووجهت له تهمة المشاركة بالتجهيز لعميلة صفد التي قتل فيها 9 صهاينة، وقيادة العمل العسكري في جنين وحكم عليه بالسجن المؤبد تسع مرات وما زال في الأسر حتى كتابة هذا الكتاب.

خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل خففات رفح الرحيل

الأخ المجاهد الأستاذ حسام عاطف بدران

ولـد في 11 ينايـر/ كانـون ثانـي 1966م، في مخيم عسـكر القديم للاجئيـن قـرب نابلـس، وتعـود أصولـه لمدينـة اللـد المحتلـة، وانتمـى للإخـوان منـذ عـام 1982م ثـم التحـق بجامعـة النجـاح لدراسـة التاريـخ، وكان مـن قـادة الكتلـة الإسـلامية، وعضـو قيـادة حركـة حمـاس في نابلـس، وقـد اعتقـل خمس مـرات لـدى الاحتلال آخرهـا عـام 2002م، بعـد فشـل محاولـة اغتيالـه، ووجهـت لـه تهمـة قيـادة كتائـب القسـام، وحُكـم بالسـجن 18 عامـاً، وكان مـن قـادة الحركـة الأسـيرة، وعمـل عضـواً في الهيئـة القياديـة العليـا في السـجون، حتـى حُـرر في صفقـة وفـاء الأحـرار عـام 2011م، وأُبعـد إلـى سـوريا، وانتقـل منهـا إلـى قطـر، عمـل ناطقـاً للحركـة لعـدة سـنوات، ثـم انتُخـب عضـو مكتـب سياسـي لحركـة حمـاس، وتولى رئاسة مكتب العلاقات الخارجية فيها.

الأخ المجاهد رأفت جميل ناصيف

ولـد عـام 1966م، في طولكـرم، حصـل على شـهادة البكالوريوس في التربيـة الإسـلامية مـن جامعـة القـدس، التحـق بحركـة المقاومـة الإسـلامية حمـاس منـذ تأسيسـها، ويُعـد مـن أبـرز قياداتهـا في الضفـة الغربيـة، اعتقـل عشـرات المـرات في سـجون الاحتلال الصهيوني.

الأخ المجاهد رائد أحمد الحوتري

ولـد عـام 1972م، في قلقيلـة، وتلقـى تعليمـه المدينـة، وأكمـل فيهـا المعهـد الشـرعي، والتحـق بحركـة حمـاس منـذ تأسيسـها، وتعـرض للاعتقـال أكثـر مـن في الانتفاضـة الأولـى، وكان مـن أوائـل

المنخرطين في العمل العسكري بداية انتفاضة الأقصى عام 2000م، اعتقل في آذار/ مارس 2003م،

حكم عليه بالسجن 23 مؤبداً بتهمة المشاركة في عملية سعيد الحوتري، وما زال في الأسر حتى كتابة هذا الكتاب.

الأخ المجاهد سليم محمد حجة

من سكان قرية برقة – قضاء نابلس. درس في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية. واعتقل لدى الاحتلال عام 2002م مع مجموعة من إخوانه بعد محاصرة سجن بيتونيا التابع لأجهزة أمن السلطة الفلسطينية برام الله. حكم عليه الاحتلال بـ (16) مؤبدًا بتهمة قيادته خلية لكتائب القسام ومسئوليته عن عملية حيفا الاستشهادية والتي جاءت ردًّا على اغتيال القائد محمود أبو الهنود.

الأخ المجاهد عثمان سعيد بلال

ولد في نابلس عام 1970م، نشأ في بيئة محافظة فوالده الشيخ سعيد بلال من مؤسسي الحركة الإسلامية في شمال الضفة الغربية، تلقى عثمان تعليمه في نابلس، انتمى لحركة حماس بعد تأسيسها، يعد من أوائل مجموعات كتائب القسام، عمل برفقة عبد الناصر عيسى، شارك بتجهيز العمليات الاستشهادية في رمات أفعال ورمات غان، التي نتج عنها عشرات القتلى والجرحى، اعتقل بتاريخ 20 آب/ أغسطس 1995م، وحكم عليه بالسجن 27 مؤبداً، وما زال في سجون الاحتلال 2020م.

الأخ المجاهد عمار الزبن

مـن مواليـد نابلـس عـام 1975م. محكـوم بالمؤبـد وأمضـى في سـجون الاحتـلال أكثـر مـن 25 سـنة، ويعتبـر مـن قـادة كتائـب القسـام، حاصـل على شـهادات جامعيـة في العلـوم السياسـية وله عدة روايات منشورة.

الأخ المجاهد الشيخ فتحي قرعاوي

مـن مواليـد قريـة رامـين في محافظـة طولكـرم في الثانـي والعشـرين مـن نيسـان/ إبريـل عـام 1958، لأسـرة لاجئـة تعـود أصولهـا إلـى قريـة صبارين المهجَّـرة قضـاء حيفـا، نشـأ في أسـرة متدينـة، وانتمـى للحركـة الإسـلامية في أواخـر سـبعينات القـرن الماضـي، أمضـى في سـجون الاحتـلال حوالـي 9 سـنوات، وأبعـده إلـى مـرج الزهـور في جنـوب لبنـان أواخـر 1992م، واعتقـل لـدى أجهزة السلطة،

فـاز القرعـاوي بمقعـد في المجلـس التشـريعي في الانتخابـات التشـريعية ضمـن كتلـة التغييـر والإصـلاح عـام 2006، وبموجـب ذلـك أصبـح عضـوًا في المجلـس الوطنـي. صـدر لـه عـدد مـن الكتـب والدراسـات منهـا كتابـه «مـرج الزهـور بعـد 25 عامًـا.. معركة المبعدين الإعلامية».

الأخ المجاهد الشيخ محمد جمال النتشة

مـن مواليـد مدينة الخليل عـام 1958م. حاصـل على البكالوريوس مـن كليـة الشـريعة الإسـلامية بالجامعـة الأردنيـة، وتربـى على أيـدي ثُلـة مـن العلمـاء أبرزهـم الشـيخ عبـد الله عـزام رحمـه الله

والشيخ أحمد نوفل، وهو عضو رابطة علماء فلسطين، ومن مبعدي مرج الزهور، ونائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن كتلة التغيير والإصلاح. اعتقل عشرات المرات في سجون الاحتلال والسلطة الفلسطينية، وهو من القيادات البارزة للحركة الإسلامية في فلسطين.

الأخ المجاهد محمد صبحة

من مواليد عنبتا - طولكرم عام 1979م. اعتقل عدة مرات، وأمضى ما يقارب من 20 سنة في سجون الاحتلال لنشاطه البارز ضده، حاصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية وله عدة مؤلفات.

الأخ المجاهد د. محمود الزهار

ولد في العام 1945 في حي الزيتون بغزة، لوالد فلسطيني، وأم مصرية. عاش فترة طفولته الأولى في مدينة الإسماعيلية بمصر، درس الطب في جامعة عين شمس في القاهرة، وحصل على الماجستير في الجراحة العامة والغدة الدرقية، فصله الاحتلال من عمله كطبيب بسبب مواقفه السياسية. عمل رئيساً لقسم التمريض ومحاضراً في الجامعة الإسلامية بغزة التي كان أحد أبرز مؤسسيها، اعتقل لدى الاحتلال والسلطة لعدة مرات، وأبعد إلى مرج الزهور، تعرض لعدة محاولات اغتيال، وهو عضو القيادة السياسية لحركة حماس في قطاع غزة، وعضو منتخب عن كتلة التغيير والاصلاح في المجلس التشريعي الفلسطيني، واختير كوزير خارجية في الحكومة الفلسطينية العاشرة (حكومة حماس) برئاسة إسماعيل هنية.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الأخ المجاهد الشيخ حسن يوسف

ولـد في قريـة الجانيـة غربـي رام الله في العـام 1955م، لأسـرة فلسـطينية متدينـة، اعتقـل مـا يزيـد عـن 14 مـرة في سـجون الاحتـلال الصهيونـي منـذ عـام 1971، أمضـى إجمـالا حتـى عـام 2020 في سـجون الاحتـلال أكثـر مـن 21 عامـا، معظمهـا في الاعتقـال الإداري (بـدون تهمـة)، وهـو أحـد مبعـدي مـرج الزهـور، وعضـو المجلـس التشـريعي الفلسـطيني عـن كتلـة التغييـر والإصلاح.

الأخ المجاهد معاذ سعيد بلال

ولـد في مدينـة نابلـس، في 25 تمـوز/ يوليـو 1971م، نشـأ في بيئـة محافظـة فوالـده الشـيخ سـعيد بـلال مـن مؤسسـي الحركـة الإسـلامية في شـمال الضفـة الغربيـة، وانتمـى لحركـة حمـاس بعـد تأسيسـها، وكان مـن الرعيـل الأول لكتائـب القسـام، واعتقـل عـدة مـرات في سـجون الاحتـلال، وجنـده عبـد الناصـر عيسـى وشـقيقه عثمـان بـلال داخـل السـجن، وأفـرج عنـه عـام 1997م، شـارك بتجهيـز العميـات الاستشـهادية في شـارع محنيـة يهـودا في القـدس التـي أسـفرت عـن مقتـل واصابـة عشـرات الصهاينـة، عـام 1997م، وحكـم عليـه بالسـجن 26 مؤبـداً و25 عامـاً، ومـا زال في سجون الاحتلال حتى كتابة هذا الكتاب.

الأخ المجاهد معتصم تيسير سمارة

ولـد عـام 1977م، في طولكـرم، ونشـط في حركـة حمـاس، واعتقـل المـرة الأولـى عـام 1994م، ثـم اعتقـل لـدى السـلطة عـام 1998م، أثنـاء دراسـته في جامعـة النجـاح، ثـم انخـرط في صفـوف

كتائـب القسـام فـور تحـرره مـن سـجون السـلطة عـام 2000م، واعتقـل في 4 ينايـر/ كانـون ثانـي 2001م، وحكـم عليـه بالسـجن 15 عاماً، وأفرج عنه عام 2016.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

ثـورة المسـاجد

للشاعر/ أحمد التلفيتي

مساجدنا تثور على الأعـادي ... حجارتنا على الـغـازي وبـالُ
وكـانـت دعـوة الإخـوان رأسًـا ... بساحات الفدا صالوا وجالوا
إذا الإخـوانُ غـابـوا عـن ديـارٍ ... يَـحُـلُّ بها الفسادُ والانـحـلالُ
فمن أُسَـرٍ تُـغَـذّي الـروح فكرًا ... إلى التصعيد في الميدان مالوا
ومـن محرابه يقضي ابتهالًا ... يسيرُ بـدعـوةِ الـنّـاس ابتهالُ
فيوسفُ كـان داعـيـةً لعيشٍ ... كـريـمٍ لا يـواتـيـه انـخـذالُ
وليس يغيب عن فـرحٍ وحـزنٍ ... فحالُ الشَّعبِ للسوركجِ حالُ
يشاركهم مغارمهم جـوادًا ... ولـيـسَ لـه بمغنمهم مَـنـالُ
وفي نابلسَ كـان لهم عزيزًا ... ورائـدَ قـومِـهِ ولـه مـقـالُ
تنبهَتِ الأعـادي فاستشاطوا ... إذا ذكـروه هَـزّهـمُ انـفـعـالُ
ونـالَ الـقـيـدُ معصمه مِـرارًا ... عـساهُ يَـكـفُ سـاعِـدَهُ الـزّوالُ
وهيهاتَ العزيمةَ منهُ ضعفًا ... فبئرُ المَـكْـرِ أوهَـى أن ينالوا
فـكـانَ بسجنه داعٍ لخيرٍ ... ومُـحْـسِـنَ أمـرِهِ ولـهُ جُـلالُ

ملحق

الصور الفوتوغرافية

لوحة فنية الشهيد يوسف السركجي

صورة شخصية الشهيد يوسف السركجي

الشـهيد يوسـف السـركجي بصحبـة ثلـة مـن العلمـاء والمجاهديـن والشـهداء في جامعـة النجـاح بنابلس

وسط الصورة.. الشهيد يوسف السركجي مع أصدقاء طفولته

الشهيد يوسف السركجي طفلًا

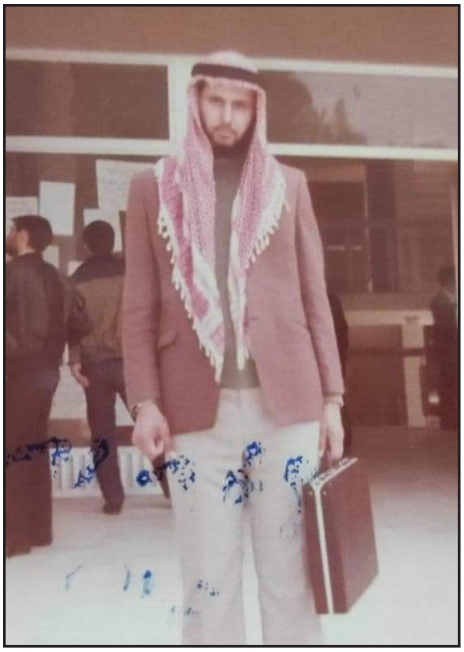

الشـهيد يوسـف السـركجي أثنـاء دراسـته الجامعية

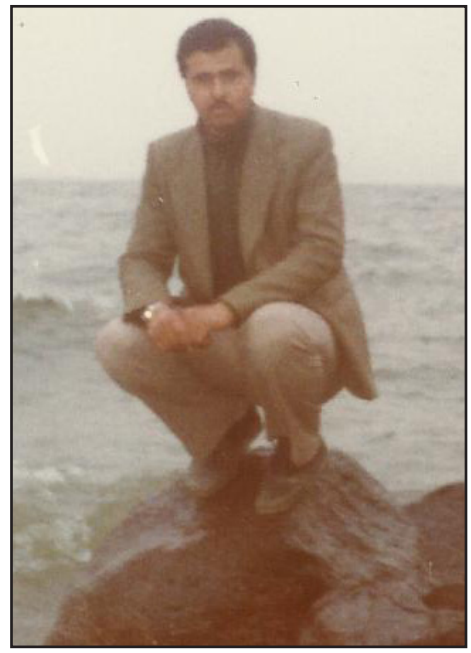

صورة شخصية الشهيد يوسف السركجي

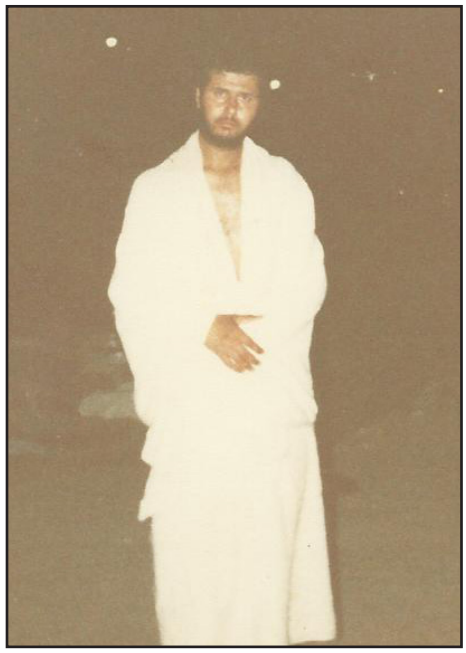

الشهيد يوسف خلال أداء العمرة

الشهيد يوسف السركجي في ساحة المسجد الأقصى المبارك

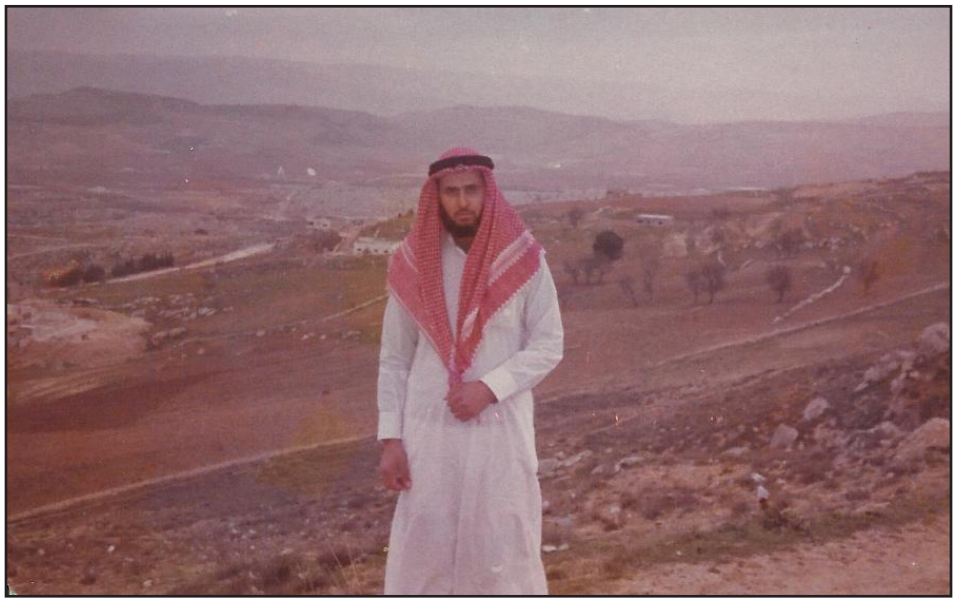

صورة للشهيد يوسف السركجي

الشـهيد يوسـف السـركجي خـلال إلقائـه محاضرة دعوية

صورة للشهيد يوسف السركجي

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الشهيد يوسف السركجي في مخيم الإبعاد «مرج الزهور» - لبنان

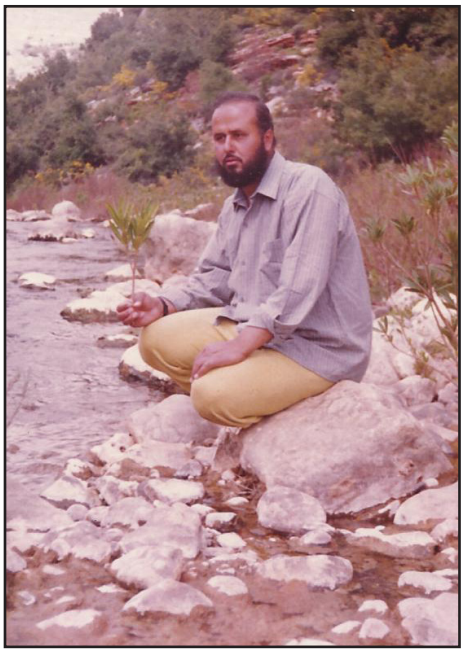

الشهيد يوسف السركجي في مخيم الإبعاد «مرج الزهور» - لبنان

الشهيد يوسف السركجي بصحبة الشهيد القائد محمود أبو الهنود في مخيم الإبعاد «مرج الزهور» - لبنان

الشهيد يوسف السركجي مع الشهيد المهندس مهند الطاهر، والشهيد عمر منصور في سجن الجنيد المركزي

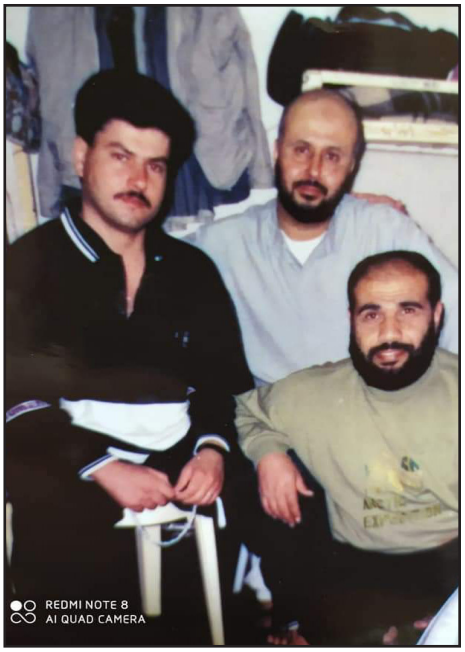

في سجن الجنيد مع الشهيد القائد جمال منصور والأسير القائد عباس السيد

صورة للشهيد يوسف السركجي مع الشهيد عمر منصور

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الشهيد يوسف السركجي خلال اعتقاله في سجن الجنيد

الشهيد يوسف السركجي مع الأسير إياد أبو زهرة في سجن الجنيد

الشهيد يوسف السركجي خلال اعتقاله في سجن الجنيد مع ثلة من إخوانه المجاهدين.

الشهيد يوسف السركجي خلال اعتقاله في سجن الجنيد مع ثلة من إخوانه المجاهدين

الشهيد يوسف السركجي خلال اعتقاله في سجن الجنيد

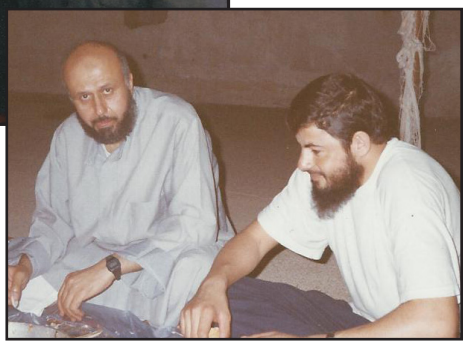

في سجن الجنيد مع الاستشهادي ياسر عصيدة

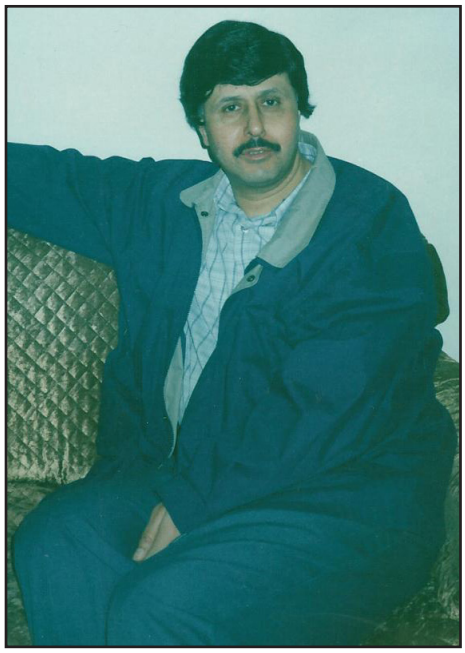

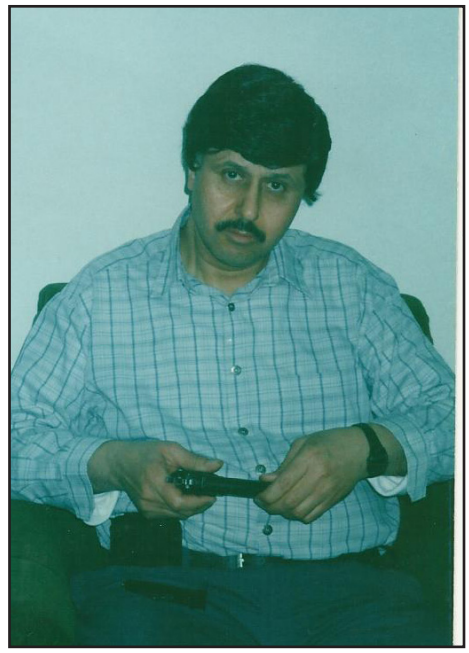

الشهيد يوسف السركجي متنكرًا خلال فترة المطاردة في انتفاضة الأقصى

الشهداء: يوسف الشولي، وبشار صوالحة، ومعاوية جرارعة، وتوفيق ياسين.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الشهيد محمد الحنبلي - رحمه الله.

الشهيد نصر الدين عصيدة - رحمه الله.

الشهيد طاهر جرارعة - رحمه الله.

الشهيد علي الحضيري - رحمه الله.

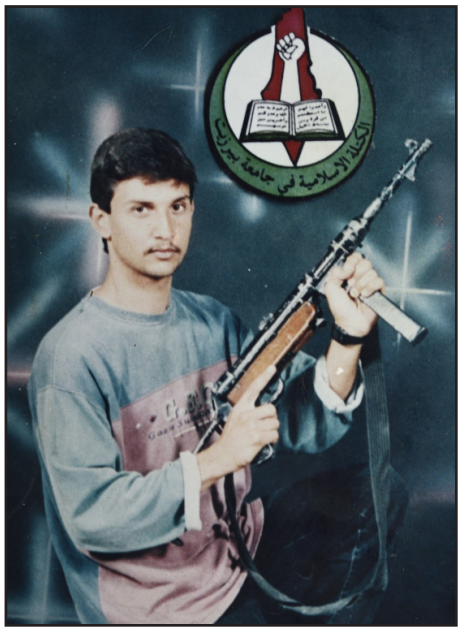

الشهيد خليل الشريف - رحمه الله.

الشهيد علي علان - رحمه الله.

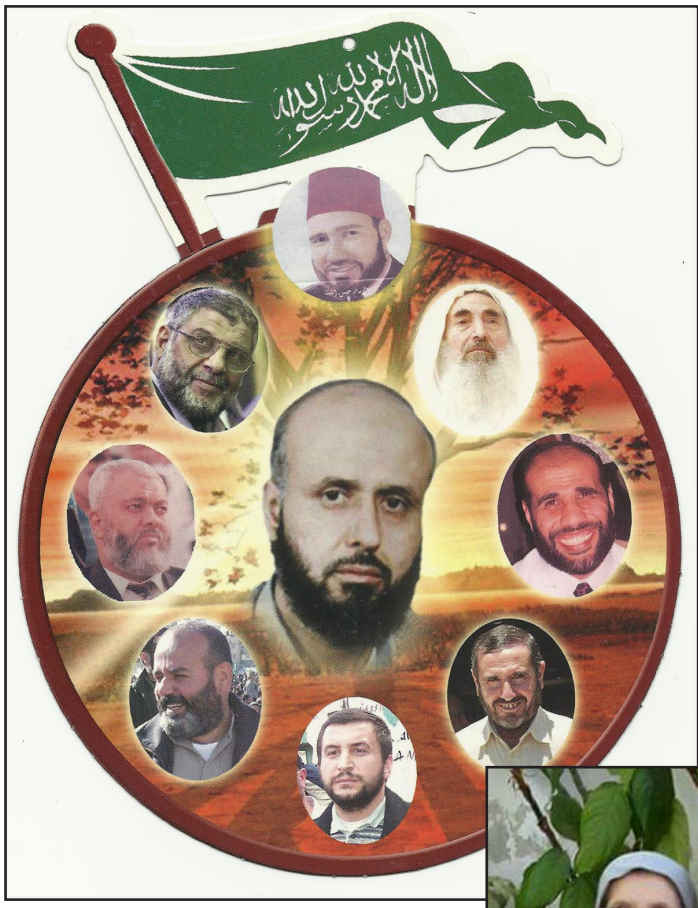

بوستر فني تم نشره عند استشهاد القائد يوسف السركجي

والدا الشهيد يوسف السركجي

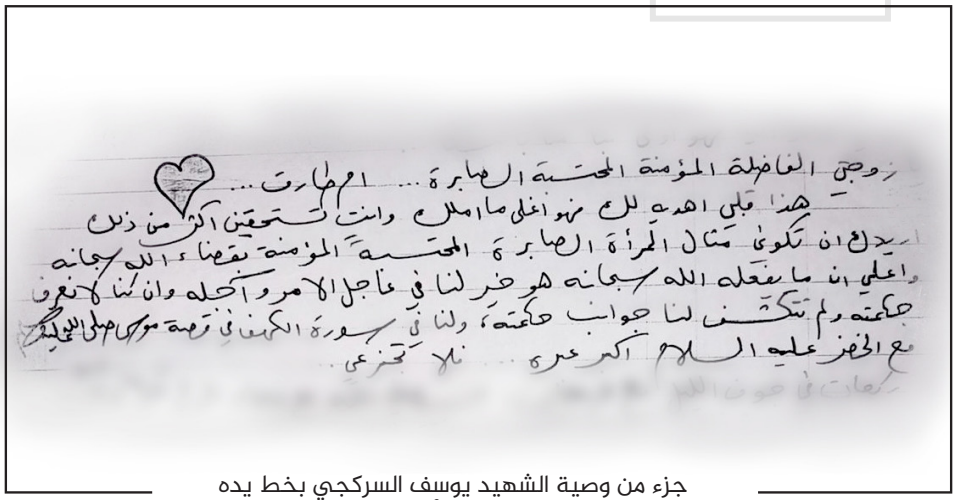

جزء من وصية الشهيد يوسف السركجي بخط يده
إلى زوجته أم طارق

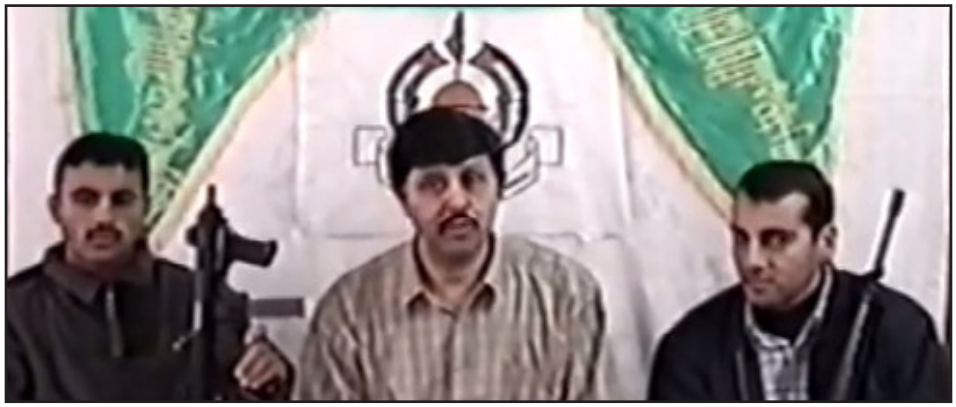

صورة من الوصية المرئية الشهيد يوسف السركجي بصحبة المهندس
مهند الطاهر

المراجع

- عمر، رمضان -جمال منصور.. العقل المفكر- الطبعة الأولى، شركة دار رؤى، 2005م.
- حجة، سليم - درب الأشواك - الطبعة الأولى- 2015م.
- قطب، سيد - في ظلال القرآن -الطبعة 17 - دار الشرق - القاهرة 1997.
- القرطبي؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي- الجامع لأحكام القرآن - مطبعة دار الحديث - القاهرة 2002.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي - سنن النسائي-مكتبة المعارف.
- بدران، حسام عاطف - كتيبة الشمال- الطبعة الأولى - المكتب الإعلامي لكتائب الشهيد عز الدين القسام 2010م.
- الدامونى، جمال سليم - أحكام الشهيد في الإسلام - الطبعة الأولى- لندن 1999م.
- الزبن، عمار -مذكرات غير منشورة.

المواقع الالكترونية:

- المركز الفلسطيني للإعلام.
- كتائب الشهيد عز الدين القسام.

خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل خفقات رغم الرحيل

الأسير أمجد السايح في سطور

- مواليد مدينة نابلس سنة 1972م.
- تلقى تعليمه المدرسي في مدارس المدينة.
- حاصل على درجة البكالوريوس في الهندسة المعمارية من جامعة النجاح الوطنية سنة 1997م.
- حاصل على درجة الماجستير في هندسة التخطيط الحضري والإقليمي من نفس الجامعة.
- اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية كان آخرها عام 2002م وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عامًا.

هذا الكتاب..

سيرة عطرة للشيخ الشهيد يوسف السوركجي -رحمه الله- الذي عاش في مرحلة حساسة وهامة من مراحل القضية الفلسطينية، ومثّل عنوانًا فريدًا من الرجال في زمن عزَّ فيه الرجال، فقد كان رحمه الله عالمًا فقيهًا ومجاهدًا صابرًا ومربيًا فاضلًا، وزوجًا حانيًا، وأبًا حليمًا، وأخًا كريمًا، وصديقًا وفيًا، أثر في كل من عرفه، وما يزال..

ضم الكتاب شهادة ثلة من العلماء والقادة والسياسين والمجاهدين الفلسطينيين من أبناء هذه الحركة المعطاءة الذين عايشوا الشيخ يوسف -رحمه الله- وعملوا في كنفه، كتبوا كلماتهم بصدق وعفوية وبساطة، وسطروا ذكرياتهم معه في السجون وخارجها كأنهم يعيشونها لحظة كتابتها، كي تتربى عليها الأجيال ويعرفوا من هم أسلافهم وقادتهم الذين ضحوا في سبيل دعوتهم وفكرهم.

كما ضم الكتاب شهادة أخي الشهيد بسام -رحمه الله- قبل أن يغادرنا إلى جوار ربه بأشهر معدودة، فصوَّر لنا كيف تعرف على الشيخ يوسف وتربى على يديه وتأثر به، ثم كيف تلقى خبر استشهاده وإخوانه كريم مفارجة وجاسر سمارو ونسيم أبو الروس، وهو قابع في سجون السلطة الفلسطينية مع عدد من المجاهدين الذين استشهدوا -فيما بعد- خلال انتفاضة الأقصى.

ولا نستطيع القول هنا أننا سطرنا كل سيرة الشهيد يوسف، أو أننا وافيناه حقه، فما زال في الصدور عنه الكثير، وما بقي بينه وبين الله أكثر بكثير، ولا نزكي على الله أحدًا، وما هذا العمل المتواضع إلا جهد قليل.

والحمد لله رب العالمين

الأسير/ أمجد السايح